رقية شارف

الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م

دراسة تحليلية نقدية



الطبعة الأولى
2007



الملكية

رقية شارف

الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م

دراسة تحليلية نقدية

الطبعة الأولى
2007



الملكية

رقم الايداع القانوني: 2006-3250

ردمك: 9961.37.075.9

دار الملكية

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام

56، حي رشيد كوريفة، ص.ب 58 الحراش/ الجزائر

الهاتف/ فاكس: 29-50-52 (021)

تصدير بقلم: أ. د. ناصر الدين سعيدوني

الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة
خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر
دراسة تحليلية نقدية

أصبحت المصادر المحلية تشكل حجر الزاوية في تجديد الكتابات التاريخية، سواء من حيث المواضيع المطروحة أو المسائل المعالجة وحتى طريقة المنهجية المتبعة. وهذا ما يتطلب في أي إسهام تاريخي يتصف بالجدية والأصالة أن ينطلق أساسا من قراءة نقدية تحليلية للمصادر المتداولة بموازاة البحث عن الجديد من المادة التاريخية المتعلقة بالتاريخ المحلي لكونهما دعامتان أساسيتان لتواصل وتطور أية مساهمة تاريخية جادة، فبدونهما لا يمكن للباحث أن يحصل على معلومات جديدة أو أن يكوّن نظرة واقعية عن المشهد التاريخي سواء في مجاله المحلي أو إطاره الإقليمي وحتى في بعده الحضاري.

وعلى ضوء هذا الواقع تصبح المصادر المحلية في أي عمل تاريخي طموح وجاد أكثر من ضرورة لإثراء وتجديد المعرفة التاريخية، فهي المرآة الصادقة التي تعكس الوضع الداخلي واللسان المعبر عن روح العصر وحركية المجتمع، فضلا عن كونها الذاكرة الحية التي تختزن قضايا الإنسان الجزائري الثقافية والاجتماعية ومتطلباته الاقتصادية، ولعل هذا ما تنبه له

العديد من الكتاب الأوربيين وخاصة منهم المهتمين بتراث مجتمعات المغرب العربي، فأولوا منذ منتصف القرن التاسع عشر عناية خاصة بنشر بعض المصادر المحلية،.وكان في مقدمة من أسهم في نشر مصادر الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر كل من بودان وهوداس ودوفو وغورغوس وشربونو ودالفان وبيريس ودوان وغيرهم.

كما كان لطليعة من المثقفين الجزائريين فيما بعد مساهمة مشكورة في هذا المسعى، فاعتبر جهدهم تدعيما للنهضة الوطنية وتعزيزا للذاكرة التاريخية وتوسيعا لآفاق البحث في التاريخ الجزائري الحديث؛ وقد كان السبق في ذلك لشيخ محققي المغرب العربي العلامة محمد بن أبي شنب الذي نشر العديد من المخطوطات القيمة مثل "نزهة الأنظار" للورتلاني و"تحلة اللبيب" لابن عمار و"البستان" لابن مريم و"عنوان الدراية" للغبريني. ثم بعده تواصل هذا الجهد الثقافي على يد نخبة من المهتمين بقضايا التاريخ والثقافة فعرفت الكثير من المخطوطات النور على أيديهم، نذكر على سبيل المثال من هذا الرعيل من المحققين والناشرين الأستاذ نور الدين عبد القادر ناشر "غزوات عروج وخير الدين" ومحقق "تاريخ حاضرة قسنطينة" للحاج أحمد العطار و"تقاييد ابن المفتي" التي أدرج نصها في كتابه "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر"؛ والشيخ المهدي البوعبدلي ناشر "الثغر الجماني" لابن سحنون و"دليل الحيران" لمحمد ابن يوسف؛ والأستاذ أحمد توفيق المدني ناشر "تقاييد أحمد الشريف الزهار"؛ وكذلك الأستاذ محمد بن عبد الكريم الذي أغنى المكتبة الجزائرية بتحقيقات عديدة منها "رحلة محمد الكبير" لابن هطال و"التحفة المرضية" لابن ميمون و"بهجة الناظر" للمشرفي و"فتح الإله" لأبي راس.

وقد واصل هذا المسعى كل من الأستاذ رابح بونار ناشر "سنوات القحط والمسغبة ببلد قسنطينة" للعنتري و"خاتمة أنيس الغريب والمسافر" لمسلم بن عبد القادر و"مصباح الأرواح" للمغيلي؛ والأستاذ يحي بوعزيز محقق "فريدة مؤنسة" للعنتري و"طلوع سعد السعود" للمزاري و"سيرة الأمير عبد القادر"؛ والأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله محقق "لسان المقال" لابن حمادوش و"منشور الهداية" لابن الفكون و"تاريخ العدواني"؛ والأستاذ عبد القادر زبادية محقق "أجوبة المغيلي عن أسئلة الأسقيا"؛ وبابا عمر سليم ناشر "الزهرة الناشرة" للجديري؛ وكاتب هذا التصدير الذي كان له شرف تحقيق "القول الأوسط" للشقراني و"قانون أسواق مدينة الجزائر" لابن الشويهد. بعدها تطول القائمة بإسهامات الجيل الجديد من محققي التراث الجزائري الذي نأمل أن يرتقي عملهم وتتوسع آفاقهم لتدارك النقص وسد الثغرات وإحياء ما اندثر من التراث الجزائري.

إن هذه المصادر المحلية العديدة التي أثْرت الرصيد التاريخي للشعب الجزائري، يظل أغلبها على ضوء شروط البحث العلمي في حاجة إلى قراءة جديدة ومراجعة علمية لضبط نصوصها وتحليل مضمونها ودراسة الظروف التي كتبت فيها، لاسيما وأن العديد من هذه المصادر نشر بنصه الحرفي كمادة خام ولم يخضع للمراجعة أو التصحيح أو التحليل حسب قواعد التحقيق المتعارف عليها في نشر المخطوطات. ومما يؤسف له أن بعض المصادر أعيدت صياغة مادته التاريخية عند نشره بحيث لم يعد من الممكن معرفة اللغة والأسلوب الذي كتب به، كما هو حال أوراق ابن المفتي التي تضمنها كتاب "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر" و"تقاييد أحمد الشريف الزهار" التي تحولت بقلم الأستاذ أحمد توفيق المدني إلى مذكرات تاريخية بعيدة عن نصها

الأصلي الذي لم يعد في الإمكان الرجوع إليه. ولعل هذا ما دفعنا في تحقيق مخطوط "قانون أسواق مدينة الجزائر" لعبد الله الشويهد أن ننشر النص الأصلي محافظة على مادته التاريخية الخام ومكنّا القارئ من الانتفاع به بالرجوع إلى الصياغة العربية التي رافقته مع التعليقات العديدة المتعلقة بشرح الكلمات والتعليق على المعلومات التاريخية، آملين أن يكون ذلك مثالا يحتذى في نشر النصوص المكتوبة بلغة الفرانكا والتي يغلب عليها التعبير الدارج.

إن هذا الكتاب الذي نسعد بتصديره يمثل خطوة في الرقي بالدراسات التاريخية، فهو يتناول بالدراسة بعض المصادر المحلية ويحاول قراءتها على ضوء مواصفات البحث التاريخي الذي لا يكتفي بمعالجة الأحداث كعرض خبري ولا يتقبل المشهد التاريخي كصورة جامدة وغير معبرة، بل يأخذ بالجدلية التاريخية التي تحلل الظواهر التاريخية من حيث كونها فعلا إنسانيا صادرا عن تفاعل عناصر الحياة وهي الإنسان والزمان والمكان لتعبر عن نفسها في صورة حية ومشهد معبر للتجربة الإنسانية.

لقد كان لنا شرف متابعة فصول هذا الكتاب كرسالة ماجستير في التاريخ الحديث، وتبين لنا أثناء تحضير الطالبة لرسالتها أهمية موضوعه وطرافة طريقة تناوله للمسائل التاريخية، فهو يندرج في المسعى الهادف لتجديد مصادر التاريخ الجزائري الحديث وتثمين مادتها، حاولت مؤلفته الالتزام فيه بروح علمية ونظرة موضوعية تتماشى ومتطلبات نقد المصادر وتحليلها واستنطاقها، فجاء ثمرة علمية طيبة نتجت عن جهد مؤلفته التي عهدناها باحثة جادة تحدوها الرغبة الصادقة في البحث والنظرة العلمية في تحليل ومعالجة قضايا التاريخ.

لقد وفِّقت مؤلفة الكتاب في تثمين المصادر المحلية التي عالجتها سواء منها ما ظل مخطوطا أو عرف طريقه للنشر وفي التعريف بمؤلفيها وملابسات الظروف السياسية والثقافية التي تأثروا بها وحاولوا التعبير عنها فيما كتبوه، وبذلك حققت خطوة مهمة في الجهد الرامي إلى اعتماد الكتابات المحلية في البحث لتأخذ مكانها إلى جانب الوثائق الأرشيفية والمصادر الأجنبية. كما حاولت صاحبة الكتاب إثارة إشكاليات أساسية فيما يتعلق بالواقع السياسي والوضع الاجتماعي والحالة الثقافية، فحالفها التوفيق في طرح إشكاليات تعبر عن الموقف الجزائري وتوجه اهتمام الباحثين إلى معالجة نظام الحكم وأمور السياسة الخارجية وإجراءات الإدارة وطبيعة موازين القوى في الجهاز الإداري والعسكري، وكذلك إثارة الاهتمام بإشكالية الحركية الاجتماعية وبوضعية التأزم وحالة التأخر والجمود التي طبعت الفترة الأخيرة من حياة الدولة والمجتمع الجزائري قبل تعرضه للغزو الفرنسي سنة 1830.

إن ما يلاحظ على الكتاب هو كون أغلب الكتابات التاريخية التي تعرض لها من تأليف كتاب من الغرب الجزائري تأثروا بظروف بيئتهم وتفاعلوا مع أحداث عصرهم وعبروا عنها في كتاباتهم، فافتخروا بمآثر الباي محمد الكبير وعبروا عن فرحتهم بتحرير وهران والمرسى الكبير، كما هزتهم انتفاضات درقاوة الدامية وسلوكات الحكام غير الموافقة وفجعهم الاحتلال الفرنسي لبلاد الجزائر بفواجعه ومآسيه، في الوقت الذي ظل فيه كتاب الشرق الجزائري في هذا الكتاب غائبين ابتداء من ابن الفكون وانتهاء بالعنتري. وما دام هذا يرجع إلى الخطة الأولية للكتاب عندما سجل كرسالة جامعية، فإننا نأمل أن تستكمل الباحثة رقية شارف جهدها العلمي مستقبلا فتستدرك ما لم تتناوله في كتابها، وبذلك تستكمل مجموع المصادر المحلية المتعلقة بالفترة الأخيرة من العهد

العثماني، وبذلك يندرج عملها في مشروع إحياء التراث الجزائري الذي ظهر منه العديد من الإسهامات؛ منها موسوعة التاريخ الثقافي للجزائر للأستاذ أبو القاسم سعد الله، ومن التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي لكاتب هذا التصدير.

لا يسعني في ختام هذا التصدير إلا أن أؤكد القيمة العلمية لتأليف الأستاذة رقية شارف، فالكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر قد عرفت مؤلفته كيف ترتاد طريق البحث العلمي في أولى خطواته الصعبة ودروبه الوعرة. وإننا على يقين بأنها سوف تحقق المزيد من العطاءات التاريخية لما عرفت عنها من طموح ورغبة في البحث وتصميم على معالجة مسائل التاريخ، فطوبى لمؤلفة الكتاب بمولودها العلمي الجديد، وهنيئا للمكتبة التاريخية الجزائرية بهذه الإضافة المثرية في سنة الجزائر عاصمة الثقافة العربية.

أ.د. ناصر الدين سعيدوني

مونتريال – كندا

في 10 – 7 – 2007

المقـدمة

يتناول هذا الكتاب موضوعا في المنهج التاريخي، باعتبار هذا الأخير العمود الفقري. للأحداث التاريخية، يرتقي بالتاريخ إلى درجة العلمية إذا كان سليما وينزله منزلة الأساطير إذا كان ضعيفا أو مكذوباً.

ويتوقف صحة المنهج التاريخي على البيئة وما تحمله من مكونات سياسية واجتماعية واقتصادية. لذلك نجد الكتابات التاريخية قد تطورت من عصر إلى عصر، ومن مجتمع لآخر. وما تزال في تطور حتى تصل إلى درجة من الموضوعية، حيث يكون المؤرخ بعيداً عن الانتماءات الإيديولوجية، وغير منخرط في التجاذبات والصراعات التي تعرفها الحياة السياسية والاجتماعية عموما، ويجعل من تعدد الفنون والثقافات عامل بناء للوحدة الوطنية لا عامل هدم وتفريق.

انطلاقا من هذه القناعة كان اختياري للكتـابة في موضوع «الكتابات التاريخية الجزائرية في نهاية القرن الثامن عشر (18م) (12هـ) وبداية القرن التاسع عشر(19م) (13هـ) – دراسة تحليلية – نقدية».

ولا يخفى على القارئ أن هذه الفترة مهمة لأنّها مرحلة انتقالية من عهد عثماني تميّز في أواخره بالجمود والتدهور، إلى فترة استعمارية – فرنسية تميّزت ببداية تطبيق المشروع الاستعماري.

كما كان حدث استرجاع وهران من الإسبان في نهاية القـرن الثامن عشر (18) 1206هـ/1792م. مناسبة فجرت قريحة مجموعة من شعراء الجزائر – خاصة في الغرب الجزائري.

وقد يتساءل القارئ لماذا الكتابات الجـــزائرية بالضبط؟ فإننا نجيب أننا في ميدان التاريخ نعتمد بنسبة كبيرة على المصادر الأجنبية بمختلف أصولها ولغاتها وفتراتها في بحوثنا، بينّما ظلت وجهة النظر الجزائرية في تطور الأحداث إما ناقصة أو غائبة.

حيث نجد مؤرخي المدرسة الغربية سواءاً الذين كتبوا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر أي قبل 1830م أو بعده قد فسروا الأحداث، انطلاقا من عوامل خارجية، ونظروا إليها بمنظور غربي، يخدم في أغلب الأحيان أهدافا إيديولوجية استعمارية.

ويكفي لتأكيد هذا أن نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر أن جون كازناف (J.CAZENENAVE)، قد قيّد في مقاله الذي لا يستغني عنه أيّ باحث في تاريخ وهران مصادر متنوعة وأساسية، جمعها فيما يقرب من ثمانين(80) صفحة. لكن الشيء الملاحظ على هذا المقال هو أن المصادر الجزائرية المحلية تعد على أصابع اليد.

فنحن لا نقصد دراسة متحيّزة للمصادر الجزائرية، بقدر ما قصدنا استنطاقها، ومدى إمكانية استغلالها، وتوصيل ما حوته من أحداث تاريخية للقارئ، معبرة من خلالها عن وجهة نظر الطرف الجزائري في تطور الأحداث تكملة للفائدة التاريخية وتسليط الضوء على نوعية ومستوى الكتابات التاريخية الجزائرية في فترة استفاد فيها علم التاريخ في أوربا من النهضة الأوروبية، والثورتين الصناعية والفرنسية، وما نتج عن ذلك من حركة عقلانية، أدت إلى ظهور مدارس غربية تاريخية، خلال القرنين الثامن عشر(18م) والتاسع عشر(19م).

وفي فترة كانت فيها تونس والمغرب الأقصى، في تموقع ثقافي في إطار الزيتونة والقرويين، مقارنة بالجزائر التي كانت تعيش التشرد الثقافي- إن صح التعبير-.

لكن عموما اشترك المغرب العربي في تخلفه الحضاري، وهنا يحضرني قول الأستاذ أبو القاسم سعد الله في كتابه «قضايا شائكة» بأن العالم الإسلامي ما يزال يعيش التخلف، ولا يمكن أن يكون لأمة متخلفة نظرية أو مدرسة تاريخية إلا إذا كان لها اختيارها السياسي والفكري.

وسيجد القارئ في هذا الكتاب إجابة على إشكاليات أساسية قد يطرحها أي جزائري يعشق البحث في التراث الجزائري، أو أي باحث أكاديمي.

فالإشكالية الأساسية نحصرها في الأسئلة التالية:

هل كانت الكتابات التاريخية الجزائرية للفترة المدروسة تعكس الواقع الجزائري في العهد العثماني؟ وهل تأثرت بتلك الأوضاع؟ وإلى أي حد؟.

هل كانت مماثلة لما هو موجود في باقي الأقطار المغاربية؟

أم كانت تتميّز بخصوصية؟ ما هي؟

وهل يمكن أن نلمس ذلك الانقلاب الحاسم في تاريخ الجزائريين بين عهد عثماني تميّز في آخره بالجمود والضعف، وفترة استعمارية- فرنسية عرفت بداية تطبيق المشروع الاستعماري سوف تكون له انعكاسات كبيرة على المجتمع الجزائري؟

ثم كيف يمكن أن نفسر ونحلل هذا الرصيد التاريخي، من حيث المضمون والمنهج والطريقة والاهتمامات، من خلال قراءة نقدية تحليلية لعينات من إنتاج لمؤرخين عايشوا أواخر العهد العثماني، وآخرون أدركوا هذا العهد وتأثروا بأوائل فترة الاحتلال الفرنسي.

وسيلاحظ القارئ أننا أجبنا على هذا الإشكال من خلال الخطة التالية:

المدخل: حيث قمنا بوضع الموضوع في الإطار التاريخي العام، من خلال التطرق للواقع السياسي، والثقافي، والاقتصادي للجزائر في نهاية القرن الثامن عشر(18) وبداية القرن التاسع عشر(19). قصد فهم مدى تأثير هـذه الأوضاع في الإنتاج التاريخي، وحتى نتبين في الفصل الثاني إلى أي مدى عبرت تلك الكتابات، وصورت، وعكست هذا الواقع، وما هو المجال الذي ركزت عليه ؟ ولماذا؟.

الفصل الأول: عبارة عن دراسة وصفية للتأليف التاريخي في الفترة المشار إليها. تعرضنا إلى الجانب البيوغرافي أي ترجمة حياة المؤلف، ثم التعريف بالإنتاج التاريخي سواءاً كان مخطوطا أو مطبوعا، والمطبوعات في الحقيقة أغلبها مخطوطات محققة. علما أننا قمنا بترتيب المؤلفين في تسلسل زمني، حسب تاريخ وفاة المؤلف.

والهدف من هذا الفصل هو وضع أرضية لمن أراد الاطلاع على هذه المصادر، وتسهيلاً لمن أراد تحقيق المخطوطات الواردة في كتابنا.

الفصل الثاني: حاولنا فيه عرض المضمون التاريخي لهذه المصادر، أي المواضيع المتناولة، حيث خصصنا المبحث الأول لصورة الـواقع السياسي، والمبحث الثـاني لصورة الـواقع الثقافي والاجتماعي، والمبحث الثالث لصورة الواقع الاقتصادي في هذه الكتابات.

وفي **الفصل الثالث** تبدأ دراستنا التحليلية- النقدية، حيث خصصناها لتحليل الشكل من خلال ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول، في طريقة عرضها وتفسيرها للأحداث والأفكار.

- المبحث الثاني، أسلوبها في تناول الأحداث أي المصطلحات المستعملة، واللغة المكتوب بها.
- المبحث الثالث، درسنا المصادر والمراجع (البيبلوغرافيا) التي اعتمدت عليها.

ثم **الفصل الرابع** والأخير خصصناه للدراسة التحليلية للمضمون، من خلال أربعة مباحث:

- المبحث الأول، حول المناسبة التي ألف فيها هؤلاء وهي بمثابة الدوافع.
- المبحث الثاني، مدى صدق الأحداث التاريخية الواردة، ومدى توفر الموضوعية فيها.

وهذا لم نتوصل إليه إلا بعد مقارنتها ببعضها البعض وبمصادر أخرى معاصرة، كما هو وارد في المبحث الثالث، الذي خصصناه للمقارنة بينها وبين بعض الكتابات المغاربية والأجنبية المعاصرة لها.

وفي المبحث الرابع والأخير حاولنا إبراز واستخلاص قيمتها التاريخية بالإضافة إلى الجديد الذي جاءت به.

الخاتمة:

تضمنت خاتمة هذا البحث رسم صورة الجزائر من خلال إنتاج هؤلاء الكتاب (المؤرخون)، وتسجيل القيمة العلمية لهذه الكتابات (بسلبياتها وإيجابياتها)، في تراث الجزائر الحديث. ومدى مساهمتها في تاريخ هذه الفترة أي نهاية القرن الثامن عشر(18م) وبداية القرن التاسع عشر (19م).

والنتائج المتوصل إليها في البحث ما هي إلا إجابة نسبية على الإشكال المطروح، تتطلب الإثراء مستقبلا، هذا الإثراء متوقف على توفر وسائل البحث، وعلى رأسها المخطوطات التي لم نجد لها إلا العنوان، وإن كانت متوفرة خارج الوطن فتبقى دائما بعيدة المنال، كذلك وسائل تصويرها.

كما يمكن إثراء هذه الدراسة مستقبلا من خلال التركيز على المقارنة بين نماذج من هذه المصادر الجزائرية، بمصادر غربية.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا قائمة بيبليوغرافية متنوعة، نعرض هنا أبرزها:

1- المصادر والمراجع العربية:

أ- المصادر: وهي على نوعين، منها المخطوطة، ومنها المطبوعة وهي في نفس الوقت مادة أولية وموضوع البحث.

- **المخطوطة:** أهمها "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" الجزء الأول لابن زرفة المعاصر لفتح وهران الثاني، و"الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية لأبي راس الناصري".

- **المطبوعة:** أهمها " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لإبن سحنون الراشدي، و"الرحلة الورثلانية"، هذا لنهاية القرن الثامن عشر18.

أما أهم مصدر لمطلع القرن التاسع عشر (19) فهو "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة.

وللمقارنة اخترنا أبو القاسم الزياني المغربي، ومحمد بن عبد السلام الضعيف المغربي، وبعض ما جاء في كتاب أحمد عبد السلام التونسي، وكذلك بعض الكتابات المغربية.

ب- المراجع: منها أخر ما طبع للدكتور ناصر الدين سعيدوني "من التراث التـاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي " و" تـاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله.

ج- المقالات: مقالات كثيرة وظفت في هذا البحث، وجدناها بعد عملية الجرد في مجلات: " الثقافة"،." الأصالة "، المجلة " التاريخية – المغربية "، "كلية الآداب "، ومجلة " الدراسات التاريخية "، ومجلة " تاريخ وحضارة المغرب".

نذكر مـن المقالات " الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر" و "المعاهدات الجزائرية- الإسبانية سنة 1791 "للدكتور ناصر الدين سعيدوني. ومقال " الشيخ الورثلاني من خلال كتاب الرحلة " لقوقام يوسف.

كما اعتمدنا كتبا مساعدة في تحقيق المخطوطات، وفي المنهجية التاريخية، ورسائل جامعية لها علاقة بالموضوع وكتب التراجم.

2- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية (الفرنسية)

أ-المصادر: دفـتر التشـــريفات A.DEVOLX:TACHRIFAT وهو ترجمة ونشر لدفتر التشريفات، المكتوب باللغة العثمانية والموجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

أيضا: - VENTURE . DE PARADIS ; Alger au 18eme siècle

أسئلة خاصة في المدخل.

وتقرير أرمبورو الذي ترجمه من الإسبانية ووضع له مقدمة كل من محمد القورصو وميكاييل دي إيباليزا ونشر تحت عنوان:

-Oran et l'ouest Algérien au 18éme siècle, d'après le rapport (Aramburu).

ب- المراجع: نذكر

- HENRI LEON FEY : Histoire d'oran avant – pendant et après la domination Espagnole.

وكتاب:

- Ahmed Abdesselem ; Les Histoiriens Tunisiens des XVIIe, XVIIIe et XIX siècle.

وكذلك:

- De grammont ; Histoire d'Alger sous la domination Turque.

ج- المقالات:

أغلبها المنشورة في المجلة الإفريقية (R.A) ، والجـريدة الآسيوية (J.A) والكشف العلمي والجغرافي والأثري لمقاطعة وهران (B.S.G.A.O.) ومجموعة مذكرات شرقية (R.M.O).

وهي في معظمها منشورات المستشرقين، أمثال قرقوس (GORGOUS)، مارسيل بودان (BODIN)، أرنو (ARNAUD)، هوداس (HOUDAS)، دلفان (F.DELPHIN)، ودي فوكس (DE VOULX) حول التراث الجزائري، وترجمته للغة الفرنسية، مثل إنتاج أبي راس الناصري، وعبد القادر المشرفي وبن زرفة.

• • •

كما تجدر الإشارة إلى أننا أرفقنا هذه الدراسة بملاحق رأيناها ضرورية ومهمة، من شأنها أن تزيد الموضوع وضوحا وعلمية، مثل صفحات بداية ونهاية المخطوطات المستغلة في البحث، الرسائل التاريخية، صور لأماكن وخرائط جغرافية.

وحتى يكون عملنا هذا علميا وضعنا له قسم الفهارس:

- الأول فهرس الأعلام الـــواردة في البحث.
- الثاني للأماكـــن والبلدان.
- الثالث للقبائل والجمعات.
- الرابع للمؤلفات.

وأخيرا أتمنى أن تكون هذه الإضافة المتواضعة في حقل التراث الجزائري، فاتحة خير لأي عمل جاد ومتعمق، مستقبلا. حيث لا يزال هذا المجال بكراً يحتاج إلى دراسة وبحث مستمرين.

المبحث الأول

الوضع السياسي العام

الوضع السياسي العام

يمكن أن ندرس العلاقات الجزائرية ـ الأوروبية، وفي مقدمتها العلاقة الجزائرية الإسبانية في القرن الثامن عشر، من خلال ثنائية الصراع الدولي وفي الإطار الحضاري الذي ميّز العلاقات الدولية في هذه الفترة. بين العالم الإسلامي الذي مثلته الدولة العثمانية حيث يرى بعض الباحثين في هذا الموضوع أن القرنين السابع عشر (17) والثامن عشر(18) يمثلان العصر الذهبي للجزائر عسكرياً، وسياسيا وحتى اقتصاديا [1]، والعالم المسيحي، على رأسه إسبانيا التي ظلت تحتل أهم الثغور الجزائرية الغربية، وهران، والمرسى الكبير إلى سنة 1791-1792، باستثناء فترة (1708-1732) [2].

ولم يوضع حدا لحالة التوتر والعداء بين الجزائر وإسبانيا إلاّ في الربع الأخير من القرن الثامن عشر(18)، بإبرام معاهدتين:

الأولى كانت بتاريخ 16 جوان 1785 [3]. أما إعلان السلم بين البلدين فكان

1- يحيى بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا (1500-1830) (الجزائر، بدون تاريخ)، ص21.

2- عرف الغرب الجزائري في هذه الفترة (1708-1832) استقرار سياسي بفضل تحرير وهران الأول في جانفي 1708، في عهد كل من الداي بكداش (1707.02-1710.03)، وملك إسبانيا فليب الخامس (1700-1746) على يد صهر الداي، أوزون حسن، ومصطفى بوشلاغم باي الغرب الجزائري، لكن ما فتئ أن عاد الإسبان إلى وهران سنة 1732 في عهد كردي عبدي (1724-1732) الذي توفي متأثراً بهذه النكبة.

3- جمال قنان: " نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1835)" السداسي الأول (الجزائر 1987) ص ص 210-215.

في 17 شعبان سنة 1200هـ 14 جوان 1786 [1]. بين داي الجزائر محمد عثمان باشا (1766-1791)، ونائبي الملك الإسباني كارلوس الثالث (1759-1788) وهما الكونت ديسبي (D'EXPPILLY)، والأميرال مازاريدو (MAZARIDO)، بواسطة القنصل الفرنسي بالجزائر دي كرسي (DE KERCY) خدمة للبلاط الإسباني.

جاءت هذه المعاهدة -التي كانت تهدف إلى إكراه الداي على عقد الصلح- [2] بعد فشل الغارات على الجزائر في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، والمتمثلة -أي الحملات- في حملة أوريلي(O'REILLY) سنة 1189هـ (1775)م والمعروفة في الأدبيات الجزائرية بمعركة الحراش.

والذي يصف فشلها شاهد عيان جزائري قائلاً: " لا تعرف جثة المسلم إلاّ لكونه برأسه، وجثة الكافر لكونها مقطوعة الرأس...وأنا العبد الحقير رأيت في مكتوب جاء من قرطاجنّة بعد وصول الملاعين إلى بلادهم، أن الملاعين أخرجوا إلى اسبيطال متاع قرطاجنة ألفين وثلاثمائة (2300) من المجاريح والمرضى، فضاقت عليهم الأسبيطال فوضعوا في كنائسهم". [3]

أما الحملتان الأخرتان اللتان لقيتا نفس المصير فقد قادهما الدون أنطونيو بارسيلو (DON-ANTONIO DE BACELO)، الأولى من 01 إلى 09 أوت سنة 1783، والتي علم بها الداي عثمان عن طريق ملك المغرب الأقصى

1- يذكر د. مولاي بلحميسي أن عقد المعاهدة كان في 14 جوان 1786، أنظر: مولاي بلحميسي: "صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية-الإسبانية" معاهدة 1786، بين الجزائر وإسبانيا، سبب إبرامها، مضمونها نتائجها" مجلة تاريخ وحضارة المغرب،عدد 11، (الجزائر جوان 1794)، ص12.

2- بلحميسي، نفس المرجع ، ص06.

3- محمد بن محمد التلمساني: "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، مخطوطة، رقم 1626، المكتبة الوطنية، الجزائر، ق14ب

محمد بن عبد الله، فاستعد لها بحرياً، وبرياً [1]، والثانية من 07.29 إلى 1784.08.09.

يمكن تفسير هذا الفشل الإسباني بعدة عوامل، منها قوة الجزائر العسكرية في القرن الثامن عشر(18)، والتي لا تدرك إلا بمعرفة مدى حجم الأساطيل الإسبانية التي ضربت مدينة الجزائر، وإصرار الجزائر على رفض الصلح مع إسبانيا ما لم يتضمن حلا لأم القضايا بين البلدين، ألا وهي قضية تحرير وهران والمرسى الكبير.

كما لا يمكن إغفال ظروف إسبانيا المتمثلة في الأزمة الاقتصادية التي كانت تعانيها، بالإضافة إلى أزمة الحكم التي سيعرفها عهد كارلوس الرابع.

وكنتيجة لهذه العوامل قبلت إسبانيا لسياسة الأمر الواقع القاضية بالكف عن شن الحملات البحرية على الجزائر، والدخول في المفاوضات مع أخذ قضية وهران والمرسى الكبير بعين الاعتبار.

لكن رغم كون معاهدة سنة 1786 قد عالجت القضايا المالية، والأمنية، والقنصلية، والتجارية بين البلدين، إلا أنها أبقت قضية وهران والمرسى الكبير معلقة، لهذا جرت محاولات ديبلوماسية بين الداي حسن، والملك الإسباني دون كارلوس لحل هذه القضية في شكل مراسلات كثيرة.

نذكر منها الرسالة التي وجهها الداي حسن –باللغة التركية– إلى الملك الإسباني كارلوس بتاريخ 13 ذو الحجة 1205هـ/13أوت 1791، والتي تضمنت قبول إسبانيا مبدئياً رد وهران (المدينة).

1- أحمد توفيق المدني: "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)"، وثائق ودراسات (الجزائر، بدون تاريخ) ص511.

ونورد هنا بعض ما جاء فيها لأهميتها:

"... نحيطكم علما بأننا قد اتصلنا برسالتكم الكريمة التي بعثتموها إلينا، هذه السنة بواسطة قنصلكم لدينا...فهمنا منها أنكم تريدون إعلامنا بأنكم سوف تقومون برد قلعة وهران والتي كنتم قد أخذتموها منا سابقاً... تريدون رد القلعة بدون برج الميناء، نرجو من الله تعالى أن يبارككم في مالكم وفي صحتكم، ولكن لو أعطيتمونا برج الميناء (المرسى) المذكور أيضا، لكان ذلك من تمام الإحسان، والإكرام... لأن بقاء هذا البرج في يدكم قد يقودنا ويدفعنا إلى الوقوع في النزاع مع أمير الوطن (الباي) أو مع العربان المتمردين، أو مع القبائل الجاهلة...الأمر الذي يمكن أن يعرض صداقتنا إلى التهلكة والخطر... "[1].

وفعلا كان الحل عسكرياً لأن العربان والقبائل والباي، كانوا أشد تحمساً لتحرير وهران والمرسى الكبير – كما نفهمه من الرسالة –. فكان الحصار الذي ضربه باي الغرب الجزائري محمد الكبير على وهران، والمرسى الكبير، والذي أفضى إلى إبرام المعاهدة الثانية بتاريخ 1791.12.09 بين داي الجزائر حسن باشا (بابا حسن) (1791-1798)، وممثل قنصلية ملك إسبانيا بالجزائر، الدون مكاييل دولاريا، والتي أقرت إسبانيا في بندها الأول والثاني الانسحاب النهائي من وهران، والمرسى الكبير، وفعلاً دخلت المعاهدة حيز التنفيذ الفعلي برفع الحصار الجزائري عن الحامية الإسبانية بوهران.

ويؤكد الملك الإسباني في رسالة له إلى الداي حسن بتاريخ 28 سبتمبر 1791م عن إخلاء مدينة وهران والمرسى الكبير وتهديم قلاعها[2].

1- يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية – الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798)، ديوان المطبوعات الجامعية،(الجزائر 1993)، ص149

2- بوعزيز: المراسلات ، نفس المصدر ، ص152

أما الانسحاب النهائي من وهران والمرسى الكبير فكان في 03 رجب سنة 1206هـ/04.24. 1792م [1].

بينما إذا أردنا أن نرسم سير العلاقات الجزائرية-الفرنسية خلال القرن الثامن عشر، فنقول إنها كانت متذبذبة، تتحسن، وتتأزم حسب وضعية مصالح فرنسا الاقتصادية في الجزائر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية حسب طبيعة العلاقات الجزائرية مع باقي دول أوربا، وعلى رأسها بريطانيا – المنافس الأول لفرنسا – فكلما تحسنت العلاقات بين الجزائر ودول أوربا كلما ساءت بينهما وبين فرنسا. وقد بلغت درجة التأزم مع نهاية القرن الثامن عشر. واستناداً إلى رسالة شاهد عيان [2] نحلل الظروف والدوافع التي وقع فيها الاحتلال الفرنسي للجزائر.

تاريخياً بدأ التحضير للاحتلال منذ سنة 1808م، لما أوفد نابليون الأول جاسوسه بوتان (BOTIN)، وبعد فشل هذه المحاولة أوجدت فرنسا ذرائع تمثلت في قضية تأديب الداي حسين، القرصنة...

في البداية طالبت وزارة الخارجية الفرنسية من الباب العالي تأديب الداي حسين عن طريق محمد علي باشا – والي مصر- بل وأن يستولي هذا الأخير عن الايالات الثلاثة (طرابلس- تونس- الجزائر).

1- ناصر الدين سعيدوني : "المعاهدة الجزائرية ـــ الاسبانية" ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7، معهد التاريخ (جامعة الجزائر 1414 هـــ ـــ 1993 م) ، ص 81.

2- هو أحمد الجزائري قائمقام بناحية لجة من أعمال أناضولي، توفي سنة 1833، كان في الجزائر أثناء حدوث الاحتلال، حث الناس على القتال لا التسليم، بعد معارضة الداي له، طالب الأمان له ولمـــن خرج، فرحل إلى أزمير.

أنظر: أحمد الجزائري:" كيف دخل الفرنسيون الجزائر"، وصف شاهد عيان، نشره وقدم له صـــلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد(بيروت 1962)

ولكن رغم قبول محمد علي لهذا المشروع، إلاَّ أن النمسا وبريطانيا أحبطت هذا الاتفاق، ورفض السلطان العثماني محمود الثاني الاقتراح الفرنسي، فاتخذ مجلس الوزراء الفرنسي قرار سنة 1830 بالغزو، وبدون محمد علي.

ويؤكد هذه الذريعة أحمد الجزائري [1] الذي يرى أن المناقشة بين الداي حسين، والقنصل الفرنسي دوفال (DUVAL) التي وقعت في 21 مارس 1828، أفضت إلى المشاتمة، ثم أخرج القنصل الفرنسي سيفه لضرب الداي، لهذا ضرب الداي للقنصل لم يكن سوى رداً على الإهانة. كما يؤكد أن القناصل الفرنسيين وقفوا مع الداي في هذا الشأن.

أما الدوافع الحقيقية للاحتلال، والتي خاض فيها الكثير من المؤرخين، فتمثلت في الموقع الاستراتيجي للجزائر، والدور الذي كانت تلعبه في البحر المتوسط، وتمتعها بثروات طبيعية كثيرة، ومحاولة فرنسا تسوية مشاكلها الداخلية على حساب الجزائر. فلإيقاف ثورات 1830 أراد الملك شارل العاشر إشغال الجيش، فأوجد له قضية الجزائر. دون أن ننسى الدوافع الدينية التي يؤكدها تصريح قسيس الجيش لقائد الحملة بورمون بأن باباً للمسيحية قد فتحت في إفريقيا.

وحسب أحمد الجزائري [2] – من عوامل نجاح الحملة – الأخطاء التي ارتكبها الداي حسين، والتي أدت إلى فساد العلاقة بينه وبين الجيش -خاصة- والمتمثلة في رفضه للصلح مع فرنسا، رغم حضور السفينة الفرنسية إلى ميناء الجزائر ثلاث عشرة مرة، وكان مبرره في الرفض هو أن يكون الصلح عنده لا عند فرنسا.

1- الجزائري: المصدر السابق، ص22.

2- الجزائري: نفسه، ص31.

نفس المصير لقيته محاولة كل من محمد علي باشا والإنجليز، وحتى السلطان العثماني، مما أدى إلى ازدياد المعارضة ضده، وقضائه على بعض رجاله أمثال قره مصطفى خوجة، كركور إبراهيم، دلي أمام ومحمد جاويش، بحجة رغبتهم في قتله.

وفعلاً كان لذلك يد في هزيمة الجزائريين في سيدي فرج في 19 جوان 1830، ورغم محاولاتهم العديدة لرد هذا التدخل العسكري الأجنبي، إلاّ أن العدو الفرنسي وصل إلى مدينة الجزائر ووضعها تحت التهديد.

حيث اجتمع الداي حسين بممثلي السكان، وقرأ عليهم مكتوب دوبورمون، فسلموا بالتسليم، بعدما حملوه المسؤولية.

وفعلاً يعترف حسين داي بخطئه في قوله لأحمد الجزائري "اعلم يا ولدي أنني شققت عصا ولي أمري، وخالفت أمره، فإنه لم يأمرني بفعل ما فعلته، ولهذا قد انهزمت، وفي يدي أعدائي وقعت. وهكذا يجازي الله كل من عصى مولاه وأطاع هوى نفسه والشيطان ".[1]

فكاد أن يقتل لولا الأمان الذي سعى إلى طلبه من قائد الفرنسيين أحمد أفندي الجزائري، فخرج وفق هذا الأمان الأتراك ومعهم أحمد الجزائري.

في حين أهم ما ميّز العلاقات الجزائرية – العثمانية في عهد الدايات (1671– 1830) [2] الذي يعد أطول العهود العثمانية في تاريخ الجزائر الحديث هو استقلال الجزائر الرسمي عن الدولة العثمانية سياسيا [3].

1- الجزائري، المصدر السابق، ص33.

2- أدرج مؤرخو العهد العثماني على تقسيم فترة حكم الدايات التي جاءت بعد فترة حكم الأغوات إلى ثلاثة أقسام وهي: عهد الدايات الرياس (1671-1684)، عهد الدايات الليولداش (1689–1711)، عهد الدايات الباشاوات(1711-1830).

3 – يؤكد هذا الاستقلال عبد الرحمن الجامعي – المعاصر لهذا الحدث– أنظر: عبد الرحمن الجامعي- " شرح أرجوزة الحلفاوي"، مخطوطة،رقم 2521، المكتبة الوطنية، الجزائر، ق10أ.

ومن مظـاهر هذا الاستقلال هو رفض الداي علي بـاشا شاوش (1710-1718) لمبعوث الباب العالي، إبراهيم باشا إلى الجزائر، بل ونجح الداي في كسب لقب الباشا الشرفي من الباب العالي، هذا الأخير الذي اعترف بسياسة الأمر الواقع. فأصبحت الجزائر قوة حليفة للسلطان العثماني أكثر منها قوة تابعة له، وإرسال الهدايا لم يكن يعبر على الحصول على الترسيم بقدر ما كان يعبر عن الولاء للسلطان كخليفة للمسلمين [1].

ولاستكمال عرضنا لعلاقات الجزائر في القرن الثامن عشر، نتطرق إلى طبيعة العلاقات بينها وبين كل من المغرب الأقصى وتونس.

نجد العلاقة الجزائرية مع المغرب الأقصى قد تحسنت في مطلع القرن الثامن عشر بعد فشل غارات مولاي إسماعيل على الغرب الجزائري في سنوات 1692، 1686، 1678، حيث اشتهر هذا السلطان المغربي الذي حكم في الفترة (1083-1140)هـ (1672-1727) بمشاريعه التوسعية الاقتصادية والعسكرية، والتي اصطدمت بقوة الجزائر الحربية مرتين، الأولى عـلى يد الداي شعبان سنة 1694م، والثانية سنة 1703 عند جديوية (غابة مولاي إسماعيل) على يد الداي مصطفى [2].

- ويؤكد هذا الفشل المؤرخ الجزائري أبو راس الناصري في قوله :

بعـد ألـــف ومـــائة جـهز * إسمـاعيل لها أقـاصي السوس
وأهـل تـامسنا وأهـل ملوية * وجـدة ومعقـل بنـي زنـس

1- خليفة ابراهيم حماش: " العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 الى 1830"، رسالة ماجستير، تاريخ والآثار، (القاهرة 1408هـ/1988م)، ص150

2- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني: " القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط "، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان1991)هامش ص69

فحط محاكله (كذا) حوله معتزما • على الإنزال فلم يجد محل (تبس)
فقال هــذه أفعى تــحت صخرة • تضر لا الضر يأتي لها من إنس [1]

وقد اشتهر الداي شعبان خوجه (1689-1695) بالتصدي لتوسعات مولاي إسماعيل، مما دفع بهذا الأخير إلى إرسال ابنه، مولاي عبد الملك برفقة مائة وعشرون شخص، منهم الوزير، والقائد، والمفتي، والباش كاتب سيدي الخلادي، وكثيرا من المرابطين، في 09 ذي الحجة سنة 1103 هـ إلى الجزائر لإبرام الصلح، وفعلاً تم ذلك بعدما مكثوا بالعاصمة اثني عشر يوما [2].

هذا الاستقرار المؤقت على الحدود الجزائرية-المغربية، كان الباعث على فتح وهران الأول.

لكن هناك من يرى أن للمغرب الأقصى يد في قيام ثورة درقاوة بالغرب الجزائري في مطلع القرن التاسع عشر، ضد سياسة الحكام العثمانيين، وبالتالي اعتبر ذلك تدخلا غير مباشر من الغرب الأقصى في شؤون الجزائر الداخلية، ومبعثا على توتر العلاقات من جديد بين البلدين [3].

وعلى نفس الوتيرة سارت العلاقات الجزائرية-التونسية حيث أبرمت معاهدة سنة 1705 بين الجزائر وباي تونس حسين بن علي - مؤسس الأسرة الحسينية - علما أن هذا السلم كان هو الآخر مؤقتا خلال القرن الثامن عشر،

1- أبو راس الناصري: "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية"، مخطوطة رقم 3182، المكتبة الوطنية، الجزائر، ص ص250-251.

2- DEVOULX: TACHRIFAT; Receuil de notes historiques sur l' Adminis - tration de l'Ancienne Regence d'Alger, (Alger , imprimerie du gouvern - ement, 1853) , p09.

3- أرزقي شويتام: "نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)"، رسالة ماجستير (جامعة الإسكندرية، مصر 1988)، ص35..

لأن التوتر بين البلدين سيتجدد خلال فترة حكم مراد باي، حسب وثيقة تاريخية وهي الرسالة التي بعث بها حسن بن خليل سنة 1206هـ إلى السلطان العثماني مما جاء فيها:

" ...إذا بحاكم تونس الذي يقال له مراد باي هجم على حدودنا أيضا من الناحية الشرقية ومعه من العسكر اثني عشر ألف مشاة ... خلاف ما معه من العربان الأشقياء...قصد مدينة قسنطينة حصرها وهدم برجا كان بالقرب منها...دام الحصار للبلد نحو التسعين يوما...وجهزت مائة وخمسين خبا مملوين بالغزاة خرجت قاصدا دفع العدو عن مملكتنا، ودارت الحرب بين الطرفين حيث انهزم مراد باي سنة 1188هـ" [1].

وقد وضع حدا لهذا التوتر بتدخل الدولة العثمانية، حسب شهادة أحمد الشريف الزهار الذي يقول: "ولما وصلت الفرمانات والرسل لأميري البلدين عندئذٍ تم الصلح، وفرح جميع المسلمين، واستبشروا بإطفاء هذه الفتنة وكان ذلك سنة 1235هـ " [2]. أما على مستوى الوضع السياسي الداخلي فيمكن القول: إذا كان القرنان السابع عشر والثامن عشر يمثلان أوج قوة الجزائر العسكرية، والسياسية والاقتصادية، بدليل استكمالها لوحدتها الترابية (الجغرافية) خلال القرن 18، وذلك بتحرير وهران والمرسى الكبير نهائياً، فإن الجزائر ما فتئت تعرف الضعف والتدهور منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، ومرد ذلك عدة عوامل نوجزها فيما يلي:

- بداية النفوذ اليهودي الذي عرفه عهد حسن باشا، حيث بدأت الجزائر

1- وثائق تتعلق بالعهد العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية قسم المخطوطات، مجموعة 3205، وثيقة 53، ص ص 1، 2.

2- أحمد الشريف الزهار، مذكرات (1168-1246)هـ = (1754-1830)م، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة الثانية، (الجزائر، 1930)، ص ص 147، 148.

تعيش أزمة سياسية – اقتصادية، حيث استفحلت ثورة درقاوة في الغرب الجزائري، وثورة بن الأحرش في شرقها سنة 1804.

– كما أن عظمة القرن الثامن عشر (18) في الجزائر تقاس بعظمة أعمال الرجلين محمد باي الكبير في الغرب الجزائري (1193-1210هـ) = (1779-1796م)، وصالح باي قسنطينة (1138-1206هـ) = (1725-1792م) في شرقه.

وجرت الأقدار بزوال هذه العظمة بعد رحيلها، لأن خليفة محمد الكبير (ابنه عثمان) لم يكن لا هو ولا من تلاه من بايـــات الغرب الجزائـــري في مستوى مشاريع وطموحات وأعمال الباي محمد الكبير.

أما الصالح باي فقد ظلت الذاكرة الشعبية مشحونة بمآثره رغم تعاقب تسعة بايات من بعده، حيث لم يوقفوا في أعمالهم الإصلاحية، ومن بين ما جاء في ذكره وجملته بعض الأشعار قولهم:

قالو العـــرب قالـــو * ما نعط صالح ولا مـــالو
قالو العرب هيهات * ما نعط صالح باي البايات

وتكفي الإشارة هنا – لتأكيد حالة الضعف التي عرفتها الجزائر أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر– إلى أنه منذ سنة 1790 إلى 1830 تولى الحكم ثمانية دايات، تم اغتيال ستة منهم [1]. وما تعرضت له السلطة من ضغوطات الطرق الصوفية منها الطريقة القادرية، حيث تم اعتقال باي وهران للشيخ محي الـــدين المختاري، وابنه عبد القادر (الأمير) [2].

1- شويتام : المرجع السابق، ص23.

2- أبو القاسم سعد الله: " أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، ج2، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان، 1990)، ص176.

وازدادت المنطقة اضطرابا بعد النهاية المأساوية التي عرفتها الدولة الجزائرية الحديثة يوم 1830.07.05 على يد الاحتلال الفرنسي، حيث سيعرف الغرب الجزائري -على غرار باقي المناطق الجزائرية- المقاومة بقيادة محي الدين، ثم ابنه عبد القادر.

المبحث الثاني

الوضع الثقافي

الوضع الثقافي

إن الوضع الثقافي هو المؤشر الذي يمكن أن نقيس به الحياة الفكرية، في أي مجتمع من المجتمعات، ومن خلال ذلك فقط نستطيع الحكم على مستوى وعي الفرد بأحداث عصره. وبما أن الثقافة لا تزدهر إلاَّ في ظل الاستقرار السياسي، والتطور الاجتماعي، فإن من المنطقي أن يفرز لنا الجمود الاجتماعي، وانعدام الاستقرار السياسي الذي عرفته الجزائر في الفترة المدروسة جموداً ثقافياً باستثناء بعض الحالات كما سنرى لاحقاً.

هذا رغم تعدل البنية الديمغرافية للمغرب العربي عامة، وللجزائر خاصة بالهجرة الأندلسية في القرنين الخامس والسادس عشر.

لكن الملاحظ هو أن التأثير الحضاري للأندلسيين لم يتعدى بعض الحواضر الغربية، كتلمسان، معسكر، مازونة [1] بل نجد المجتمع قد أخذ طابعاً ريفياً أكثر منه مدنياً.

أما في الشرق الجزائري فلا نكاد نكون مبالغين إذا قلنا أنه كان يعيش قحطاً ثقافياً على غرار الوضع في تونس، والذي يؤكده محقق كتاب المؤلف التونسي حسين خوجة هذا الأخير المتوفى سنة 1145هـ (1732م) والذي انتهى من تأليفه سنة 1137هـ (1724م)، حيث يقول المحقق:

---

1 - تبعد مازونة عن مرسى مستغانم بنحو سبعين كلم شرقاً، كانت عاصمة الغرب الجزائري قبل إنتقال الباي مصطفى بوشلاغم إلى معسكر.

"إن الكتاب جاء في فترة خلت من كتب التاريخ واتصفت بالركود العلمي، بسبب الوضع الاجتماعي والسياسي المضطرب "[1] كما اشترك المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة مع باقي مجتمعات المغرب العربي في انحلال إرادته، وتعلقه بالأماني، وتعليله بالخرافات.

وما يؤكد ما ذهبنا إليه أيضا هو قول أحمد توفيق المدني: " إن الجزائر لم تكن أيام العهد العثماني آخذة بأسباب التقدم العلمي ولم تكن سائرة بخطى حثيثة في مضمار العمران، وإنما كان شأنها في ذلك شأن بقية العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها" [2].

ويمكن استقصاء أكثر الوضع الثقافي من خلال دراستنا لـــ:

1- المراكز الثقافية:

قبل تحديد المراكز الثقافية، نشير إلى أن المؤسسات التي كان يسيرها رجال الدين هي التي كانت تدير التعليم عن طريق إيقاف الملكيات التي يكرس عائدها للنفقة على المنشآت التعليمية، وتقدم منه كأجر لرجال التعليم.

لكن في الفترة الاستعمارية، وبالضبط في عهد الجنرال بيجو ضمت الأوقاف إلى إدارة الدومين حتى تكون تحت سيطرة موظف فرنسي، ذلك رغم معارضة مصطفى بن الكبابطي مفتي المالكية [3].

فكانت بداية إخضاع القضاء الإسلامي للإدارة الفرنسية.

1- حسين خوجة : " ذيل بشائر أهل الإيمان، بفتوحات آل عثمان"، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، بدون طبعة (تونس 1395هـ/1975م) مقدمة المحقق، ص 70.

2- أحمد توفيق المدني: " محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، سيرته حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده "(الجزائر، 1986)، ص11.

3- تولى الإفتاء مرتين: الأولى 1831-1841، والثانية 1841-1843. أنظر: سعد الله - المرجع السابق، ص17.

أ- الكتاتيب القرآنية:

غالباً ما تكون في أضرحة الأولياء، وفي الدكاكين –هذه الأخيرة كانت هي الأخرى مكانا للمسامرة الأدبية ليلاً–، وفي المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس [1].

هذه الكتاتيب هي الأخرى لم تسلم من سياسة الجنرال بيجو حيث حاول فرض اللغة الفرنسية فيها على الصبيان المسلمين [2].

ب- الرباطات:

وكان أغلبها على السواحل حيث كانت وهران أعظم رباط مارس فيه الطلبة الجهاد والتدريس على حد سواء، خاصة أثناء تحريرها الأول والثاني.

ج- الزوايا:

كانت الممثل الأول للثقافة في الريف، أما في المدن فبالإضافة إلى وظيفتها التعليمية، فهي مسكن للطلبة الوافدين على العواصم، مثلاً كانت في قسنطينة ست عشرة (16) زاوية، وفي مدينة الجزائر ست زوايا (06)، ثلاث منها (03) خصصت لعرب الغرب ، واثنتان (02) لعرب الشرق [3].

يكمن دور الزاوية في تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس الفقهيات والعقائد، وقواعد النحو، والصرف، وقانون البلاغة والحديث، مما أعطى للثقافة الجزائرية في هذه الفترة صبغة دينية [4]، أكثر منها أدبية أو علمية.

---

1 – محمد بن ميمون الجزائري:" التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة الأولى، (الجزائر 1392هـ/1972م)، مقدمة المحقق.

2– سعد الله: المرجع السابق، ص13

3 - Marcel EMERIT; " Etat Intellectuel et Moral de l'Algerie en 1830 ", in R.H.M.C, Tome I, Paris(Juin-Juillet- Aout 1954) , p203

4- EMERIT; Ibid.; p200.

د- المساجد والمدارس:

المساجد كثيرة، مثل الجامع الكبير بالعاصمة، أما المدارس فنجدها في المدن الحضرية التي كانت تضم أيضا غرفا لإيواء الطلبة الوافدين عليها، حيث كانت تضم الجزائر العاصمة 24 مدرسة كالمدرسة القشاشية.

ونجد 39 مدرسة بعنابة، حيث ازدهرت هذه المدارس في الشرق الجزائري في ظل السياسة الثقافية لصالح باي قسنطينة، الذي قام بتأسيس مسجد ومدرسة سيدي الكتاني عام 1775، ومدرسة ملحقة بالجامع الأخضر عام 1789م، هذا بحاضرة قسنطينة التي كانت تضم 80 مدرسة حسب دوماس (DUMAS) [1]، أما بعنابة فقد شيد الجامع الذي ظل يحمل اسمه -صالح باي- بينما نجد بالغرب الجزائري مدرسة مازونة التي أسست من طرف دفينها محمد الشريف بن أحمد في غرة القرن الحادي عشر الهجري، وقد تخرج منها عدة علماء [2] وخمسون (50) مدرسة بتلمسان.

نلاحظ أن الغرب الجزائري كان أكثر انتعاشا - ولو لزمن قصير- لا سيما في ظل سياسة وحكم محمد باي، الذي أعاد لوهران محتواها وعمقها الثقافي الإسلامي، بعدما حرمت منه طيلة الاحتلال الإسباني.

ويكفي هنا أن نشير إلى أن سياسة هذا الباي الثقافية كانت من أكبر العوامل التي أدت إلى ظهور مؤلفات، والتي منها ما هي موضوع بحثنا هذا.

لكن الأعمال والمآثر الثقافية لمحمد باي، وصالح باي، كانت حالة استثنائية، وتجربة لم تعمم، وآثارها لم تتعد الحيز الإقليمي (الحاضرة).

---

1 - إيفون تورين: " المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880 "، تقديم ابوعمران الشيخ، مجلة الأصالة، عدد 06، السنة الأولى (ذو الحجة 1391هـ/جانفي 1972)، ص117.

2- سعد الدين بن أبي شنب: " النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة "، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، السنة الأولى، (جامعة الجزائر، 1964)، ص38.

عرفت هذه المراكز عشية الاحتلال، التدمير والتحويل والتخريب، من خلال جملة من القوانين أصدرتها الإدارة الفرنسية، مثل مرسوم 08 سبتمبر 1830، الذي ينص على مصادرة ممتلكات البايليك، والحبوس والمساجد، والزوايا، والمدارس القرآنية [1]. ثم تلتها القوانين التي أصدرها، الجنرال بيجو القاضية بضم هذه الأوقاف -التي كانت تمول المراكز الثقافية- إلى إدارة الدومين سنة 1843. وعلى أنقاضها أسست الإدارة الاستعمارية، المدارس الإسلامية، وسميت أول مدرسة " المدرسة الموريسكية-الفرنسية "، والتي أسست في مدينة الجزائر سنة 1836 [2].

كانت تهدف فرنسا من وراء هذه السياسة تخريب وتدمير الهوية الوطنية الجزائرية، وتحقيق المشروع الذي أسمته بالاندماج عن طريق التعليم، حيث كان يرى المسؤولون الفرنسيون أن بناء مدرسة أفضل من فيلقين لإقرار الأمن.

2- مستويات التعليم:

يمكن أن نميز ثلاث مستويات تعليمية في الجزائر أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، وهي:

أ- المستوى الابتدائي:

يكون فيه سن التمدرس ما بين الست والعشر سنوات، في الريف يلقن هذا التعليم في الخيمة، من طرف المؤدب، الذي يعينه رئيس الدوار أو الجماعة، وفي المدن يزاول في المدارس التابعة للحبوس، ويقوم المؤدب بتدريس

1-Badra LAHOUEL; "politique coloniale identite nationale et supra nationale en Algerie, 1830-1937 "

المجلة التاريخية المغربية، العدد 49-50، (تونس جوان، 1988)، ص73.

2- IBID. ; p75.

الشريعة الإسلامية لعدد من الأطفال يتراوح عددهم ما بين العشرين والثلاثين طفلاً، وبالإضافة لكون المؤدب مدرساً، فهو أيضاً مقرئ وإمام، أما مدة التكوين فهي أربع سنوات، يتعلم خلالها الطفل مبادئ الدين، والقـــراءة والكتابة [1].

ب- **المستوى الثانوي**: يمارس في المساجد والمدارس التي تُسيَّر بعائدات الأوقاف، وهبات التلاميذ والصدقات، يعّين المدرس فيها من طرف الباي، وهو يجمع بين التدريس والقضاء والإفتاء، حسب إيمريت (EMERIT) أنه وجد في قسنطينة خمسة وثلاثون مسجداً (35)، وسبع مدارس(07)، وسبعمائة تلميذ(700) ومن ألفين (2000)إلى ثلاثة آلاف(3000) تلميذ يتلقون التعليم الثانوي في كل إقليم [2]، ليتحصل التلميذ على إجازة ويصبح (طَالب) فيقبل كمؤدب أو كاتب.

جــ- التعليم العالي:

تُلقى دروسه في المساجد الرسمية مثل المسجد الكبير بتلمسان، وفي الجزائر نجد هذا النوع من التعليم في زاوية القليعة، زاوية مليانة، وفي قسنطينة في مسجد سيدي لخضر، ملقنه يسمى عالِمًا.

ونجد من ستمائة (600) إلى ثمانمائة (800) طالب في هذا المستوى في كل إقليم[3].

يتضمن برنامج التعليم العالي المواد التالية : الحقوق (الفقه) وهو قسمان:

أولاً: قواعد الصلاة والفرائض الدينية.

ثانياً: القضاء السياسي، والمدني، والجنائي.

1- EMERIT; OP.CIT, p202-203.
2-.IBID; p204.
3- IBID; p204.

ثالثا: التفسير ويضم العقائد، الأخلاق، تفسير القرآن، الأحاديث، علم الحساب، وعلم الفلك لمعرفة أوقات الصلاة [1]. بينما كان علم المنطق محرماً، لأنه في اعتقاد علماء هذا العصر أنه يؤدي إلى الفلسفة، وهذه الأخيرة تؤدي إلى الإلحاد، ونستدل هنا بقول أحد علماء القطر الجزائري الذي توفي سنة 1780، وهو عبد القادر الراشدي، حيث يقول:

خبــر عني المــريد بأننــي * كــافر بالذي قضته العقــول
ما قضته العقول ليس من الد * ين بل الدين ما حوته النقول[2]

رغم أن الطابع الثقافي كان نقلياً أكثر منه عقلياً، إلاّ أن الجنرال ولسن إسترهارزي (W. Esterharz) وإسماعيل إيربان يشهدان على أمية 45% فرنسي في الوقت الذي كان فيه أغلب الجزائريين يعرفون القراءة والكتابة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر[3].

كما يضيف إيمريت أيضا أن المدرس كان محضوراً عليه تدريس السياسة، لأنه باستطاعته استعمال الثقافة للإطاحة بالحكم.

كما تجدر الإشارة إلى أنه في هذه الفترة لا يمكن الفصل بين الأديب والعالِم، كما لا يمكن التمييز بين الإنتاج الأدبي والعلمي، بأي حال من الأحوال، لأن مفهوم العالم هو الملم بعلم المنقول، والمتمكن من القرآن والحديث، وعلم اللغة، وأصولها، والعالم هو بالضرورة أديب لأن اللغة تدرس لخدمة الدين، ولم يوظف الدين لتطوير اللغة.

1- Emerit OP. CIT, p204.

2- ابن ميمون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص48.

3 - EMERIT, IBID, p207.

3- الإنتاج الثقافي:

إن أغلب من ترك تراثاً ثقافيا في هذه الفترة، هم رجال الحواضر والرحالة، وعلى رأس الرحالة الجزائريين في القرن الثامن عشر 18 نذكر: الحسين الورثلاني الذي تعد رحلته " نزهة الأنظار " شاهدا على وجود الحوار الثقافي بين علماء الجزائر والمشرق العربي[1]، -رغم المنهج الكلاسيكي الذي طبع الرحلة، والذي يعكس ثقافة العصر الذي عاشه المؤلف (القرن الثامن عشر) - كما سنبين ذلك في الفصول اللاحقة-. كذلك إنتاج أبي راس الناصري المعسكري سواء كان شعراً أو تدوينا [2]، وحتى بعض الاستثناءات ككتاب بن المفتي الذي ترجمه إلى الفرنسية دلفان (Feu.DELPHIN)، لم يعتبره هذا الأخير جريدة يومية لما تضمنه من ذكريات العائلة، بل هو كتاب تاريخ ينقسم إلى أجزاء[3].

كما خلف القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر إنتاجا أدبيا غزيرا ذو طابع سياسي، تاريخي لأنه كان وليد الظروف، والمناسبات، ومن ذلك القصائد العديدة التي قيلت في مناسبتي تحرير وهران الأول والثاني، ونذكر هنا على سبيل المثال -لا على سبيل الحصر- أبياتا من قصيدة الشاعر العاصمي بن عبد الله محمد الملقب بإبن أقوجيل المتوفى قبيل فتح وهران الأول، حيث يحرض الداي الحـاج أحمد [4]، خليفة الداي شعبان ويحثه على

---

1 -صالح فركوس: " الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية بايلك الغرب الجزائري "، مجلة الثقافة، العدد 71، (الجزائر، السنة 12، سبتمبر، أكتوبر 1982) ص21.

2- أنظر: لاحقاً الفصل الأول، ص 80.

3- ANONYME = un historien arabe d'Alger au XVIII siecle (18e); in R.H.C.F, onzieme annee, Tome XV, (paris premier semestre 1923) p322

4- هو أبو العباس أحمد داي الجزائر في الفترة (1106-1109)هـ= (1695-1698)م

تعبئة الجهود لتحرير وهران بقوله:

أضرم على الكفار نار الحرب لا * تقلـع ولا تمهلـهم بفتـور
وبقربنا وهـران، ضرس مـؤلم * سهل اقتلاع في اعتناء يسير [1]

وكتابات أخرى تندد بالاحتلال الفرنسي في مطلع القرن التاسع عشر، كتاب " المرآة " لحمدان خوجة.

يكفينا هنا وصفاً - وصف أبي راس الناصري - لرداءة المستوى الثقافي بصفة عامة والتاريخ بصفة خاصة حيث يقول: " إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم، ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، ودياره، وعفت أطلاله ومعالمه، لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان وأشرفت شمسها على الأفول، واستوطن مجدها زوايا الخمول [2]..."

فمهما بلغ الإنتاج الثقافي خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، من حيث الكم، ورغم تعدد مراكزه ومحاولة رجاله فك الحصار المضروب عليهم (بالسياسة والجغرافيا) عن طريق الرحلات شرقاً وغرباً، إلا أنه لم يرق إلى درجة النضج الفكري، لأن الثقافة لم تكن مبدعة بقدر ما كانت ظرفية، وجهوية-إقليمية، نقلية أكثر منها عقلية.

هذا ما سنؤكده خلال دراستنا لعينات من مصادر هذه الفترة.

1- ابن ميمون: المصدر السابق، المقامة التاسعة، ص207.

2- أبو راس الناصري: " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مخطوطة، رقم 2003، المكتبة الوطنية، الجزائر، ق2ب.

المبحث الثالث

الحياة الاقتصادية

الحياة الاقتصادية

ندرسها من خلال النقاط التالية:

تميّز المستوى المعيشي في هذه الفترة بالتدهور الخطير حيث عرفت سنوات 1786-1787، 1788، انتشار مرض الطاعون الذي حصد الكثير من الأرواح البشرية من المسلمين واليهود، كبنو ميزاب الذين كانوا يستخدمون الحمامات العمومية، واليهود الذين كانوا يشترون الملابس القديمة لأنها رخيصة الثمن، ولم تسلم من هذا المرض حتى الماشية.

وقد بلغ مجموع ضحايا هذه السنوات 16.208 ضحية [1].

كما عرفت الجزائر وباء 1817 والذي دام ثلاث سنوات، وعم جميع أنحاء البلاد، أما المجاعات فقد استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر، ويعود هذا إلى:

- قلة المواد الغذائية خاصة الحبوب [2]، مما دفع بالسلطة إلى استيرادها.
- الظروف السياسية السابقة الذكر، والتي انعكست سلبا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.
- ضعف النشاط التجاري في هذه الفترة - رغم وجود متنفس جديد -

1-لوسات فلنزي: "المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790-1830"، "نقله إلى العربية حمادي الساحلي، (تونس، نوفمبر 1994) ص125.

2-ناصر الدين سعيدوني: " النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)،" الطبعة الثانية، (الجزائر، 1985) ص ص 33-34.

وهو ميناء وهران والمرسى الكبير، وهذا يعود إلى ضعف الأسطول، وتعطل الكثير من السفن [1]. أما الصادرات الجزائرية فرغم تنوعها (الصوف، الشعير، اللوبيا، العدس، ريش النعام، نبات الكتان...) إلاّ أنها كانت في يد الفرنسيين وتتجه نحو فرنسا بحكم تمتعهم بامتيازات كصيد المرجان بالقالة، وبيد اليهود نحو ليفورنيا، مقابل مواد كمالية كالعطور. وكان يدفع هؤلاء مقابل تمتعهم بحق التصدير والاستيراد ضرائب للسلطة.

أما العلاقات التجارية بين الجزائر والمشرق، فقد كانت ضعيفة وتتم عبر ميناء الإسكندرونة، وأزمير، أما مع إفريقيا فكانت منعدمة تقريباً.

رغم هذه الأوضاع المزرية، وجدنا الداي حسين -في رسالة له- موجهة إلى ملك إسبانيا كارلوس، بتاريخ 13 ذو الحجة 1205هـ/13 أوت 1791، يعرض عليه بعض المنتوجات بقوله: " فإذا احتاج صاحب الفخامة إلى شيء من قبيل الحنطة، أو الأبقار، أو غيرها، فلا بد من دفعها، وتسخيرها إليكم دون أن يمنع وجود البرج في يدنا وتحت تصرفنا..." [2].

ومما زاد هذه الأوضاع سوءاً قرارات مؤتمر فيينا سنة 1815 وقرارات مؤتمر إكس لاشابيل سنة 1818، التي ترمي إلى تضييق الخناق على الملاحة البحرية في المتوسط.

أما بدخول المحتل الفرنسي سنة 1830 فقد صدرت جملة من القوانين لمصادرة الأراضي كقانون 31 أكتوبر 1845 [3] والذي ينص على مصادرة أراضي القبائل الثائرة ضد فرنسا، وقانون سيناتوس كونسولت وغيرها.

1- أبو القاسم سعد الله : " عن النشاط العسكري والتجاري للجزائريين في القرن 18م (12هـ) "، المجلة التاريخية المغربية، عدد 33-34 (جوان 1984)، ص195.

2- بوعزيز : المراسلات، المصدر السابق، ص150.

3-LAHOUEL; OP.CIT, p72

ويكفي أن نذكر هنا مدى استفادة أوربا وفرنسا -خاصة- من مجهودات المرأة الجزائرية في الخياطة والطرز حتى نؤكد فكرة توجيه الاقتصاد الجزائري وثروات الجزائر إلى خدمة اقتصاد فرنسا[1].

1-Charles, DESPREZ; Les Ouvroirs Musulmans; Alger, publie par le courrier de l'Algerie, 1863 Article N 04

الفصل الأول

دراسة وصفية للإنتاج التاريخي في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة

نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 م.

الدراسة الوصفية

قبل الخوض في تفاصيل هذا الفصل تجدر الإشارة إلى محاولتنا الإلمام بقدر الإمكان بترجمة المؤلِّف، لأننا وجدنا ذلك أمراً عسيراً، لعدة عوامل، منها: الظروف السياسية المضطربة التي عاشها المؤلف، والحزازات الشخصية التي طبعت هذه الفترة، حيث لم ترد معظم المصادر في الفصل الخاص بترجمة صاحبها، بالإضافة إلى ضعف علم التراجم -على غرار باقي العلوم في هذه الفترة-.

وحتى المستشرقين مثل: هوداس، بودان، فور بيغي (F.Beguet) وأرنود (ARNAUD) لم يهتموا بتراجم هؤلاء بقدر ما اهتموا بمضمون المخطوط.

1- عبد القادر المشرفي (ت 1778)

أ- المؤلف:

مولده ونسبه: لم نجد ذكرا لتاريخ مولد المشرفي، في حين وجدنا أنه ينتمي لأسرة المشارفة التي مقرها مدينة معسكر، وغير الغريبة على المجال الثقافي، فمؤلفنا -كما عرّف به الناسخ، وأكده بنفسه (المشرفي) في آخر تأليفه " بهجة الناظر "-، هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي المعسكري، المعروف " بستط "، -حسب تلميذه الناصري- الذي كان يقول لابنته: "كيف بنام والدك وخلفه سقط"[1] -يقصد المشرفي-كما لقب أيضا بإمام الراشدية.

وهو والد العالم القاضي الطاهر المشرفي، والمؤرخ الجزائري للقرن التاسع عشر أبو حامد العربي المشرفي -المتوفى سنة 1895- وجدُّ بن عبد الله

1- عبد القادر المشرفي: " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر"، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، (بيروت، لبنان، بدون تاريخ) مقدمة المحقق، ص 06.

المشرفي الحافظ الذي تولى الخلافة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر[1].

شارك عبد القادر المشرفي في تحرير وهران الأول، وشهد عودة الاحتلال الإسباني لوهران سنة 1732م.

أما تاريخ وفاته المتفق عليه، فهو يوم الخميس 10 رمضان سنة 1192هـ (أكتوبر 1778)، ويبدو أنه توفي في سن الشيخوخة، لأنه بين الفتح الأول (1707) –حيث كان شابا قادرا على الجهاد– وتاريخ وفاته (1778) واحد وسبعون سنة، ودفن في مسقط رأسه " الكرط " من ضواحي معسكر، وقد رثاه الناصري بقصيدة رائية طويلة جدا جاء في مطلعها:

لقد كان للإسلام كهفا وملجــأ ** تراه في أقل الشؤون يبادر
له الباع في كل العلوم بأسرها ** سريع الجواب ليس بضاير[2]

شيوخه وثقافته:

وجدنا المشرفي –الذي يشهد له تلميذه الناصري بالعلم– قد قرأ على أبرز شيوخ عصره، سواء كانوا في المشرق أو المغرب العربي، وممن أجازه منهم نذكر: محمد بن محمد عربي النباني المالكي، علي بن محمد الميلي، محمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري المدني، وغيرهم. فكان إماماً محدثا وعالما نحريرا –على حد تعبير علماء زمنه– مما جعل جد الأمير عبد القادر،

1- أحمد بن سحنون الراشدي: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، (الجزائر، مارس، 1973)، مقدمة المحقق، ص33

2- بن عودة المزاري :" طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر ، واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، " تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1 الطبعة الأولى، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ، 1990)، ص2

الشيخ مصطفى بن المختار الراشدي يختاره للتدريس في معهده بالقيطنة [1].

أين تعرف على تلميذه الناصري الذي كان له أستاذا، كما كان لغيره من طلبة القرن الثامن عشر.

نفهم من ذلك أن المشرفي كان مدرسا بقدر ما كان مؤلفاً، كما سنتبين من خلال:

إنتاجه:

ترك عدة مصنفات، منها رسالة محمد بن علي الخروبي المعروفة بـ "الدرة الشريفة على أصول الطريقة"، ونظما بعنوان "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط".

وكان هذا الشرح محل تقدير أبي راس الناصري، ومحمد بن مالك قاضي الجزائر سنة 1226هـ، كما علق عليه إبنه محمد الطاهر المشرفي.

كما ترك مجموعة رسائل إخوانية جمعت الاهتمام بالفقه والأدب من ضمنها رسالة موجهة للشيخ الحبيب الفيلالي، توجد ضمن أوراق الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 258 د [2]. ويذكر الأستاذ عبد الله الركيبي في كتابه " تطور النثر الجزائري "أن للمشرفي رحلة توجد ضمن مخطوطات زاوية الهامل.

اشتهر المشرفي بتأليفه عن قبائل وهران وعلاقتها بالإسبان من خلال كتابه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر".

1- ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص33.

2-ناصر الدين سعيدوني: " من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "، " تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين "، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999) ص412.

ب- المؤلف (بهجة الناظر):

أول من نشر هذا المخطوط ملحقا بترجمة فرنسية مع بعض التعليقات في الهامش هو مارسيل بودان (MarcelBODIN) في المجلة الإفريقية[1]، ثم حققه، وقدم له، ونشره - مطبوعا- محمد بن عبد الكريم، في واحد وستين صفحة (61). يغطي المخطوط (33 صفحة)، أما باقي الصفحات فهي مجهود المحقق، هذا الأخير الذي يصرح باعتماده على نسختين:

الأولى بمكتبة وهران تحت رقم 429، خطها مغربي، والثانية منشورة بالمجلة الإفريقية - وهي التي اعتمدنا عليها- كتبت بخط مغربي واضح.

ويبدو أنها نسخة غير أصلية، نسخت بعد وفاة المشرفي، كما نفهمه من مقدمة الناسخ، لكن نهاية المخطوط كانت للمؤلف، حيث لم نجد لا نهاية الناسخ ولا تاريخ النسخ، قيَّد فيها المشرفي تاريخ انتهائه من التأليف وهو (أوائل رجب سنة 1178هـ أواخر ديسمبر 1764-3 جانفي 1765) حيث يقول: "وقد تم على يد جامعه في أوائل رجب الفرد الحرام، عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، أفقر العبيد إلى مولاه ذي الإكرام والجلال، عبد القادر ابن عبد الله محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي ... "[2].

لم يقسم المشرفي تأليفه هذا لا إلى فصول ولا إلى عناوين، لكن نستطيع تحديد الأفكار التالية فيه: التعريف بالإسبان وإسبانيا، وتاريخ احتلالهم لوهران والمرسى الكبير، تاريخ بناء البرجين الأحمر، وبرج المرسى، وخضوع العرب المتنصرة للإسبان، وهو الموضوع الأساسي للتأليف.

1-Marcel BODIN; "L'Agrement du lecteur, notice historique sur les arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation d'Oran, par Si Abd El Kader El Mecherfi " in RA, vol 65, 2eme trimestre, Alger 1924 pp 193-260

2- BODIN, Ibid., p220.

2- الحسين الورثلاني (ت 1779) :

أ- المؤلف:

مولده ونسبه: ترجم له أبو القاسم الحفناوي في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف"[1] كما اهتم بالترجمة له آخرون، وأهم ما اتفق عليه هؤلاء، أنه ولد سنة 1125هـ/1713م ببني ورثلان ببجاية [2].

واسمه الكامل هو الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، ينتسب إلى أسرة علم وصلاح، أصلها من جنوب المغرب الأقصى تافلالت، ثم انتقلت إلى بجاية ربما لأنها حاضرة الحماديين، عرفت بالعلماء والمفكرين، ثم دولة الموحدين.

ويؤكد الورثلاني نسبه إلى جده علي البكاي البجائي، هذا الأخير الذي انتقل من بجاية إلى بني ورثلان بالقبائل الصغرى.

وتوفي في شهر رمضان عام 1193 هـ (1779)[3]، عن سن تناهز الثمانية والستين(68) سنة ودفن بموطنه قرية (أنو).

شيوخه وثقافته:

كان والده أولى أشياخه، حيث كان يدير الكُتاب لحفظ القرآن، ثم أشياخ بلدته، بعدها انتقل إلى زوايا ومعاهد العلم بالقرقور، جرجرة، دلس والجزائر.

وخــلال حجاته الثلاثة: الأولى وهو ابن الثامنة عشرة (1153هـ/1740)،

1- أبو القاسم الحفناوي : "تعريف الخـلف برجـال السلف"، الطبعة 2، (1985،) القسم الثاني، ص 139.

2 - ما زال قبره يزر في قرية صغيرة تسمى " أنو "، وتضم المسجد الذي سمي باسمه، وحيث كان يلقى الدروس.

3 -سعيدوني: من التراث، المرجع السابق، ص419

والثانية وهو ابن الواحدة والأربعين (1166هـ / 1752م)، والثالثة (1179هـ-1181 / 1765-1767م) -أتممها في الرابعة والخمسين من عمره-. درس بالقاهرة على يد علماء الأزهر، مثل محمد البليدي، الحفناوي، الجوهري، النفزاوي، العفيفي وغيرهم.

عرف الورثلاني بتصوفه، وانتمائه للطريقة الشاذلية، لذلك عُدَّ من المرابطين.

إنتاجه:

إضافة إلى كونه مدرسا بمسجد أسرته، ترك الورثلاني، عدة مصنفات وتأليف مثل شرحه لمنظومة القدسية في التصوف للشيخ عبد الرحمن الأخضري، وله تعليق على حاشية السكتاني وكتاب المرادي، وقصيدة من خمسمائة (500) بيت في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- ميمية. وشرح لم يكمله على محصل المقاصد لأحمد بن زكري التلمساني، وله رسائل إخوانية، ورسالة في شكل جواب على قول بعضهم " خضت بحرا وقفت الأنبياء بساحله "[1].

ب- المؤلف:

أما في ميدان التاريخ فقد عرف الورثلاني بكتاب " الرحلة "والذي عنوانه: " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار "، الذي انتهى من تأليفه عام 1182هـ، أول ما طبع بتونس، أما الطبعة التي أعتمدناها فهي مطبوعة بمطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر عام 1327هـ/1908م، والتي قدم لها ونشرها محمد بن أبي شنب، إعتمادا على أربعة نسخ، ثم أعيد نشرها

1- الحسين الورثلاني: " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار " " الرحلة الورثلانية "، نشر وتقديم محمد. بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، (الجزائر، 1908) ص د

مصورة ببيروت عام 1974 [1]. هذه الرحلة اخترناها لتكون موضوع دراستنا التحليلية في الفصول القادمة.

3- محمد بن محمد التلمساني (توفي 1780):

أ- المؤلف:

مولده ونسبه: هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلالي بن رقية الجديري التلمساني، لا يعرف عن حياته سوى أنه عاش في نهاية القرن الثاني عشر للهجرة (12)هـ الثامن عشر للميلاد (18) م، وتوفي سنة 1194هـ/1780م.

إنتاجه: عُرِّف التلمساني بتصنيفه المعنون بـ " الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة " توجد عدة نسخ من هذا المخطوط، منها اثنتان بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وهي في حالة جيدة، تتشابهان في بداية ونهاية المخطوط، وحتى في تاريخ النسخ، الذي كان يوم الخميس 11 جمادى الثانية عام 1194 هـ[2].

الأولى تحت رقم 1626، عدد أوراقها عشرة (10)، والثانية تحت رقم 2603 وتضم 47 صفحة، كما تتضمن هذه النسخة ابتداءاً من صفحة 49 موضوعاً آخر، وهو موضوع غزوات عروج وخير الدين. ويحتمل أن تكون هاتين النسختين الأقرب إلى تاريخ التأليف الذي كـان في 14 ذي الحجة 1193 هـ / 1779م.

كما توجد نسخة ثالثة بمكتبة ميونيخ بألمانيا تحت رقم 419، ونسخة بمكتبة سعد الدين بن أبي شنب. وأول من تـرجم الزهـرة النائـرة هو ألـفونس

---

1 -سعيدوني: من التراث المرجع السابق، ص421.

2- التلمساني: مخ، السابق، ق 10.

روسو(A. ROUSSEAU) بعنوان يوميات إيالة الجزائر [1] ونشرت سنة 1841.

ولكن فائدة هذا التأليف كانت مع سليم بابا عمر الذي قام بالعنونة والتعليق على هذه المخطوطة (1626)، في إطار نيله لدبلوم الدراسات المعمقة من جامعة الجزائر، ونشر هذا العمل في مجلة تاريخ وحضارة المغرب[2].

ورغم أننا لم نعثر للمؤلف سوى على هذا التأليف، إلا أننا أدرجناه ضمن دراستنا التحليلية، لما يحتويه من قيمة تاريخية، لتاريخ الجزائر في العهد العثماني، وبالتحديد موضوع الاعتداءات الخارجية على الجزائر إلى سنة 1775م.

4- ابن سحنون الراشدي: والثغر الجماني: ت بعد (1211 هـ- 1796م)

أ- المؤلف:

مولده ونسبه: هو كما عرفه شيخه محمد بن عبد الله الجيلالي[3]، وكما صرح بنفسه في آخر تأليفه، الفقيه النحرير الحسيب الشهير أحمد بن محمد بن علي، بن سحنون الشريف الراشدي[4]، ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم ببني رشد، منها والده قاضي معسكر الشيخ محمد بن علي سحنون، هذا الأخير الذي كان أستاذا للناصري.

إذا كان تاريخ ومكان ميلاد المؤلف مجهولين، فما يمكن تأكيده هو أنه من مواليد النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ومعاصرته لأحداث فتح وهران

1- A. ROUSSEAU: Chroniques de la Régence d'Alger, Trad d'un manuscrit arabe, intitule " El Zahrat El Nayerat ", (Alger, 1841 214p.)

2- التلمساني: " الزهرة .." نشر سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب: رقم 3، جويلية 1967 (ص ص2-32).

3- قام برحلات علمية إلى فاس والمشرق، ثم اختاره الباي محمد الكبير لإدارة مدرسته بالمحمدية، بمعسكر ثم عيّنه رئيسا لرباط الطلبة بإيفري أثناء حصار وهران.

4- ابن سحنون، المصدر السابق، ص ص 229-230.

الثاني، لأنه كان من ملازمي بلاط الباي الفاتح، وصديقا حميما لابنه عثمان – ابن الباي –، وشيخا لأبي راس الناصري.

شيوخه وثقافته: نشأ ابن سحنون بمعسكر، ولم نجد أحسن شاهد على ثقافته، من شيخه السالف الذكر – والذي لم يذكر الناصري سواه – والذي ذكر في إجازته له (لابن سحنون) أنه قرأ عليه صحيح البخاري، والقرآن الكريم، وألفية بن مالك [1].

استنادا إلى تأليفه الذي نحن بصدد دراسته، نقول إن ثقافته أساسها ديني، كغيره من علماء عصره (فقيه)، لكنه تميّز بتمكنه الأدبي خاصة في اللغة، حيث وجدناه شاعراً وناثراً، وشارحاً –ذلك بالنسبة لعصره– كما امتازت ثقافته بالشمولية، فهو ملم بأحداث عصره، له آراء في الديانة المسيحية، ووعي بعلم التاريخ، عارفا بأحداث الثورة الفرنسية، ومطلع أيضا على علم الفلك والنجوم والأهرام... إلخ [2].

ومن الوظائف التي تولاها، الكتابة لدى الداي محمد الكبير (1193هـ/ 1211م – 1779 / 1796)، ومدّرساً لطلبة الرباط أثناء محاصرة الباي لوهران 1203هـ/ 1789م.

إنتاجه:

بالنسبة لإنتاجه الشعر وجدناه متضمنا في كتابه "الثغر الجماني"، وعلى رأسه أرجوزته التي هي أساس التأليف، أما ما صرح به ابن سحنون من عمل تدويني زمن الباي الفاتح فهو:

– اختصاره لكتاب الأغاني في نحو ثمانين صفحة.

1- ابن سحنون المصدر السابق نفسه، ص ص 230، 231

2 -نفسه، ص ص 140، 222، 424، 418، 420.

- جمع طب القاموس وزاد عليه من كلام الأطباء.

- له كتاب في الأدب أسماه " عقود المحاسن " والذي قال عنه أن الأيام لم تسمح بإيصاله إلى الباي.

- له " شرح العقيقة " [1]، وكتاب " الأزهار الشقيقة " [2]، لكن للأسف - يعد إنتاجه هذا في حكم المفقود - في حدود معلوماتنا - باستثناء كتاب الثغر الجماني.

ب- المؤلف (الكتاب) (الثغر الجماني):

توجد منه نسخ نادرة، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 5114 ومخطوطة خاصة في ملكية الشيخ المهدي البوعبدلي، وأخرى بالملكية التيمورية بالقاهرة تحت رقم 2186، ولعدم تمكننا من الوصول إلى المخطوطتين، اعتمدنا المخطوطة التي حققها الأستاذ المهدي البوعبدلي، فرغم ما قام به من جهد في إنقاذ هذا المخطوط من الضياع بنشره مطبوعا، إلا أننا نرى أنه في حاجة إلى إعادة تحقيق لنقص قواعد التحقيق فيه، حيث يفتقر الكتاب إلى الملاحق، والفهارس -باستثناء فهرس الموضوعات- مقابل ما يكتسيه من قيمة علمية تاريخية.

فالمحقق الذي استغرقت مقدمته إثنين وثمانين صفحة (ص07-ص88) من جملة صفحات الكتاب الذي يضم 477 صفحة، لم يصرح لا بالنسخ

1- العقيقة: منظومة شعرية بالملحون للشاعر الشعبي أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني، أتمها سنة 1088 هـ، فتسابق الأدباء إلى شرحها منهم أوراس الناصري. هاجر المنداسي إلى المغرب والتحق ببلاط الملك محمد بن عبد الله العلوي، ثم ببلاط مولاي إسماعيل، وتوفي بسجلماسة في منتصف القرن 12هـ (مطلع القرن الثامن عشر)، أنظر : ابن سحنون : المصدر السابق، ص56، الهامش..

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الربع عشر الهجري (16-20م)، ج2، بدون طبعة (الجزائر 1401هـ، 1981م) ص 356.

المخطوطة المعتمدة، ولا بمكان وجودها، بل قسم مقدمته إلى قسمين: الأول أشبه بكتاب تناول فيه جوانب من تاريخ العهد العثماني في الجزائر، والثاني خاص بتقديم " الثغر الجماني " مُلَخصًا، لذلك يعد عمل المحقق أقرب إلى النشر منه إلى التحقيق.

تضمن الكتاب عدة قصائد شعرية للمؤلف ولغيره من الشعراء سواء من معاصريه، مثل أحمد المقرى القرومى[1]، أو قريبي العهد به مثل الحلفاوي وهي في مجملها في مدح الباي.

5- ابن زرفة:

أ ـ المؤلف:

مولده ونسبه: هو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن زرفة الدحاوي[2] – زرفة هي مرضعة جده–، واحد من شرفاء غريس بالغرب الجزائري، لا نعرف تاريخ ميلاده، لكن وجدنا أنه توفي سنة 1215هـ (1800-1801) م زمن الباي عثمان بن محمد الكبير بالطاعون، كما يثبته مسلم بن عبد القادر الوهراني[3]، نفهم من ذلك أنه توفي شابا قبل شيخه أبي راس الناصري، حيث عاش تسع سنوات فقط بعد فتح وهران الثاني.

شيوخه وثقافته: ابن زرفة من تلامذة أبي راس الناصري، قرض له بعض تأليفه، في حين وجدنا يحي بوعزيز يذكر أن أبا راس درس على يدي بن زرفة [4].

1- نسبة إلى قرية بدائرة الأخضرية (بالسترو في عهد الإحتلال)، كانت دار علم استوطنها بعض أفراد أسرة المقري، منهم مادح الباي هذا- أنظر: بن سحنون- المصدر السابق، هامش، ص ص 62-130

2- محمد المصطفى بن زرفة: " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية "، مخطوط، رقم 2597، المكتبة الوطنية، الجزائر، ج1، 3أ.

3- مسلم بن عبد القادر: "خاتمة أنيس الغريب والمسافر" تاريخ بايات وهران المتأخرة) تحقيق رابح بونار (1394هـ – 1974م)، ص 69.

4- الزاري: المصدر السابق، الهامش: ص64.

مهما يكن فإن ثقافة هذا الأخير لا يمكن أن نحكم عليها إلا من خلال ما تولاه من مناصب، وما تركه من إنتاج، فقد كان كاتبا خاصا للباي الفاتح (محمد الكبير)، والذي عينّه كمساعد لرئيس رباط إيفري بوهران خلال الحصار، وقاضيا بوهران بعد الفتح حيث استمر في هذا المنصب إلى أن توفاه أجله.

إذا تصفحنا إنتاجه - والذي كان ظرفيا -، نحكم على ثقافته كونها محصورة ومحلية، ذات طابع سياسي، قضائي وديني، أكثر منها أدبية، فالمؤلف إذن رجل مناصب أكثر منه مؤلفا أو مدرسا.

إنتاجه:

ذكر له يحي بوعزيز كتاب "فتح وهران وجامع الجوامع الحسان" الذي يرجح أن يكون هو نفسه الرحلة القمرية لأن موضوعها واحد [1]. وفي ميدان الشعر له قصيدة رائية من ثمانين بيتا في مدح الباي محمد الكبير جاء في مطلعها:

تبسم الثغر في الحدائق ناير ** يعض على در الندا وهو شاكر [2]

وله كتاب "الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء " الذي نشره إرنست مرسي، بعدما حصل عليه من هوداس، - أستاذ المدرسة العليا للغات الشرقية في باريس-، انتهى من تأليفه كما هو مسجل في المخطوط في 7 ديسمبر 1783 (24 محرم 1199 هـ) [3] يتكون من أربعة فصول، يتطرق في الفصول الثلاثة الأولى إلى حقوق الأمراء وجباية الضرائب، الهدايا التي

1- المزاري: المصدر السابق، ص63.

2 -ابن زرفة: مخ السابق، ق ق 23ب، 25أ.

3-Ernest MERCIER: " La propriété indigène en Magreb selon l'ouvrage dit " La règle des princes et des Khalifes, fixant l'étendu de leurs pouvoirs legaux de Mohamed Moustapha ben Abd Allah. In R.N.M.D.C., Vol 14ème série 32ème Vol de la collection Alger 1898 (Paris 1899) p 313.

يمكن لهم قبولها، العمليات التجارية المسموح لهم بها، أما الفصل الرابع فهو في تقديري طبيعة ثروات بيت المال ودراسة حالة الأعراب في الريف.

ب - المخطوطة:

الرحلة القمرية: قبل الخوض في الدراسة الوصفية لهذا المخطوط، نشير إلى أنه لخص ونشر من طرف المستشرق الفرنسي هوداس (HOUDAS) في مجموعة الأبحاث الشرقية التي قدمت إلى مؤتمر المستشرقين المنعقد بمدينة الجزائر في أفريل 1905 [1]. تضم النسخة التي اعتمدها هوداس جزئين: الأول يتكون من 186 ورقة منسوخة بتاريخ 21 محرم سنة 1296 هـ (15 جانفي 1879) من طرف المولود بن المختار بن حمو العبدلي الشلفي، كتبت بخط مغربي واضح، والجزء الثاني عبارة عن نسخة تتكون من 155 ورقة نسخت بتاريخ 23 شعبان سنة 1207هـ (179 3.04.05) (أصلية)، كتبت بخط مغربي واضح.

أما بالمكتبة الوطنية الجزائرية فتوجد نسختين من الرحلة القمرية، الأولى تحت رقم 3322 وجدناها في التعقيم، والثانية تحت رقم 2597 وهذه الأخيرة هي التي اعتمدناها، فهي على ما يبدو نسخة (ثالثة) (غير أصلية) من 168 ورقة (336ص)، تتضمن الجزء الأول من الرحلة، وضعيتها سيئة جدا، غير مرقمة، لكنها كاملة غير مبتورة إلى غاية ورقة 168 التي كتب على أسفل ظهرها تاريخ النسخ كالتالي: في شهر شعبان 1346 هـ منه 09 أيام /30 جانفي 1828 [2].

1-O. HOUDAS: “ notice sur un document Arabe inedit “ in R.M.O. (Paris imprimerie Nationale) pp43-83

2- ابن زرفة : الرحلة ، مخ السابق، ق 168 ب.

إذا كانت أحداث هذا الجزء تنتهي عند شهر جمادى الثانية فمن المؤكد أن هناك جزءاً ثانيا مبتوراً يتضمن أحداث الشهور المتبقية أي من شهر رجب 1205 إلى محرم 1206، وما يؤكد هذا الورقة المنفصلة الموجودة في نهاية المخطوط والتي كتب على ظهرها شهر رجب الفرد وفي أسفلها أشار الناسخ إلى نهاية الجزء الأول، وبداية الجزء الثاني، لكن هذه الفقرة شطبت بالمداد الأحمر.

بدأ بن زرفة في تدوين الرحلة حسب شهادة بن سحنون -الذي كان معاصرا له- أثناء الحصار، ثم اشتغل عن ذلك إلى ما بعد الفتح[1] حيث أتمه في 05 أفريل 1793 بشهادة بن زرفة نفسه في النسخة التي اعتمدها هوداس[2].

إن الجزء الأول الذي اطلعنا عليه يقع في مجلد واحد ذي ورق عادي غلافه جلدي ملحق بلسان بني اللون مقياسه (18×26) وهو نفس مقياس الورق، كتب بخط مغربي تصعب قراءته في بعض الأحيان، بمداد أسود، بينما خصص المداد الأحمر والأخضر لإبراز بعض العبارات مثل: المقدمة، الخاتمة، أشكره، قال، فائدة، بعد، تتمة، حمدلة، كثير الهوامش، والتي جاءت في أغلبها تصحيحات لما هو وارد في المتن تحت عبارة: قف، حكى...الخ، وتضم أغلب صفحات المخطوط 21 سطرا في إطار.

اشتمل المخطوط على مقدمة الناسخ، مقدمة المؤلف التي تشتمل على أربعة فصول وخاتمة ثم الأحداث حسب ترتيب الشهور الهجرية (القمرية) ثم يصرح بعنوان المخطوط.

يغطي الفصل الأول من المقدمة 17 صفحة (ق 4 ب - ق 12ب) الفصل

1- ابن سحنون: المصدر السابق، ص ص 146-147

2- HOUDAS; op.cit , p82

الثاني في 20 صفحة (ق 23أ – 22 ب)، و جاء الفصل الثالث في 15 صفحة (ق23 أ – 30أ) والفصل الرابع في 26 صفحة (ق 30 ب – 43أ).

تضمنت خاتمة الفصول الأربعة 15 صفحة (ق43 ب – ق50 ب)، ثم تبدأ أحداث شهر صفر 1205 81[1] صفحة (ق 50 ب – 91 ب) ثم أحداث شهر ربيع الأول 1205هـ، (ق 91 ب– ق99 ب)، ثم أحداث ربيع الثاني (ق126 ب – 135أ)، ثم جمادى الأولى (ق126 ب – ق135أ) ثم جمادى الثانية (ق135 ب – ق 168 ب).

6- أحمد بن هطال:

1- المؤلف: هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن هطال التلمساني، تولى الكتابة لدى الباي محمد الكبير باي الغرب، وأصبح من مقربيه ومستشارا له، حيث أوفده إلى سلطان المغرب رفقة قاضي المحلة ابن سحنون، حمل هدايا للسلطان العلوي، بهدف السماح للباي بشراء ما يحتاجه من أسلحة وعتاد استعدادا لفتح وهران. فوفق في مسعاه، وعاد من جبل طارق بحمولة من البارود تقدر بقنطارين ونصف، كما رافق بن هطال محمد الكبير في غزواته لعين ماضي، والأغواط، وجبل عمور سنة (1199هـ/1785)، وهي موضوع كتابه الدروس.

حافظ على منصب الكتابة لدى ولده وخلفه عثمان باي الغرب 1215هـ/1800م وظل في هذا المنصب عند تولي الباي مصطفى بن عبد الله العجمي بايليك الغرب (1215هـ/1800)، وصاحبه في حركته ضد الشريف الدرقاوي وأتباعه، فلقي حتفه مع العديد من رجال المحلة في معركة

1- تبدأ الرحلة القمرية –كما جاءت في نسخة هوداس– بشهر صفر 1205هـ (10 أكتوبر 1790) لتنتهي يوم 04 رجب 1206هـ (1792.02.27) وهو تاريخ دخول الباي إلى وهران.

(قرطاسة)، بين وادي مينا ووادي العبد في أوائل ربيع الأول عام 1219هـ/1804م.

2- المؤلف: عرف ابن هطال بمصنفه المعنون بـ " رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، أول ما نشر كان من طرف قرقوس (GORGUOS) [1] في ترجمة فرنسية، وظل الأصل العربي مخطوطا في عدة نسخ منها نسختان في المكتبة الوطنية الجزائرية، إحداهما من نسخ محمد بن البشير أقراي التلمساني مؤرخة في 29 ذو القعدة سنة 1182هـ، وقد نشر الأستاذ محمد بن عبد الكريم الرحلة محققة على عدة نسخ بالمكتبة الوطنية وبمكتبته [2]، وفعلا ما قام به محمد بن عبد الكريم كان إخراجا لهذا المخطوط إلى النور مما سهل لنا دراسته واستغلاله في هذا البحث.

7- أبو راس الناصري:

1. المؤلف:

مولده ونسبه: نشير إلى تناولنا لهذه الشخصية بنوع من الإسهاب، وذلك لما تقتضيه طبيعتها المتميزة في جزائر القرن الثامن عشر.

هو- كما عرَّف بنفسه-محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصري بن علي بن عبد الأديم بن معروف بن عبد الله بـن عبد الجليل المعسكري، والمعروف بأبي راس [3]. ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح، وأمه من الجنوب الجزائري زولة التي توفيت بالمتيجة بنت عمر بن عبد القادر التجاني (أوالتوجاني).

1-GORGUOS; Expedition de Mohamed El Kebir bey de Mascara dans les contrées du Sud (trad) in RA T III pp51.185 et 286 et T IV p347.

2- أحمد بن هطال التلمساني: "رحلة محمد الكبير " باي الغرب الجزائري " إلى الجنوب الصحراوي الجزائري "، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الطبعة الأولى، (القاهرة، 1969)، ص ص 3.2.

3-FAURE Biguet; "notice sur le cheikh Med Abou Ras En-Nasri de Mascara" in J.A, serie 09, Tome 14, Paris (septembre, Octobre, 1899) p320

ولد بين جبل كرسوط (Kersout) وحونت (Hounet) بالغرب الجزائري في 08 صفر سنة 1165هـ(1751.12.27)، كما جاء على لسانه[1]، أي بعد عشرين سنة من عودة الإسبان (1732)، وتوفي يوم الخميس 15 شعبان سنة 1238هـ (1823.04.27) عن عمر يناهز 73 سنة، ودفن بالقرب من منزله ومسجده في ضاحية بابا علي بمعسكر، وبني فوق قبره قبة سميت بقبة المذاهب الأربعة[2].

عاش المؤلف فقيرا طوال حياته مما قاده إلى التسول ولا سيما أنه فقَدَ والديه في سن الطفولة، لكن يبدو من قوله: " لقد أعطاني أبي هذه الحياة الفانية وأعطاني أرسطو (ARISTOTE) حياة خالدة "[3] أنّه كان زاهدا في الدنيا وشغوفا بالعلم.

شيوخه وثقافته:

يصرح الناصري في كتابه " فتح الإله ومنّنه " أن له ثماني وثلاثون (38) أستاذا[4]، موزّعين على حواضر المغرب والمشرق العربي، ويذكر كل واحد باسمه، وعلى رأسهم شيخه عبد القادر المشرفي.

درس الحقوق على قاضي معسكر سي محمد بن سحنون، ثم أخذت شهرته تتأسس على يد علماء مازونة، منهم العربي بن نافلة، الذي درس عليه لمدة ثلاث سنوات، حيث حفظ مختصرخليل، وقوانين الميراث، ثم رجع إلى معسكر أين درس على عبد القادر المشرفي الذي كان يحضر دروسه في المدرسة، ويغسل ويكوي ثيابه في بيته – بيت المشرفي–.

1- Biguet OP CIT,pp325, 326

2- لأنه كان يأخذ فتواه من المذاهب الأربعة. .

3- Biguet, Ibid., p328.

4 - محمد أبو راس الناصري: فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته " حياة أبي راس الذاتية والعلمية" حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، (الجزائر، 1990)، الباب الثاني، ص ص 41-76.

ومن مفاتي مدينة الجزائر الذين احتك وتأثر بهم نذكر: سي محمد بن جعدون، أحمد بن عمار صاحب الرحلة، محمد بن حفاف، محمد بن الفقون، النحوي بن عبد الرحمن البدوي القرومي، وقاضي مدينة الجزائر الشيخ محمد المحجوب، وصالح الكواش، وأحمد بيرم. ومن علماء مصر الذين درس عليهم، الشيخ المالكي محمد الأمير المتوفي سنة 1818، وعبد الله الشرقاوي، والشيخ المرتضى الزبيدي[1]، الذي أجازه عام 1791 -أثناء حجته الأولى- وكان أول من أسماه "بالحافظ" في هذه الإجازة، فخلده الناصري من خلال كتابه " السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى"[2]، كما خلد باقي أساتذته من خلال تأليفه " أفيافي في عدة أشياخي ".

أما ثقافته فنستطيع القول عنها أنها موسوعية، ومتنوعة، أساسها ديني مع ميله للتاريخ، ذلك من خلال كتبه المتعددة والمتنوعة، وتعدد شيوخه ورحلاته العلمية- الدينية (حجته الأولى سنة 1204هـ/1790م. والثانية في سنة 1226هـ/1811، معاصرته للباي الفاتح وحدث فتح وهران، توليه عدة مناصب كالإفتاء والقضاء، والتدريس لمدة 36 سنة، والتي سيجرد منها: سنة1211هـ/1796 بسب نشوب ثورة درقاوة التي أدت ببايات الغرب إلى عزل رجال الدين بدون التفرقة بين المنتسبين لدرقاوة أو لغيرها، ولما كان الناصري واحدا ممن مسته شظايا هذه الثورة، برأ نفسه من خلال تأليفه " درء الشقاوة في فتنة درقـــاوة "[3]. لكن يصعب تأكيد مـــا ذهب إليه المهدي البوعبدلي، لأن الناصري عزل بتاريخ 1796 وثورة درقاوة انلعت في بداية

---

1 -هو محمد الحسيني الزبيدي الحنفي، توفي سنة 1205هـ/1791 عندما كان الناصري عائدا من الحج أي بعد 05 أشهر من افتراقهما، أنظر: Biguet, Op.cit, p38

2 -يعد من كتب الحديث التي ألفها الناصري؛ أنظر: Ibid.; p403.

3- ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص46.

القرن التاسع عشر، والتي أدت به -الناصري- إلى التوقف مؤقتا عن التأليف والتوجه إلى الحج للمرة الثانية.

إنتاجه: حسب تلـميذ أبي راس الناصري -أبو حامد المشرفي- في كتـابه " ذخيرة الأواخر والأول " إن كتب الناصري تزيد عن الخمسين، أما إذا اعتمدنا على القائمة الموجودة في الفصل الخامس من تأليف الناصري " فتح الإله ومنّته " فهي 63. [1]

ويفيدنا يحي بوعزيز بالمخطوط الذي وضعه الناصري بنفسه: " شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله علينا من تأليف"، والذي يحمل رقم 136 عنوان[2]، والذي يرجح أن يكون هو نفسه الكتيب الذي أشار إليه بقي (BIGUET) الذي يجمع مؤلفات الناصري في مجلد تحت رقم 4614 من المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية [3].

تأليفه سواء ما ورد منها في الفصل الخامس من كتابه " فتح الإله " أو ما أضيف إلى ذلك هي كالتالي: اثنان في القـرآن الكـريم، ثلاثة في الحديث، ستة في الحقوق منها كتابه " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " والذي عده الدكتور سعد الله من كتب التاريخ [4]، أربعة في القواعد، أربعة في الشعائر، سبعة في التوحيد والتصوف، ستة في علم الألفاظ، واحد في علم البلاغة، واحد في علم المنطق، واحد في علم العروض.

1- الناصري: فتح، المصدر السابق، الفصل الخامس، ص ص 179-182.

2- تحمل هذه النسخة رقم 136، مؤرخة في 22 رجب سنة 1232هـ (1823.04.04) إستعملت الأرقام الغبارية في تعداد هذه القائمة، مما يوحي أنها منسوخة غير أصلية. أنظر : المزاري: المصدر السابق، هامش ، ص ص 44-45.

3- BIGUET; Op.cit, Novembre, Decembre, p419.

4- أبو القاسم سعد الله: " مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي أبو راس الناصري "، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 12، الجزائر، (ديسمبر، 1974)، ص25

إنتاجه التاريخي من تراجم وتاريخ عام ورحلات (سواء في تاريخ الجزائر أو المغرب الأقصى) فهو يفوق إثنا وعشرون(22) مؤلفاً، نقتصر هنا على ذكر أهمها:

"زهرة الشماريخ في علم التاريخ" الذي يقول إنه قلد فيه ابن خلدون، وهو يدل على تخصص الناصري في مجال التاريخ، "درء الشقاوة في حروب درقاوة"، " المعالم الدالة على الفرق الضالة "، شروح للمنظومة التاريخية المسماة "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية" أو فيما جرى بالعدوة الأندلسية، "ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس"، "الزهرة الوردية في الملوك السعدية"، "حلتي وتحلتي في تعداد رحلتي "، تكلم فيه عن رحلاته إلى المشرق والمغرب، حيث يصف مدينة فاس التي كان بها عام 1218هـ (1803)، وهو يقع في مجلد واحد[1]، " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته كتبه وبعد سنة 1818، وهو موضوع دراستنا لاحقا.

"عجائب الأسفار "[2]، " الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة " الذي لم نجد له ذكرا إلا عند بن سودة الذي يقول إنه يقع في نحو كراسين بمكناس[3]، " يتيمة الغواص "، الذي ذكره مسلم بن عبد القادر، ويتحدث فيه عن قضية محاربة الباي بوكابوس لقبيلة مجاهر مع درقاوة [4] أما " أقوال التأسيس فيما وقع وسيقع مع الفرنسيس"، فهو من التآليف التي نسبت إليه.

ما نسجله هنا للتاريخ هو كون أغلب تأليف الناصري لعبت بها يد الزمن نتيجة توتر علاقات صاحبها، سواء مع محيطه العام، أو الخاص، وما يؤسف

1- عبد السلام بن سودة: "دليل مؤرخ المغرب الأقصى"، الطبعة الثانية، (الدار البيضاء، المغرب 1926) ج2 ، ص 349.

2- أنظر دراستنا لهذا الشرح لاحقا، ص 81.

3- ابن سودة: نفس المصدر، ص 439.

4- ابن عبد القادر: المصدر السابق، ص 94.

له أكثر هو إنتاجه المتبقي لم ير النور بعد – رغم ما قام به بعض المستشرقين من نشر وترجمة- لأنه ما يزال مخطوطا، ومنه هاتان المخطوطتان سنتناولهما بالوصف والدراسة، كما أضفنا كتاب " فتح الإله ومنته".

2. المخطوطتان:

1- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار:

توجد خمس 05 نسخ من عجائب الأسفار بالمكتبة الوطنية الجزائرية الأولى تحت رقم 3327 والثانية 3323 وجدناهما في التعقيم لـــذلك لم نتمكن من الاطلاع عليها. أما النسخ الثلاثة فهي غير أصلية الأولى تحت رقم 1632، من 165 ورقة، منسوخة بتاريخ 02 شعبان سنة 1243هـــ، ممزقة، والثانية تحت رقم 1633 (327 ص) انتهى من تأليفها بتاريخ 1206، بترت منها الأسطر الأولى التي تلي البسملة، لونها بني.

أما النسخة الثالثة التي اعتمدناها في دراستنا فهي تحت رقم 2003 من 144 ورقة جيدة، (288 ص)، في مجلد واحد مقسم إلى جزءين، العنوان غير موجود على الغلاف ولا على الصفحة الأولى، لكنه مقيد في مقدمة المؤلف.

انتهى الناصري من تأليفه سنة 1206 هـــ كما جاء في نهاية المخطوط: "انتهى ما قصدناه من شرح نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران ... هذا ما أردنا جمعه ... تم في ذي القعدة سنة 1206هـــ "[1].

نفهم من ذلك أنه أتمه بتمام الفتح، أما نهاية النسخ فهي مسجلة بيد الناسخ، الذي لم يصرح باسمه، بتاريخ يوم الاثنين غرة جمادى الثانية عام 1300هـــ،

1- الناصري: عجائب: مخ السابق، ق 144أ.

المخطوط كامل لا بتر فيه، حجمه (22 ×16)، الغلاف جلدي أزرق اللون ملحق بلسان، أما الورق فهو من النوع المقوى، كتب بخط مغربي واضح لكن صغير الحجم، وبمداد أسود اللون والأحمر لإبراز العبارات والعناوين كعنوان المخطوط، وعبارات: أعلم، تنبيه، هذا ...الخ تحتوي كل صفحة على 23 سطرا، خالي من الرسومات والتزيين، نجد التسطير تحت بعض المفردات كأسماء مدن أو شخصيات، كثير الهوامش، وهي في الغالب تصحيح لما ورد في النص، أما عبارة " قف " فهي لإخراج فكرة معينة أو للإضافات.

لا يخضع المخطوط إلى تقسيم حسب الفصول، بل قسم حسب تسلسل الأفكار، والموضوعات، بتسلسل أبيات القصيدة " نفيسة الجمان في فتح وهران "، والتي تضم في هذا المخطوط 106 بيت.

في المقدمة وبعد تقديم الناسخ الذي يذكر اسم المؤلف ويترحم عليه، نقرأ الحمدلة، وتعريف بعلم التاريخ، دور المادة الوثائقية في التأليف، حيث يقول: "هذا وقد خضت في هذا الفن قديما وضقت به أديما لم أزل في خدمته مستديما، حتى كثرت عندي رقاعه، وامتلأت بقاعه وصارت نفسي تحدثني بالتدوين والانخراط في سلك المؤلفين..."[1]

ثم يصرح بدافع التأليف، ثم يذكر تسمية هذا الشرح:" عجائب الأسفار ولطائف الأخبار "، وتقسيمه للمخطوط إلى جزئين: الأول في مائة وثلاثة وخمسون 153 صفحة (ق 04أ- ق80 ب) وهو شرحاً لـ (58) بيتا من المنظومة، حيث يبدأ بالبيت:

الرياح جميع أرض الله جسي * وبشرى إليكم مع الجن والإنس

1.- الناصري، عجائب، مخ سابق ، ق2 ب.

وينتهي بالبيت:

محى محاسنها طاغ أتيح لــها • إكتحل السهر لها مكثر الحوس

أما الفصل الثاني الذي استغرق مائة وثماني وعشرون (128) صفحة (ق81 أ-144 ب)، فهو شرحا لباقي الأبيات (48 بيتاً) يبدأه بالبيت:

تــداركــها الله بــرفقتــه • من بعد ما مضى لها مدة العنس

وينهيه بالبيت:

وصيحة العدا حتى ولو كان • لم يف بالحد تهم بل ولا الخمس

2- الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية:

يبدو أن هذه المنظومة تابعة لنفيسة الجمان[1]، وهي الأخرى لها شروحا، منها الشرح الذي كتبه الناصري سنة 1802 بتيطوان، عند عودته إلى الجزائر قصد إهدائه لمولاي سليمان بفاس، الذي كان مؤلفنا قد استقبل من طرفه - لذلك أسماه " روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان " ويوجد هذا الأخير بتلمسان[2]، أما الشرح الثاني " القصص المعرب عن الخبر المغرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب " فقد ألفه بعد سنة 1814، ويرجح بقي (Biguet) أنه المخطوط الأصلي، يوجد بالمكتبة الوطنية تحت رقم 4619 مخصص أصلا لتاريخ إسبانيا، مع ذكر أخبار نابليون بونابرت، والانشقاق الكنسي (في أوربا). ويبدو أن هناك شرحا ثالثا معنون بـــ " غريب الأخبار عما كان بوهران والأندلس مع الكفار "[3].

يوجد الشرح الذي تناولناه بالدراسة مخطوطا بالمكتبة الوطنية الجــزائرية

1- BIGUET, OP Cit , p310.

2- ابن سودة: المصدر السابق، 26، ص384.

3-BIGUET, IBID, p410

تحت رقم 3182 ويظهر على هذه النسخة أنها كانت ملكا للجنرال دلفان (F.DELPHIN)، لوجود إسمه فوق الصفحة الأخيرة منها.

يحتوي المخطوط على (263) صفحة في مجلد واحد، كتب العنوان كاملا في الورقة الأولى بمداد بنفسجي، وأعيدت كتابته في الصفحة الثالثة كالتالي:

" الحلل السندسية في تاريخ وهران والجزيرة الأندلسية ".

لم نجد ذكرا لتاريخ نهاية التأليف لكن وجدنا نهاية نسخه حسبما يذكر ناسخه، عبد ربه العربي الحرشاوي، بتاريخ 14 أوت 1886م. المخطوط كاملا، مقياسه (17×26) الغلاف من الورق المقوى، بني اللون، غير ملحق بلسان، صفحاته من الورق العادي، تضم أغلبها اثنتي وعشرين سطرا (22)، كتب بخط مغربي صعب القراءة في بعض الأحيان (لرداءته) ورداءة خط النسخة المنقول منها وعدم تصحيحها" [1]، كثيرة الهوامش التي استعملت أغلبها للتصحيح، استعمل المداد البنفسجي حتى صفحة مئتان وإحدى عشر (211) و المداد الأسود ما تبقى من صفحات، أما المداد الأحمر والأصفر والأخضر فقد استعمل لإبراز الفواصل والأبيات الشعرية، وبعض العبارات والأسماء. لم يقسم الناصري تأليفه هذا إلى فصول، فبعد مقدمة الناسخ وتسميته للمـؤلف، نجد المؤلف يشيد في مقدمته بعلم التاريخ، الذي يقول عنه: " إنه تحفة المجالس " [2]، ثم يذكر أن هذا الشرح هو الثاني لقصيدته السالفة الذكر "الحلل"، المحتوي على خمسين بيتا (50)، والـذي أسمـاه:

"الخبر المغرب عن الأمر المعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب " [3].

1- الناصري: الحلل، مخ السابق، ص263.

2 -نفسه، ص263.

3- نفسه، ص 8. يلاحظ اختلاف طفيف في العنوان، عما جاء في فتح الإله. أنظر: الناصري- فتح، المصدر السابق ص 181.

3- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته:

أول ما نشر كان من طرف فوربيغي (F.BIGUET) بالمجلة الآسيوية سنة 1899، ثم أخرجه إلى النور الأستاذ محمد بن عبد الكريم، الذي اعتمد في تحقيقه على ثلاث نسخ: الأولى للشيخ عبد الحي الكتاني المغربي، موجودة بالخزانة العامة بالرباط، وهي النسخة الأقدم.

والثانية للشيخ عبد الرحمن الجيلالي الجزائري، والثالثة للشاعر الأديب أحمد جلول البدوي الجزائري، كما توجد نسختين بالمكتبة الوطنية بالحامة الأولى تحت رقم ب03 والثانية ب04.

يتألف هذا الكتاب – الذي يبدو أن الناصري كتبه في أواخر أيامه – وهو آخر ما ألف– من 185 صفحة، مقسمة على خمسة أبواب، الأول بعنوان "ابتداء أمري"، الثاني في "عدة أشياخي"، الثالث في "رحلتي للمشرق وغيره"، والرابع في "معارضة العلماء وأجوبة عن أشياء مختلفة"، والخامس في "تأليفي في كل فن".

وسنتطرق إلى تفاصيل ومحتوى كل باب في دراستنا التحليلية.

8- مسلم بن عبد القادر (ت 1832)

أ- مولده ونسبه: هو مسلم بن عبد القادر الحميري الوهراني، لا يعرف عن حياته سوى القليل جدا، كان في شبابه خوجة (كاتب) للآغا المزاري، أحد آغوات مخزن الترك بوهران، ثم باش كاتب (رئيس الكتاب) لدى الباي حسن آخر بايات وهران –الذي ظل على اتصال مباشر به إلى أن انتهى حكم هذا الباي 1248هـ–1832م.

شـــارك مسلم بن عبد القادر في القوة العسكرية التي أرسلها الباي حسن

للدفاع عن مدينة الجزائر 1830م (1246هـ)، حيث سجل انهزام الجيوش التركية، ودخول المحتل الفرنسي مدينة الجزائر في قصيدة رجزية، وعند عودته لوهران ترك ديوان بايليك الغرب، وغادر مدينة وهران قبل سقوطها في يد الفرنسيين، ويبدو أن سبب المغادرة كان لعدم موافقته لحسن باي على التسليم، لأن هذا الأخير كان قد شاوره على التسليم أو الاستعداد للمقاومة.

وهكـذا استقر نهـائياً في عين تموشنت[1] حيث وافتـه المـنية سنة 1248هـ/1832م.

إنتاجه:

الكثير ممن شهد على انتماء مسلم بن عبد القادر لزمرة العلماء والفقهاء والأدباء، منهم أبو راس الناصري الذي قال عنه أنه من أجلّ أدباء هذا الزمان والطاهر بن حواء [2]. ينسب إليه عدة تصانيف منها "نظم الجواهر في سلك أهل البصائر"، وهو شرح لمفردات لغوية. "إيضاح الحكم منظومة" وضعه مرتبا على حروف المعجم، وجعل فصوله عدد منازل القمر حسب قوله وطلب من أبي راس الناصري أن يشرحه، فوضع له عدد منازل القمر حسب قوله وطلب من أبي راس "الأصم وشفاء الأسقم في الأمثال والحكم"، ذكر البعض أن هذا المصنف من موضع مسلم بن عبد القادر، ولكن هناك من يبطل هذا [3].

ترك أيضا رسائل عديدة، وشعر لا يكاد يقرأ لاختلال اعرابه، وأوزانه على حد قول المحقق، أما نثره فقد اتصف بالألفـاظ العـامية، ولكنه اشتهر

1 -تبعد بـ 75 كلم عن وهران.

2- محمد الطاهر بن حواء : "نظم الجواهر في سلك أهل البصائر"، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1893 (45ص).

3- سعيدوني: من التراث، المرجع السابق، ص471.

كثيرا بالحكمة والأمثال، كل هذا سنفصل فيه لاحقا. من خلال كتابه " خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر، " تاريخ بايات وهران المتأخرة " يرجح أنه وضع هذا الكتاب بعد استيلاء الفرنسيين على وهران، وهو فصل ختامي، لكتاب شامل في إثني عشر بابا وخاتمة [1].

يبدأ بسيرة الرسول (ص)، وينتهي بتاريخ بايات وهـــران المتأخرين، حيث تضمنت الخاتمة أحداث الغرب الجزائري لمدة سبع وثلاثين سنة (37) الأخيرة من العهد العثماني إلى سنة 1832.

فإذا كانت الخاتمة موجودة، فإن الإثني عشر بابا مفقودة، وهنا نضع احتمالان، الاحتمال الأول هو ضياع الكتاب من مؤلفه، والثاني أنه لم يحرره أصلا، بل ظل مجرد خطة في ذهن صاحبها.

ولتحليل هذه الخاتمة، اعتمدنا على الكتاب الذي حققه الأستاذ رابح بونار، معتمداً على نسختين، مخطوطتين بالمكتبة الوطنية، تحت رقم 2317-1635، الأولى كتبت سنة 1232هـ/1816م، والثانية 1248هـ/1832م.

نُشِرَ الكتاب محققا بالجزائر سنة 1974، بعدما ترجم إلى الفرنسية من طرف أدريان دلبشي (Adrien DELPECH) بالمجلة الإفريقية عام 1874 [2].

9- قدور بن رويلة ت (1272هـ/1856م)

أ-المؤلف:

مولده ونسبه:

كل ما وجدناه حول هذه الشخصية أنه قدور بن محمد بن ارويلة الجزائري

1- بن عبد القادر: المصدر السابق، ص61.

2-Adrien (DELPECH) : » Resumé historique sur le soulèvement des derkaoua de la province d'Oran: » d'aprés la chronique d'El Mossellem ben Mohammed Bech daftar du bey hassan de 1800 à 1813 (1215-1228) in R.A (1874), pp38.48

مولدا، ونشأة، وقراءة، وكان أبوه محمد بن ارويلة وكيلا على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة قبل الاحتلال الفرنسي.

عند وقوع الاحتلال هاجر قدور بن ارويلة من مدينة الجزائر فارا إلى مليانة، حيث توظف ككاتب رسائل عند الأمير عبد القادر، ثم شغل منصب مستشار وكاتب الأمير عبد القادر.

سقط أسيرا وأسرته في معركة طاقين -إحدى معارك الزمالة- في أيدي العدو، ثم أطلق سراحه، فاتجه إلى المشرق العربي حيث حج وتوفي ببيروت في ربيع الثاني 1272هـ (1856) ودفن بمقبرة السنطنية، كما ترجم له محمد بن الأمير عبد القادر في كتابه "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر".

شيوخه وثقافته:

ممن أخذ عنهم مترجمنا حمودة الجزائري، فكانت ثقافته تقليدية مثل أهل عصره، له نزعة أدبية، عقيدته صوفية، شديد التعصب لدينه. من بين من أخذ عنه الحاج أحمد الشريف الزهار المتوفي سنة 1872 [1].

ب-إنتاجه

المؤلف: ما وقفنا عليه أولا كتابه "وشاح الكتائب" [2] الذي ترجم إلى الفرنسية من طرف (ROSSETTY) في ديسمبر سنة 1847 وبول أزان (PAULAZAN). ثم طبع باعتناء الجنرال ماري (MAREY) في سلسلة (MILITAIR SPECTATEUR) بالمجلد 36 ص 625 في 15 فيفري عام 1944. ثم يترجم للمرة الثانية بالفرنسية بالمجلة الشرقية عام 1845 ثم نشره (BERBRUGER)

1- الزهار: المصدر السابق.

2- قدور بن رويلة: "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب" تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، (الجزائر 1986).

في مارس 1864 بالمجلة الإفريقية، ظهرت طبعته العربية في مارس 1848 بمطبعة هاشيت (HACHETTE) بباريس باعتناء الكولونيل بواسوني (BOISSONNET) منقولة من نسخة أصلية. كما ظهرت طبعة باللغة العربية بمطبعة فونتانا (FONTANA) بالعاصمة عام 1890، باعتناء (PATRONI)، كما ظهرت طبعة أخرى بنفس المطبعة عام 1886 مع ترجمة فرنسية.

أما محمد بن بن عبد الكريم فقد اعتمد في عملية تحقيق هذا المخطوط على ست نسخ [1].

يتضمن وشاح الكتائب المقدمة التي تحتوي على ثمانية مسائل وأربعة وعشرون قانونا وحكما شرعيا، وخاتمة. كما ترك شعرا ضمن هذا التأليف. ترك أيضا رسالة وجهها إلى مصطفى الكبابطي [2] مفتي الجزائر العاصمة، تحت رقم 2083 بالمكتبة الوطنية في 12 صفحة مقياسها 16x21 غلافها أخضر كتب بالمداد الأسود. مليئة بالهوامش، لا يوجد فيها تاريخ النسخ ولا تاريخ التأليف[3].

10 – حمدان بن عثمان خوجة: ت (1845)

أ- المؤلف:

مولده ونسبه: هو سي حمد بن عثمان خوجة ، من المولدين أي الكراغلة [4] ولد بمدينة الجزائر سنة 1189هـ/1773م [5] ينتمي لأسرة حضرية ذات ثروة

1- بن رويلة، المصدر السابق، ص 11.

2- أنظر سابقا، المدخل ص 44.

3- أنظر لاحقا الملحق رقم 13، ص 250.

4 - من أم جزائرية وأب تركي.

5- حميدة عميراوي: "دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840" الطبعة الأولى، (قسنطينة 1407هـ/1987م) ص60.

وجاه وكان أبوه عثمان فقيها، ومدرسا ومقربا إلى السلطة الحاكمة في الجزائر، كما كان خاله أمينا للسكة.

غادر حمدان بن عثمان خوجة الجزائر بعد أن يئس من عدالة الفرنسيين، متوجها إلى إسطنبول، حيث كان يتتبع تطورات الأوضاع بالجزائر، مواظباً على القراءة والتأليف، حتى وافته المنية، ودفن بمقبرة الصحابي الجليل أيوب الأنصاري حوالي 1261هـ/1845م[1]. وهكذا يكون حمدان خوجة قد عاش 72 سنة.

شيوخه وثقافته:

تعلم أولا على والده نظام الحكم العثماني، والشريعة الإسلامية ثم عمه الحاج محمد وشيوخ أخرون أمثال الشيخ محمد بن الشاهد الجزائري مفتي المالكية، المتوفي سنة 1207هـ، والشيخ حسين بن احمد مفتي الحنفية سنة 1191هـ وغيرهم [2].

من العوامل التي ساهمت أيضا في تكوين ثقافته رحلاته الكثيرة، منها إلى إسطمبول وهو أبن التاسعة من عمره، ومنها إلى المشرق العربي، والبلقان وتونس سنة 1801، كما تردد على مكتبات باريس وتأثر كثيرا بالحضارة الغربية وقد قال عن رحلاته "وكنت قد جشمت أسفار هي كما قيل أبعد من آمالي، صرفت فيها برهة من العمر لولا اتهام النفس لعددتها من صالح أعمالي، فكنت رأيت بالبلاد الفرنجية انتظام أمورهم، واعتناءهم بأمور السياسة في صيانة جمهوريتهم." [3]

1- سعيدوني من التراث، المرجع السابق ص 490

2-حمدان بن عثمان خوجة: " إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء" تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، (الجزائر 1968) ص 28،29

3- عميراوي: المرجع السابق، ص 73

لهذا تميزت ثقافته بكونـــها دينية، أساسها كتـــاب الله، وأحـــاديث الرسول (ص)، والتبحر في علم الأصول، وتمكنه من الفروع الفقهية حيث كان حنفي المذهب لأنه مذهب الدولة الجزائرية آنذاك -كما كان تفكيره منطقي وهذا ما يدل عليه كتابه " المرآة "، مطّلعا على الآراء الفلسفية، كما تدل عليه رسالته "حكمة العارف بوجه ينفع، لمسألة ليس في الإمكان أبدع ".

كان متمكنا من الأمور السياسية خاصة حقوق الإنسان، والمواطنة، ووجدناه أيضا مؤرخا وجغرافيا، ومشاركا في المجال الطبي على غرار محمد بن أحمد الشريف[1]، والشيخ عبد الرزاق بن حمادوش[2].

حذر من التزمت، والأفكار الرجعية، وعمل من أجل الإصلاح الديني.

أتقن حمدان خوجة اللغة التركية، وكتب باللغة العربية، وكان يحسن التحدث باللغة الفرنسية والإنجليزية.

شغل منصب أستاذ الحقوق والقوانين الإسلامية بعد وفاة أبيه، ومنصب مكتابجي أي أمين عام لدى ديوان الحكومة الجزائرية، مارس التجارة التي كانت فرصة لاحتكاكه بالغير وللتثقيف. أما بعد الاحتلال الفرنسي فقد تولى وظيفة الترجمة في المطبعة العامرية بالقسطنطينية[3].

المؤلف:

ب- إنتاجه:

لحمدان خوجة آثـــار علمية قيّمة تعتبر مصادر لنهـــاية الفترة العثمانية

1- توفي عام 1139هـ

2- ولد عام 1107هـ، عرف بكتابه " كشف الرموز، في شرح العقاقير والأعشاب " وأيضا " تعديل المزاج بسبب تكوين العلاج " أنظر : بن عثمان خوجة- إتحاف، المصدر السابق، ص21.

3- نفسه ، ص27.

للجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي، بل تغطي حتى الوضع العام في العالم الإسلامي في هذه الفترة.

أهمها ما ألفه في السنوات العشر الأخيرة من حياته، أي بعدما اكتسب حنكة سياسية وتجارية، وبعدما ضاعت منه ممتلكاته[1].

وفيما يلي أهم ما تركه حمدان خوجة:

1- **المرآة**: ألفه في باريس سنة 1833 باللغة العربية ثم ترجمه صديقه حسونة الدغيس[2] تحت عنوان:

Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger, intituié le miroir

" لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر"

النسخة العربية تعد في حكم المفقود.

وقد أشار إليها ولده علي رضا باشا في كتابه "مرآة الجزائر"[3]، في النسخة التركية المترجمة عن العربية، متحدثا عـــن والده عندما كان مقيما بفرنسا بأنه ألف كتابا بالعربية وترجمه إلى الفرنسية، وطبعه ليطلع وزارة الحكومة الفرنسية على مساوئ الإدارة المدنية الفرنسية بالجزائر.

---

1 – قدرت السلطات الفرنسية ثروة حمدان خوجة بحوالي أربعين فرنك، وأشار إليها في كتابه المرأة قائلا: " إنني أملك بسهل متيجة من الأراضي ما يتطلب من البذور من أجل زراعته كل سنة، ستين حمولة حمل من القمح، وما بين مائة وعشرين حمولة شعير... ". أنظر : سعيدوني، من التراث، المرجع السابق، ص488.

2 –حسونة الدغيس الطرابلسي أحد الشخصيات الفكرية والسياسية في القضايا المغربية، لجأ من طرابلس الغرب إلى فاس ثم لندن ثم باريس واستقر باسطنبول حيث توفي يوم 17 ديسمبر 1836.

3- سجل بليسي دي رينو (Pilissier de Rénaux) في (Les annales d'Alger).- والذي كان من الأوائل الذين تولوا منصب البيرو عرب في الجزائر، سجل أن بن حمدان خوجة الذي تعين من قبل الدولة العثمانية دفتر دار أي كاتب الإيالة الطرابلسية، نغص عليه أي على بليسي دي رينو حياته هناك كقنصل، ومن بين ما اشتكى منه أنه (بن حمدان خوجة) كان يوزع كتابا لوالده باللغة العربية في طرابلس.

نفهم من هذا أن حمدان خوجة كان ينوي إصدار كتاب المرآة في جزأين بدليل أن النسخة الفرنسية الصادرة في شهر جويلية 1833 تحمل عبارة الجزء الأول.

أما النسخة العربية والمحققة هي التي ترجمت من الفرنسية من طرف محمد بن عبد الكريم، وطبعت بالجزائر، سنة 1972، والثانية ترجمت وحققت من طرف محمد العربي الزبيري، طبعت لأول مرة 1975، ثم طبعة ثانية 1982، يضمن الكتاب 310 صفحة، قسمت كالتالي:

تمهيد للمحقق، ثم مقدمة للمؤلف، ويضم الكتاب الأول ثلاثة عشر فصلاً ويشتمل الكتاب الثاني على إثني عشر فصلاً ومجموعة من الملاحق.

2- إتحاف المصنفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء:

ألفه باللغة العربية سنة 1252هـ/ 1836م، ثم ترجمه إلى التركية، وأهداه إلى السلطان محمود الثاني، كمبادرة من حمدان خوجة في ميدان إصلاح العالم الإسلامي[1].

حققه وقدم له محمد بن عبد الكريم، ونشر بالجزائر في أكتوبر 1968، يتضمن مقدمة للمحقق، ومقدمة للمؤلف فيها تسع 09 مقالات، وثلاثة أبواب وخاتمة وملحق.

3- له رسالة أسماها " حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع " ألفها، سنة 1837 وهي تأييداً لآراء الإمام أبو حامد الغزالي.

---

1 - يشبه كتابه هذا بكتاب الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873) الذي تفطن لنفس الفكرة التي تفطن إليها حمدان خوجة وهي الأخذ بأسباب الحضارة الغربية الأوربية لتطوير العالم الإسلامي. أنظر عميراوي، المرجع السابق، ص76.

4- له ترجمة لكتاب "نور الايضاح ونجاة الأرواح" للشيخ حسين الشرنبلالي الحنفي (1585-1659) نقله من العربية إلى التركية سنة 1839 وأسماه "امداد الفتاح" وهو في الفقه الحنفي.

5- له مخطوط ضخم في 228 ورقة (456ص)، إنتهى من نسخه في شهر ذي القعدة 1249هـ، 1833م [1].

6- مذكرة قدمها للجنة الإفريقية [2] (La Comission d'Afrique) في جويلية 1833، ترجمها محمد العربي الزبيري تحت عنوان "مذكرات أحمد باي، وحمدان خوجة، وبوضربة" [3] الطبعة الثانية بالجزائر 1981.

7- رسالته الى اللجنة الافريقية والتي حررها في باريس في 26 أكتوبر 1933 حُفِظَ نصها بالأرشيف الفرنسي تحت رقم 980، ثم نشرها جورج إيفر (G·Yver) بالمجلة الإفريقية سنة 1913 [4]، من أرشيف حكومة الجزائر.

1- عميراوي: المرجع السابق، ص ص 78-77.

2- كونها الفرنسيون لتنظر في شأن ما قد تقترحه في مسألة مستقبل الجزائر، فمثل حمدان خوجة أمامها في جلسة 14 جويلية 1833، ولما لم يقتنع بالوعود التي أبداها رئيسها، بدأ في عرض قضية الجزائر ديبلوماسيا.

3- الزبيري: مذكرات مصدر.

4- أنظر لاحقا: الملحق رقم 14، ص 261.

الفصل الثاني: عرض للمضمون

المبحث الأول: صورة الواقع السياسي.

المبحث الثاني: صورة الواقع الثقافي والاجتماعي.

المبحث الثالث: صورة الواقع الاقتصادي.

المبحث الأول

صورة الواقع السياسي

صورة الواقع السياسي

أخذ الواقع السياسي في هذا التأليف حصة الأسد، خاصة الأحداث التي ميزت فترة نهاية العهد العثماني وبداية عهد الاستعمار الفرنسي، ومن ثمة يمكن تحديد مواضيع أساسية.

الموضوع الأول: يخص طبيعة العلاقات الجزائرية ـ الإسبانية، حيث نجد المشرفي في "**بهجة الناظر**" يتطرق لطبيعة العلاقات الجزائرية ـ الإسبانية، وللعلاقة بين الجزائريين أنفسهم.

بداية يعرف بالإسبان وإسبانيا، وتاريخ احتلالهم لوهران، والمرسى الكبير، وتاريخ بناء البرجين، الأحمر والمرسى.

ثم يعرض الموضوع الأساسي لتأليفه وهو خضوع العرب المتنصرة للإسبان، ويقسمها إلى ثلاثة أقسام، وهي كرشتل (أولاد راشد)، يعطي نسبهم، عددهم، مهمتهم القائمة على النخاسة حيث يبيعون الناس إلى الإسبان، ثم مسكنهم، وكيفية التغطيس (التجسس).

نفس التفاصيل يذكرها عن بني عامر حيث يقسمهم إلى ثلاثة بطون وهي شافع، بنو يعقوب، بنو حميد، ثم يقسم كل بطن إلى أقسام ثانوية. ويميز بني عامر بالغدر والخديعة.

أما القسم الثالث فهم حميان الذين ينعتهم بالميل الشديد للتنصر.

وفي تركيزه على بني عامر يذكر قصيدة رائية لأبي العباس أحمد بن أبي محلى السجلماسي، التي يعاير فيها بني عامر قائلا في مطلعها:

فمن مبلغ عني بني عامر • لا سيما من قد ثوى تحت كافر[1].

ثم يحكم عليها بالضلال، لأنها لم تمتثل لهذه المعايرة بل ظلت مصطفة مع الإسبان.

بعدها يتطرق لفتح وهران الأول الذي كان بفضل مساعدة الداي بكداش للباي مصطفى بو شلاغم[2]. هذا الأخير الذي كان محاصرا لوهران منذ زمن الداي حسين خوجة.

وأخيرا يؤكد المشرفي حكمه على هذه القبائل بإصدار فتوى في تكفيرها والحكم عليها بالقتل – بعد الفتح – أما التائبة منها فهي واحدة من الجماعة. هذا عكس ما ذهب إليه أبو العباس أحمد الفلالي التلمساني، الذي أباح دم ومال جميع الفرق المتعاونة مع الإسبان [3].

وكتب كل من ابن سحنون وبن زرفة وأبو راس الناصري. حول أبرز حدث ميز تاريخ الجزائر في نهاية القرن الثامن عشر، وهو فتح وهران الثاني.

حيث تطرق ابن سحنون في الثغر الجماني إلى فضل الجهاد، مع إعطاء نماذج عن ذلك من جهاد صلاح الدين الأيوبي، حيث يرى في هذا الفتح فتحا دينيا، ثم جهاد الداي شعبان، والداي بكداش.

ثم يشيد بالمآثر العسكرية – الجهادية للباي محمد الكبير، وعلاقات هذا الأخير مع ملك المغرب الأقصى محمد بن عبد الله العلوي واستقبال الباي

1-Bodin ;opcit ;pp215_216

2- مصطفى بن يوسف بوشلاغم باي الغرب الجزائري (1686 –1733)، وحد بين مازونة وتلمسان تحت سيطرته لأول مرة، نقل عاصمة البايليك منهما الى قلعة بني راشد، ثم الى معسكر التي تقع في مركز وسط بين تلمسان ومازونة و القريبة كثيرا من وهران.

3-Bodin ; IBID ; pp219-22

لابن السلطان (يزيد) عند ذهابه إلى الحج في أواخر ربيع الأول، سنة 1201هـ.

ويشترك مع غيره من مؤرخي هذا الحدث في استعراض تاريخ مدينة وهران منذ تأسيسها. ثم يصفها (طوبوغرافيا)، ويذكر المحاولات الأولى للفتح وسبب استرجاع الاسبان لوهران سنة 1732 أي احتلالها الثاني. والزلزال الذي ضربها عشية الحصار، والذي يعتبره ابن سحنون سبباً من أسباب الحصار.

ويشير إلى دور الداي في هذا الفتح الذي لم يتم إلا بعد استشارته والرجوع إليه، ثم يستعرض القتال بين الاسبان والجزائريين.

ورغم وفاة الباشا محمد، لم يتوقف القتال بل ثبت الداي الجديد حسن، الباي وأمره بمواصلة الحصار، وعرض عليه المساعدات.

ثم يذكر رد فعل الاسبان على هذا الحصار، والمتمثل في تقديم شكاوى للداي، والتي لم يكن لها صدى لدى الداي بدليل الهدنة التي يشير إليها ابن سحنون لمدة 15 يوما. بدءا بيوم السبت 28 ذى القعدة سنة 1205 هـ. وكذلك رسالة ملك إسبانيا إلى الداي الذي أطلع الباي عليها يوم 15 ذي الحجة، والمتضمنة إخلاء الاسبان لوهران على الحالة التي تركها عليها المسلمون[1].

ثم يعرض رسالة الباي القاضية بقبول البلاد بدلا عن المال من الاسبان[2] الذين يريدون المساومة، ثم تفاصيل الصلح منذ أوائل محرم سنة 1206هـ.

وأخيرا يذكر قصيدته في فتح وهران من 37 بيت، واصفا الجو الديني الذي ميز دخول الباي وهران في 04 رجب سنة 1206هـ.

1- ابن سحنون: المصدر السابق، ص 308

2- أنظر لاحقا، الملحق رقم 3 ، ص241.

أما معاصره أثناء الحصار بن زرفة فيطرق نفس الموضوع في مخطوطه "الرحلة القمرية"، وسنستعرض الأفكار كما جاءت للأمانة التاريخية.

في الفصل الأول من المقدمة يرغب في الجهاد ويرهب من يتغافل عنه من العباد، ثم أسباب غزو وهران من طرف الباي محمد الكبير، الذي استأذن الداي في ذلك عدة مرات، فلم يأذن له إلى أن وقع الزلزال، والذي يصف أحداثه.

وهذا الإذن كان مرفوقا بشرط وهو ألاّ يمد الداي الباي بالمال ولا بالعساكر ــ كما جاء في صلحه مع الاسبان[1]ــ.

بعد الفصل الثاني هذا يخصص الفصل الثالث من المقدمة لمدح الباي محمد الكبير والإشادة بمآثره الحربية وهنا يدرج لنا القصائد التي امتدح بها الباي من طرف الشعراء وعلى رأسهم أبو العباس أحمد المقري القرومي.

وتضمن الفصل الرابع من المقدمة تاريخ وهران وعمرانها وتاريخ غزو النصارى (الاسبان) لها ومحاولات الأتراك التحريرية، ثم الفتح الأول لوهران.

ويختم الفصول الأربعة من هذه المقدمة الطويلة بفكرة الترغيب في سكنى وتعمير وهران، وفضل الرباط بها. وهنا يسهب في الكلام عن الرباط من وجهة الشرع.

بعد الخاتمة يشرع في الموضوع الأساسي للتأليف وهو تدوين الرحلة التي يستفتحها بشهر صفر 1205 هـ [2]. الذي نزل فيه الباي بكدية الأخيار قرب

1- ابن زرفة: الرحلة مخ السابق، ق ق 13 ب، 14ب.

2- تبدأ الرحلة القمرية بشهر صفر 1205 هـ (10 أكتوبر 1790)، وتنتهي بشهر محرم 1206 هـ (31 أوت ـ سبتمبر 1791)، كآخر مرحلة للعمليات العسكرية ، حيث تركت للاسبان فترة الانسحاب من وهران و المرسى الكبير .

وهران، ليرى ما آل إليه أمرها جراء الزلزال، وبداية استعداده للحصار بعدما أذن له الداي بذلك، حسب رسالة هذا الأخير ضمنها بن زرفة تأليفه[1].

ثم استعدادات الباي الحربية، -من حيث إعداد الطلبة- على غرار ما حدث في الفتح الأول- للجهاد، تقسيمات الجيش وتسمية قادته، أنواع السلاح، المناطق التي جلب منها تجهيزاته الحربية، استشارة الباي للعلماء في أمر الحصار، عودة الباي من معسكر، حيث شهد ما حل بالإسبانيين جراء الزلزال لا سيما تهديم مخازنهم.

في ربيع الأول 1205هـ يستمر الباي في التحضيرات العسكرية بمساعدة القبائل، وعملية تزويدهم بالمؤونة. ثم يعين الفقيهان محمد ابن عبد الله الجيلالي، والسيد الطاهر بن حوا قاضي تلمسان، رئيسا لطلبة المرابطين بوهران[2].

في ربيع الثاني حل على الطلبة الكاتب الأديب بن هطال، وقائد المكاحلية قدور بن خلوف محملان بالأسلحة من الباي إلى الطلبة.

كما توصل الجزائريون خلال هذا الشهر إلى اكتشاف منبع الماء بوهران والاستيلاء عليه.

ومنذ شهر جمادى الأولى وبالضبط منذ اليوم الثامن منه الذي يصادف أول جانفي سنة 1791 وهو يوم الناير، يحل بن زرفة على الطلبة بايفري محملا إليهم من الباي بمؤونة الناير.

1- أنظر لاحقا، الملحق رقم 04 ، ص 242.

2- ابن زرفة، الرحلة مخ السابق ، ق 28 أ.

ويبدو أن بن زرفة بقي مرابطاً بهذا الرباط – ايفري[1]– منذ هذا التاريخ، – كما نفهمه من استعماله لعبارة " وفد علينا " –.

وخلال شهر جمادى الثانية تحدثْ الضائقة التي تستمر إلى شهر رجب[2]، بسبب صعوبة تموين الطلبة بالسلاح والغذاء، وشكوى حوالي ألفي(2000) مرابط من طول الرباط، وكون المواد الغذائية التي تصلهم من مستغانم وتلمسان غير جاهزة للاستهلاك. ومما زاد في صعوبة ذلك غياب المرأة عن هذا الرباط. ويفهمنا بن زرفة أنه رغم إعلان الداي عن بداية المفاوضات الاسبانية – الجزائرية حول قضية وهران والمرسى الكبير خلال شهر شعبان إلا أن ذلك لم يوقف الباي على مواصلة استعداداته.

فخرج من مستغانم في الثالث من شهر رمضان، ماراً بسيق لاستكمال جلب مدافعه، ليكون في 12 من رمضان تحت جدار وهران.

ولقد أولى بن زرفة قضية التجهيزات العسكرية أهمية كبرى حيث يحدثنا عن شتى أنواع الأسلحة المحلية، ودور القبائل في صنعها، وعن شراء الباي للأسلحة من الإنجليز في جبل طارق عن طريق سلطان المغرب مولاى يزيد.

ومع نهاية شهر رمضان تبدأ العمليات العسكرية لتستمر خلال شهر شوال سنة 1205هـ. حيث يعطينا المؤلف عدد القتلى والجرحى، بعدما يصور لنا هجومات المسلمين على الأبراج، ودفاع الاسبان، وجوسستهم عن طريق (المغطسين)، ثم اشتداد المعارك في شهر ذي القعدة لوصول باخرتين محملتين بالعتاد الحربي من جبل طارق.

1- ايفري قرية صغيرة على الضفة اليسرى لواد الرحى ، الذي يعرف أيضا بوادي رأس العين

2-HOUDAS ;OPCIT ; pp61–62..

خلال هذا الشهر يتوفى الداي محمد ليخلفه حسن الخزناجي، هذا الأخير الذي يقوم بتثبيت الباي في منصبه، فيمتثل محمد باي لأمر الداي القاضي بمهادنة الأسبان لمدة 15 يوماً، في انتظار إرسال الإسبانيين للمال، كما تؤكده رسالة الداي حسن إلى ملك إسبانيا المرسلة عن طريق الباي، وحاكم وهران الإسباني[1].

ولما علم الباي خلال شهر ذي الحجة باقتراحات الاسبان القاضية بأنهم إما أن يحتفظوا بوهران ويعوضون الباي نفقات الحصار، أو تسليمها على الحالة التي وجدت عليها يوم احتلالهم لها أخر مرة.

اختارالباي الحل الثاني رغم كون الحملة والحصار كلفه 260.044 سلطانيا ذهبيا[2].

وتتوقف العمليات العسكرية منذ شهر محرم ليبدأ دور (الديبلوماسية) حيث يتلقى الباي في السادس عشر من هذا الشهر رسالة الداي المتضمنة شروط الصلح مع الاسبان[3].

وما على الباي تطبيقه. وأول ما نفذه الباي هو ترك مدة الجلاء للاسبانيين عن وهران والمرسى الكبير، ليتوجه في هذه المدة إلى مدينة الجزائر، حيث يستقبل من طرف الداي والشعب معا.

وكآخر حدث يسجله بن زرفة هو إقلاع الباي من معسكر يوم 17 جمادى الثانية 1206 هـ (1792.02.12) في مهرجان بهيج ليدخل وهران يوم 04 رجب سنة 1206 هـ (1772.02.27).

1-HOUDAS ;OPCIT ;PP61.62.

2-IBID ; P 78 .

3- انظر لاحقا: ملحق رقم 05 ، ص242.

كما نجد أبوراس الناصري هو الأخر يؤرخ لهذا الفتح في تأليفين، الأول هو "عجائب الأسفار" تطرق في فصله الأول إلى الأحداث التالية: الصراع العثماني – الإسباني في شواطئ المتوسط منذ سقوط الإمارات الإسلامية بالأندلس، ومحاولات كل من الباشا إبراهيم والباي شعبان لاسترجاع وهران، وفشل ملك المغرب الأقصى مولاي إسماعيل في غزو وهران، وكذلك فتح وهران الأول بفضل الداي محمد بكداش، وكيفية عودة الاسبان إلى وهران سنة 1732 والنتائج السلبية لذلك.

كما تضمن الفصل أشعارا للمؤلف ولغيره من الشعراء سواء القدامى أو الذين سبقوه بقليل. أما الفصل الثاني فيبدأه بالبيت:

تـــداركـــها الله بـــرفقتـــه * من بعد ما مضى لها مدة العنس.

ينهيه بالبيت:

وصيحة العدا حتى ولو كان * لم يف بالحد تهم بل ولا الخمس.

خصص هذا الفصل كما هو واضح من البيتين الشعريين لموضوع الفتح، ومدح الباي الفاتح الذي يكنيه بملك المغرب الأقصى، وإبراز مآثره الجهادية، والثقافية، كما يتطرق لأخبار بلاد السودان والحياة التجارية بها، تاريخ الثعالبة في المدية ومتيجة – هذه الأخيرة التى عاش فيها المؤلف – وتنس، الجدال بين عبد الكريم المغيلي والسيوطي في إباحة الأول للمنطق من خلال رسالة رد فيها على ما جاء به السيوطي من تحريم المنطق في كتابه " القول المشرق في تحريم المنطق "ويعرض أخبار مفصلة عن رحلته وشيوع خبر الجهاد في الشرق الجزائري لما كان عائدا من حجته الأولى، طلب الإسبان للصلح وموقف الباي محمد من شروط هذا الصلح، والأعمال

التعريبية للإسبان قبل خروجهم من وهران، ثم فتح وهران الذي أيقظ في ذاكرة المؤلف مأساة الأندلس وأخيرا خلد الناصري تاريخ دخول المسلمين وهران قائلا:

في خامس الفرد رجب ضحى يوم الاثنين * كان الدخول بعون الملك القدوس.
سنـــة ســت تــم لخـلقنـــا * وصل أيضا المنى من الــــدنس[1]

أما في "الحلل السندسية" فيعرض علينا الناصري القصائد التحريضية التي قيلت قبل فتح وهران الأول، وهران في العهد الإسلامي من خلال القبائل التي حكمت فيها وعلى رأسها مغراوة الدويلات التي توالت عليها وهم: الموحدون، المرينيون، الزيانيون، ثم ينتقل إلى المغرب الأقصى ليتحدث عن دولتي: الوطاسيين والسعديين، ويسهب في الحديث عن الاسبان ودولتهم وتاريخ وجودهم بسواحل المغرب العربي، وأسباب احتلالهم لها، من خلال الصراع المسيحي ـ الإسلامي، الذي يبدأ منذ سقوط الأندلس، فهذه المأساة تطلق العنان لذاكرة الناصري لاسترجاع تاريخ الفتوحات الإسلامية بالأندلس والتي يسهب في وصف مدنها وعلمائها فيميز اشبيليا بمدينة الأدب والزهد والطرب، بينما يميز قرطبة بالمركز العلمي، فهي من الأندلس كالرأس من الجسد ـ على حد تعبيره[2]ـ، ثم يستعرض الحروب التي خاضها المسلمون أثناء سقوط الأندلس، وسبب ذلك، وتعويض المسلمين بالقسطنطينية عن الأندلس، الصراع الإنجليزي ـ الاسباني على جبل طارق، والمحاولات الأولى لفتح وهران، ثم أحداث فتحها، ودور مرسى أرزيو أثناء التحرير، عودة الاسبان لوهران بعد أربعة وعشرون سنة(24) من الاستقلال، وسبب أخذهم لها في المرتين.

---

1 - الناصري: عجائب، مخ السابق، ق 104 ب.

2- الناصري: الحلل، مخ السابق، ص100أ.

وأخيرا نجد إشارة بسيطة لفتح وهران الثاني، هذا الفتح الذي جعل المؤلف يدعو الله بفتح الأندلس ثانية.

الموضوع الثاني: الذي يمكن قراءته من خلال بعض المصادر المتقدمة والآتي ذكرها. هوالغارات الأوروبية التي تعرضت لها مدينة الجزائر في الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

فبعدما يعرف ابن سحنون بمدينة الجزائر يتحدث عن الغارات الاسبانية، أما ابن زرفة فيتطرق إلى الغارات الأوروبية بصفة عامة والاسبانية بصفة خاصة هذه الأخيرة التي انتهت بصلح 1785.

بينما نجد محمد بن محمد التلمساني يخصص للغارات الأوروبية تأليفه " **الزهرة النائرة** "، لكنه لا يقتصر على غارات القرن الثامن العشر بل يذكر تسع (9) حملات تعرضت لها مدينة الجزائر منذ بداية العهد العثماني حتى فترة حكم الداي محمد عثمان باشا[1].

الأولى: هي حـملة دييغو دوفارة (Diego devara) في عهـد عـروج (922 هـ /1516 م) حيث توفى فيها الأخوان عروج واسحاق.

والثانية:حـملة هيقو دومانكاده (Hugo de mancadè) في عهـد خير الـدين (925 هـ /1519م) في فترة تم فيها إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وسفر خير الدين إلى اسطنبول.

الثالثة: وهي حملة الإمبراطور شارلكان (Charlesquint) في عهد حسن آغا.

والرابعة: حملة انجليزية في عهد رمضان باكباشي (1071هـ- 1661م).

1- كتب عنه أحمد توفيق المدني. أنظر: المدني: محمد ، المرجع السابق.

والخامسة: حملة دوكان الفرنسي (Duquesne) في عهد بابا حسن (1093-1094 هـ / 1682- 1682م).

السادسة: الحملة الثانية لدوكان الفرنسي على شرشالو الجزائر. في عهد بابا حسن أيضا.

السابعة: الحملة الثالثة لدوكان في عهد ميزومورتو 1025هـ/1683 م.

الثامنة: حملة الدانوبيين (الدانماركيين) بقيادة كاس(Caas) في عهد محمد عثمان باشا (1184هـ/1770 م).

والتاسعة: هي حملة أوريلي الاسبانية (O Reilly) في عهد عثمان باشا (1189هـ /1775 م).

يقدم التلمساني وصفا دقيقا لهذه المعارك خاصة الأخيرة والتي كانت رد فعل على الحملة الأخيرة التي شهدها هو. حيث يعطينا تفاصيلها وكيفية الاستعداد لها ومشاركة الصالح باي الشرق فيها، والذي عسكر في الحراش.

ثم يصف هول المعركة وصفا مفصلا ودقيقاً ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ[1] مسجلا عدد قتلى الإسبان الذي فاق 8000 قتيل[2].

أما الطرف الجزائري فلم تتعدى ضحاياه ثلاثمائة شهيد (300).

أما الموضوع الثالث الذي نسجله في هذه المصادر فهو موضوع العلاقة بين السكان (الرعية) أو الأعراب، والسلطة (البايليك).

1- أنظر: سابقا المدخل، ص 30.

2- التلمساني: المصدر السابق، ص 29.

هذا الموضوع الذي تخصص في معالجته ابن هطال في كتابه - الذي عايش أحداثه – " **رحلة محمد الكبير** " هذه الرحلة التي يمكن أن نصفها بالمهمة، أو الحملة، هدفها إخضاع المناطق الجنوبية الصحراوية لبايلك الغرب، وهي كما يحدد خط سيرها ابن هطال تنطلق من معسكر إلى شلالة، آفلو، عين ماضى، الأغواط، تاجموت.

ويفيدنا بالغنائم المحصل عليها من هذه المناطق مثل القمح، والشعير، والأمتعة. كما نسجل رفض سكان الأغواط دفع خمسة آلاف سلطاني، مائة ثوب، وأربعة أفراس للباي، وتفضيلهم البقاء كرعايا. مما أدى بالباي إلى محاصرة المدينة (الأغواط) والتي يصفها ابن هطال بكثيرة الأسوار، وانتهى هذا الحصار بدفع أهلها ما أمر به الباي، ثم غادرها على أنها مدينة جرداء، ماءها غير صالح، كثيرة الغبار، ولا نبات فيها[1]. فتوجه إلى عين ماضي[2].

كما يكشف لنا عن توتر العلاقات بين سكان الأغواط وبني ميزاب. والدور الذي لعبه الباي في عودة أسرى بني ميزاب إلى بلدهم وذويهم. بعد إطلاق سراحهم من الأغواط، أما الصلح بين الطرفين فلم يرد الباي التدخل فيه [3]. كما يشيد المؤلف بكرم الباي الذي وزع الدراهم، والدنانير على القبائل المحتاجة.

ويسجل أيضا حياة الباي ومآثره، مثل حديثه عن مسجد معسكر الذي بناه محمد الكبير، والذي يقول فيه:

---

1 - ابن هطال : المصدر السابق ، ص 6).

2 - حول حملة شيخ الطريقة التجانية من عين ماضي على السلطة العثمانية في معسكر أنظر: سعد الله، أبحاث، المرجع السابق، ج2، ص176.

3 - ابن هطال: المصدر نفسه، ص 75.

ألف العصا وفــك ركائبي * بالمسجد المنشئ بــأم عسكر.

المحكم التشييد في شرفاته * فتراه يحسن كالرياض الممطر[1]

الموضوع الرابع: في أوضاع وهران عشية الإحتلال الفرنسي والذي يطرقه مسلم بن عبد القادر في كتابه " **أنيس الغريب والمسافر** ". حيث يركز على أخبار وهران ونواحيها خلال الأربعة وخمسين (54) سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي (1192 – 1248 م) – (1778 – 1832)، أي عهد البايات المتأخرين، وهم محمد الكبير، وعثمان بن محمد الكبير، مصطفى بن عبد الله العجمي، ومحمد المدعو بالمقلش، ثم مصطفى بن عبد الله للمرة الثانية ومحمد بن العثمان المعروف ببوكابوس، وعلى فاربغلي، وآخرهم حسن بن موسى.

نقرأ من خلال هذا التأليف التدهور السياسي الذي حصل بعد محمد باي، هذا التدهور كان عاملا من عوامل الاحتلال في نظر بن عبد القادر. فهو يتخذ موقفا مزدوجا من حكم الأتراك، يصفهم بالشجاعة والصرامة في الحروب من جهة بقوله:

صناديد لولا الفساد في الورى * لقلنا قــل مثلهم فوق الثرى.

ومن جهة ثانية يحملهم ما آلت إليه الجزائر من ضعف واحتلال ذلك من خلال ما كتبه في رجز بعد مفارقته للباي حسن، حيث قال:

فانشغلوا بالظلم ليس من عدل * فأخــذوا أخــذ وبيلا بالمهل.

لما نسوا ما ذكروا به خــتم * عــلى قــلوبــهم الله وانتقـم[2]

---

1 – بن هطال، المصدر السابق: ص 75.

2- بن عبد القادر: المصدر السابق ، ص 47.

ويقول أيضا:

أدبهـم ربهـم لمـا طغـُـوا * عـرفهم بقـدرهم لمـا بغوا.

وقد أبدى أسفه البالغ على ما آلت إليه حالة الجزائر بعد الإحتلال فيما يلي:

دعـى عنك المـزاح ونوحـى * على الإسلام وبالدمع فاسفحى.
واحكي زمان الوصل قد صرما * وركنا من أركان الدين انهدما.
قطر الجـزائر بـه حـلا البلا * فانحل عقـد النضم منه وخلا.

ومن ميزات هده الفترة أيضا، والتي يسجلها المؤلف هو حدوث الطاعون والمجاعات[1]، والجراد، حيث سجل من توفى من العلماء جراء هذه الأحداث مثل بن زرفة، هذا في زمن الباي محمد الكبير.

يتميز زمن الباي مصطفى باندلاع ثورة درقاوة[2] سنة (1805)، التي استطاعت تجنيد عامة الناس في صفها مستغلة نقمة الشعب الرعية على المخزن، ويركز على معركة فرطاسة[3]. التي وقعت بين السلطة ودرقاوة، وممن توفي فيها الكاتب أحمد بن هطال. كما يذكر معارك أخرى لهذه الثورة مثل معركة جديرة. ثافنة، هذه الأخيرة التي توفي فيها بن لحرش، لذلك سميت أيضا بيوم الأحرش.

1- حول هذا الموضوع بتفصيل أنظر: محمد الصالح العنتري: " مجاعات قسنطينة سنين القحط و المسبغة ببلدة قسنطينة. تحقيق وتقديم رابح بونار الجزائر (1974/1394)

2-حول تفاصيل هذه الثورة أنظر: " الغالي الغربي ثورة بن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك في القرن 19 "، مجلة الدراسات التاريخية ، عدد 24/23 (1986، دمشق)، ص 164.

3- وقعت المعركة بين وادي مينا و وادي العبد في أوائل ربيع الأول من عام 1219 هـ 1804 م بين الأتراك وبن الشريف الدرقاوي.

الموضوع الخامس: يتعلق بشاهد على الاحتلال الفرنسي، والقوة العسكرية للأمير عبد القادر[1]، التي هي إحدى ركائز دولة الأمير.

حيث يقدم قدور بن رويلة في " **وشائح الكتائب** " تفاصيل دقيقة ومتنوعة حول الميدان العسكري لمقاومة الأمير عبد القادر.

بداية يفيدنا بالتنظيم العسكري، والذي هو من وضع الأمير عبد القادر نفسه، حيث يقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام (الخيالة) أو الفرسان، المشاة، والرماة (أهل المدفعية).

ثم يعرض أنواع ملابس الجنود منها ما هي من الملف، ومن القطن، كما يحدد ألوانها، وقيمتها، مثل السراويل الصدرية، الكبوط، الشاشية.

ويشرح شروط تولي المناصب في الجيش، وميزانية المؤونة، وما يتقاضاه كل واحد في الجيش حسب درجته. ومن يقتل لا ينقطع راتبه بل يتقاضاه ولده إلى أن يصبح قادرا على حمل البندقية.

كما يصدر الأمير الحكم الشرعي بالاجتهاد في حق من يخالف القوانين التنظيمية في الجيش.

يتطرق بن رويلة إلى جانب ثاني أوالأساس الثاني لدولة الأمير وهومكمل للجانب العسكري ويتعلق الأمر بالعملة التي بيّن أنواعها. مثل المحمدية[2]، والنصفية[3] والدورو.

1- ساءت العلاقة بين السلطة والطريقة القادرية بعدما اعتقل باي وهران والد الأمير عبد القادر الشيخ محي الدين، الذي أعلن المقاومة ضد المحتل الفرنسي ثم تولى المقاومة في الغرب ابنه عبد القادر.

2- المحمدية: قطعة من النحاس، قطرها 16 ت 17 ملم و وزنها 0.75 جرام كتب على وجهها " ان الدين عند الله الإسلام "، وعلى قفاها ضربت في تاقدمت 1256 هـ.

3- النصفية: نصف المحمدية قطعة نحاسية قطرها 14 ملم و وزنها صفر جرام، كتب على مثلما على وجهها "حسبنا الله و نعم الوكيل " وعلى قفاها مثل م على قفا المحمدية.

هذه المنطقة التي

كما سجل حملة الأمير على عين ماضي ضد التيجانيين، هذه المنطقة التي يصفها بدار الظلم، والفساد والبغي، ويقول بأنه (الأمير) هدم أسوارها وديارها.

ويحمل مؤلف كاتب الأمير أيضا جانب من شخصية الأميرعبد القادر السياسية وأعماله الجهادية من خلال قصائد شعرية.

كما نقرأ من خلال الرسالة التي أرسلها بن رويلة إلى مفتي العاصمة مصطفى بن الكبابطي أنه متعصب للجهاد ويرى ضرورة الخروج من ذمة الكافر بالهجرة من الجزائر التي نجست بالنصارى، وكل من بقي بها تحت رحمة الكافر فهو في خدمتهم، ويسمى بالذمى، لذلك يرى في الجهاد ركنا مكملا لأركان الإسلام وضرورته في هذه الحالة التي آلت إليها الجزائر جراء الاحتلال الفرنسي[1].

الموضوع السادس: في هذا المبحث حول أول مقاومة سياسية في تاريخ الجزائر المحتلة فرنسيا، بقيادة حمدان بن عثمان خوجة، الذي لعب دورا رياديا في تطور القضية الجزائرية في الفترة (1833 ــ 1840)، خلد هذا النشاط السياسي في كتابه المرآة ــ خاصة ــ وبعض الرسائل ومذكراته.

ففي "**المرآة**" يصف وصفا تقريريا التناقض الموجود بين العهدين، العهد التركي الذي انقضى بسبب الضعف السياسي والعسكري، والعهد الفرنسي الذي حل، موضحا تناقض السياستين التركية والفرنسية، فرغم التجاوزات التي سجلها حمدان خوجة للعهد التركي، إلا أنه يفضله عن عهد الاحتلال الفرنسي، هذا الشخص الذي كانت نواياه عدوانية منذ وصول الجيش الفرنسي

1- أنظر لاحقا: الملحق رقم 13، ص 250.

إلى سيدي فرج، وبعد هزيمة سطاولي يصف الاضطهاد الذي مارسه الفرنسيون ضد السكان الجزائريين، واستيلاءهم على صندوق القصبة الذي كان به 20.000 فرنك وباقي كنوز الجزائر، وسلاحها، حيث يقول: "…. السلاح بالنسبة لسكان الإيالة أثاثا تزين به قاعات الاستقبال ... هناك من يملك أسلحة مرصعة بالفضة، والذهب والأحجار الكريمة ... إن هذه الأشياء تمثل رأسمال، وقد سلمناها بالاعتماد على كلمة الشرف...ولكن بأي حق استولوا عليها ؟"[1].

لذلك يخاطب الدولة الفرنسية، منتقدا سياستها المتنافية مع حقوق الإنسان والحرية، ويقول بالتحديد حول تجاوزات دوبورمون: " أين هم أولئك الفرنسيون المشهورين، تلامذة نابليون العظيم ...."[2].

كما يشير إلى ما آل إليه بايليك التيطري والغرب والشرق بعد الاحتلال، فبايليك التيطري عمته الاضطرابات والفوضى بسبب التصرفات الجنونية للباي مصطفى بومزراق التي لم يستفد منها سوى المارشال بورمون، والجنرال كلوزيل (Clauzel)[3].

أما الباي حسن فبعد رجوعه إلى وهران شق عليه العرب عصا الطاعة، بعدما علموا بكارثة الاحتلال. نفس الوضع عرفه بايليك الشرق بعد رجوع أحمد باي إلى قسنطينة، اضطرابات وثورات.

يسجل أيضا الطريقة التعسفية التي تم بها الاستيلاء على الأوقاف والملكيات

1- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة: تقدم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الطبعة الثانية، (الجزائر 1982) ، ص 231.

2- نفسه: ص 230.

3- كلوزيل (clauzel)قائد عام للجزائر و عضو لبلدية مدينة الجزائر.

العقارية والأراضي، خاصة في عهد كلوزيل ألد أعدائه، والذي فرض على حمدان خوجة ضريبة بـ1.200.000 فرنك، ورمى به وخاله المسن (80 سنة) بالسجن اللذان لم يخرجا منه إلا بعدما دفعا ضريبة تقدر بـ 132.000 فرنك.

تتضح مواقفه السياسية أكثر من خلال العريضة التي قدمها في 03 جوان 1833 للمارشال سولت (Soult) وزير الحربية الفرنسية، التي تتضمن ثمانية عشر بندا، يحمل (شكاوى) الشعب الجزائري محررة بالعربية، ومترجمة إلى الفرنسية. من بين ما تضمنته، نفي القاضي والمفتي بغير حق، والاستيلاء على الأوقاف، هدم الطرق والممتلكات، هدم جامع السيدة، وأربع (04) مساجد حوله، تحويل جامع كتشاوة إلى كنيسة، وأخذ الزوايا التي كانت مقرا للفقراء، وأخذ المياه الجارية، وعدم احترام الأضرحة، واقتحام ديار المسلمين لتسجيل أسماء النساء وأعمارهم، وتعدي اليهود على البدو خاصة[1].

ومن خلال المذكرة التي سلمها إلى اللجنة الإفريقية في شهر جويلية سنة 1833، يشير فيها إلى أن قاعدة المجتمع الجزائري هي البدو والقبائل، وعليهم يتوقف السلم والهدوء، لذلك يندد بالمجازر التي قام بها الدوق دوروفيقو، في حق قبيلة العوفية بغار الظهرة بضواحي العاصمة في سنة 1832. وعلى هذا الأساس يبرز مواقف الشعب الجزائري المتطرفة والعدوانية تجاه الفرنسيين، ويقول بأنه مطلع على ميثاق حقوق الإنسان لفاتيل(Vittell) من خلال ترجمة عربية لحسونة دغيس، لذلك " فان هذا الواقع لا يغتفر لدى قائد يمثل الأمة الفرنسية "[2] ونفس المواقف الوطنية أبداها من خلال رسالته للجنة الإفريقية في 26 أكتوبر 1833 [3].

1- عبد الجليل التميمي: " بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر، تونس، ليبيا) "، الطبعة الأولى، (تونس، مارس 1972) ، ص ص، 146 ـ 156 .

2- محمد العربي الزبيري: " مذكرات المصدر السابق ص 168.

3 - أنظر : لاحقا الملحق رقم 14، ص 261.

المبحث الثاني

صورة الواقع الثقافي والاجتماعي

صورة الواقع الثقافي والاجتماعي

نسجل من خلال هذه المصادر توظيف الشعر والنثر والحكم في تخليد مآثر الحكام مثل اشتراكها جميعها في إنشاء قصائد في مدح الداي بكداش، والباي مصطفى بوشلاغم، والباي محمد الكبير، كما عالجت الواقع السياسي، والثقافي والإجتماعي في قالب شعري وحكمي.

كإبراز بن سحنون لدور زلزال وهران أثناء الحصار في الفتح الثاني لوهران في قوله:

ثم آتاه هازم الأحـزاب * لفتحـها بأكبـر الأسبـاب.
فزلـزل البلاد بالكفا ر * زلـزلة أردتهـم فـي النار.
وصيرت بناءهـا تـرابا * وكـل عـامر لهم خـرابا.
فأصبحـو أو كـل بيـت * من دورهم لحد لكـل ميت.
وما نجى من أكثر العلوج * إلاّ الذي قد بات في البروج [1].

كما يصف لنا بن سحنون الضعف الأدبي والشعري في عهده بقوله: "اعلم يا أخي أن الألسنة غلبت عليها العجمة وارتفع منها سر الحكمة فصار الناس يتغنون بالملحون، وبه يهجون ويمدحون[2] " لا نستغرب الموقف النقدي الذي وقفه بن سحنون تجاه واقعه الثقافي إذا علمنا أنه كـان ــ بن سحنون

1- ابن سحنون: المصدر السابق ، ص ص 203 ، 204.

2- نفسه ، ص 149.

مطلعا ومستوعبا لمبادئ الثورة الفرنسية التي كانت ثمرة عهد النهضة.

جانب أخر من الواقع الثقافي والعلمي عالجه كل من بن هطال وأبوراس الناصري وهو أن علم التاريخ لا تختلف وضعيته عن وضعية الشعر والأدب.

نظر بن هطال للتاريخ على أنه علم يخدم الحكام حيث قال في ذلك: " إن علم التاريخ من أجّل العلوم قدرا، وأكملها محاسناً وفخرا... به عرفت قدماء الأمم، وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشّيم، فاشتغلت به علماء كل قطر، وصنفت به أدباء كل عصر"[1]

أما أبوراس الناصري فيبيّن قيمة التاريخ – الذي يصفه بالفن– في قوله: " لقد خضت في هذا الفن (التاريخ) قديما، وضقت به أديما، ولم أزل في خدمته مستديما، حتى كثرت عندي رقاعه، وامتلأت بقاعه وصارت نفسي تحدثني بالتدوين والانخراط في سلك المؤلفين" [2]

وينتقد الناصري هو الأخر عصره الثقافي قائلا: "إنني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده ومعاهده، وخلت دياره ومراسمه، وعفت اطلعه ومعالمه، لا سيّما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان، وشرفت شمسها على الأفول، واستوطن فحولها زوايا الخمول " [3].

ويفيدنا الناصري أيضا بكتابه " **فتح الإله** " ــ الذي خلد فيه عدة عناوين لطبقة العلماء والفقهاء قبل عصره، وأثناءه ــ من حيث نوعية المــواضيع

1– ابن هطال: المصدر السابق، ص 35.

2– الناصري: عجائب، مخ السابق، ورقة 2 ب.

3– نفسه: ورقة 2 ب.

المطروحة سواء العلمية منها أو الثقافية أو السياسية، فنستنتج أن هؤلاء جميعهم سواء كانوا مشارقة أو مغاربة اشتركوا في معالجة المواضيع من زاوية دينية، لذلك كان الواقع الثقافي العربي متقاربا إن لم نقل موحدا، لعدم وجود فكرة الحدود آنذاك.

خلد مسلم بن عبد القادر الواقع الجزائري من خلال الأمثال والحكم التي تضمنها تأليفه والذي تعد في حد ذاتها أساساً للواقع الثقافي، وروح العصر الذي عاشه، وخلاصة لتجاربه كجزائري. ومما قاله " الأدب سلاح زمان الكفاح "، " التقوى زاد ماله نفاذ "، " الصدر الحر معدن السر "، " لا تصحب الجهال كي لا تكون ذا إهمال "[1].

- كماعالج حمدان خوجة هذا الضعف الثقافي الجزائري في كتابه "إتحاف المنصفين" -في إطار الضعف الحضاري للعالم الإسلامي - المريض ثقافيا واجتماعيا، لذلك تضمن كتابه هذا موقفا انتقاديا لهذا الواقع، ثم عرض أفكاره الإصلاحية على السلطان محمود الثاني لتطبيقها.

تمثلت هذه الأفكار في نبذ التزمت والمتزمتين، من أولئك الفقهاء الجامدين ومحاربة العصبية والمتعصبين الذين راحو يكفّرون كلاً من أخذ من المسلمين بأسباب التقدم الغربي، واقتفاء طريق النهضة الأوروبية، والحضارة الغربية. مدعما رأيه في ذلك بقول علي بن أبي طالب (رضى الله عنه):" لا تعرف الحق بالرجل أعرف الحق تعرف أهله"[2].

اشتركت هذه المصادر في مجال آخر في تصوير الصراع الجزائري - الاسباني في القرن الثامن عشر(18) والصراع الجـزائري- الفرنسي فـــي

1- ابن عبد القادر: المصدر السابق، ص ص 39 ــ 40.

2- بن عثمان خوجة: اتحاف ، المصدر السابق، ص 270.

مطلع القرن التاسع عشر (19)، كصراع حضاري، – صليبي بين المسيحية والإسلام.

نفهم هذا من خلال التنويه بمن استشهد في سبيل الوطن ضد النصارى، وبتجنيد وتكافل الشعب الجزائري (الرعية) مع السلطة الحاكمة التركية، – رغم الخلافات الداخلية – في عدة محاولات دفاعية – تحريرية.

نجد مثلا التلمساني يحرض على الجهاد ويجند العامة بالاستناد[1] والاستدلال بقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – " الجنّة تحت ظلال السيوف". وهناك من يقول لقد ذهب بفكره التحرري إلى أبعد من حدود الجزائر وثغورها، إلى استرجاع الأندلس الإسلامية، هذا الموقف لأبي راس الناصري الذي أسهب في الكلام عن مجد الأندلس الحضاري، الإسلامي.

- وحتى حمدان خوجة أبدى نفس النظرة للفرنسيين، أي كأجانب وممثلين لحضارة أخرى (أوروبية).

أبدى هذا التناقض الموجود بين الحضارتين الأوربية والإسلامية خاصة في تأليفه "المرآة"، هـذا التناقض في نظره لم يكن مطروحا أيام الأتراك. بينما طرح وبحدة بعد التجاوزات التي ارتكبها الجيش الفرنسي في حق المعالم الأثرية للحضارة العربية – الإسلامية كالمساجد، والزوايا، والأضرحة والأوقاف، وحتى الأشخاص كرجال الأفتاء.

وهذا واحد من مواقفه الكبيرة التي بيّن من خلالها خصائص الحضارة الإسلامية، ويتعلق الأمر بخصوصية الأوقاف ودورها في هذه الحضارة، اجتماعيا وثقافيا، واقتصاديا حيث يقول:

1- التلمساني المصدر السابق ، ص 15.

إذا كنت قد دخلت في التفاصيل الخاصة بالوقف فلأنني متأكد من أن الأوربيين سيقرؤون هذه التفسيرات بكل اهتمام، حتى يتحققوا من أن شريعتنا تعتمد أساسا على مبادئ حضارية وأخلاقية"[1].

تختزن هذه المصادر من جهة اخرى معلومات قيّمة وكثيرة عن الجانب الجغرافي والعمراني لمناطق ومدن جزائرية- مغربية وحتى مشرقية واسبانية.

ركزت على أماكن ومدن الغرب والجنوب الغربي للجزائر مثل مدينة وهران ـ معسكر ـ مليانة ـ برج المرسى والبرج الأحمر- الذي بناهما أبو الحسن المريني في القرن الثامن (8هـ)، وقلعة مرجاجو، وبرج المرسى، والدور الجهادي الذي قدمته هذه الأبراج والقلع والحصون والرباط في فتح وهران الثاني.

كما ذكرت أودية الغرب الجزائري مثل وادي سيق، وادي الشلف، والبساتين وسهل غريس والأنفاق.

من المدن الجنوبية التي ذكرت قصر آفلو، قرية الشارف، تاجموت عين ماضي، أم الضلوع، الأغواط، بني ميزاب مع وصف لحالتها العمرانية.

وذكر التلمساني وحمدان خوجة المناطق التلية والساحلية مثل برج الفنار، جيجل، تنس، قلعة بني راشد، المتيجة، البليدة (المدينة).

أما الورثلاني والناصري فسردهما للحدود الجغرافية والعمرانية تعدت الجزائر لتضم مدن أخرى من المشرق العربي والمغرب الأقصى.

فبالإضافة إلى ذكر الورثلاني لمـدن جزائرية مثل مجانة، زمورة، أولاد

---

1 - بن عثمان خوجة: المرآة ، المصدر السابق ، ص 270

موسى، أولاد دراج، بريكة، بسكرة، سيدي عقبة، ذكر مدن من تونس وليبيا، ومصر والحجاز مثل نفطة، توزر الكاف طرابلس، تاجوراء، مصراتة، بلاد سرت برقة، الاسكندرية، القاهرة، المدينة المنورة ومكة.

بينما تحدث أبوراس عن إسبانيا وأشهر مدنها كقرطبة التي وصفها بالمركز العلمي، ورأس الجسد، كما تعرض لتاريخ المدارس كركيزة حضارية، حيث يقول أنها لم تكن موجودة قبل الإسلام، بل وجدت منذ القرن الرابع (هـ)، ويذكر نماذج منها كالمدية، العنانية (أبوعنان) بفاس ومدرسة ابني الإمام بتلمسان، مدرسة المنتصرية ومدرسة البياشية بتونس، المدرسة القشاشية بالعاصمة والمحمدية بمعسكر والتي أسست من طرف الباي محمد الكبير.

أما الواقع الاجتماعي فتناوله من خلال فكرتين:

الأولى: تطرق هذه المصادر للحديث عن القبائل من جميع النواحي، تكلم عنها المشرفي من حيث نسبها، وبطونها وطبيعة أعمالها، مركزا على القبائل التي تتعامل مع الإسبان حيث اعتبر هذا التعامل خيانة في حق المجتمع الجزائري المسلم.

بينما سعى بن زرفة إلى إبراز دور القبائل المتكافلة والمساعدة للباي محمد الكبير، ومدى كرمها، دون أن يغفل عن دور القبائل العميلة والتي تسمى بالإسبانية المغاطيس (Almagataze)[1].

- اعتمدت دراسة حمدان خوجة السوسيولوجية للمجتمع الجزائري على تقسيمه إلى بدو (العرب) وهم سكان التل والسهوب، والبربر وهم سكان الجبال.

1- ابن زرفة: الرحلة مخ السابق، ق 128 (ب).

تطرق إلى طبائع البربر والعرب، وطريقة العيش واللباس ونوع المسكن لكل منهما- لينتهي إلى الفكرة الأساسية من هذا التحليل الإجتماعي (المجتمعي)، وهي إبلاغ فرنسا بأن قاعدة المجتمع الجزائري هي هؤلاء البربر والعرب معا، وأي مساس بالحقوق الجزائرية، يعني المساس بهؤلاء لذلك يبرر مقاومتهم للفرنسيين.[1]

أما **الفكرة الثانية** فهي إبراز بعض العادات الجزائرية، كالتمسك الشديد بزيارة القبور والأضرحة، والتبرك بالأولياء، وكأن هذه الوظيفة الاجتماعية هي روح المجتمع الجزائري في هذه الفترة.

لذلك يركز حمدان خوجة على الآثار السلبية المترتبة عن تدميرها من طرف الفرنسيين.

وكذلك ترتبط بهذه العادة فكرة الاعتقاد في الكرامات ودور المرابطين الصالحين في الأخلاق والإصلاح، حيث يقول حمدان خوجة :"فعلى سخط أو على بركة المرابط تتوقف سعادة القبائلي الخيالية"[2].

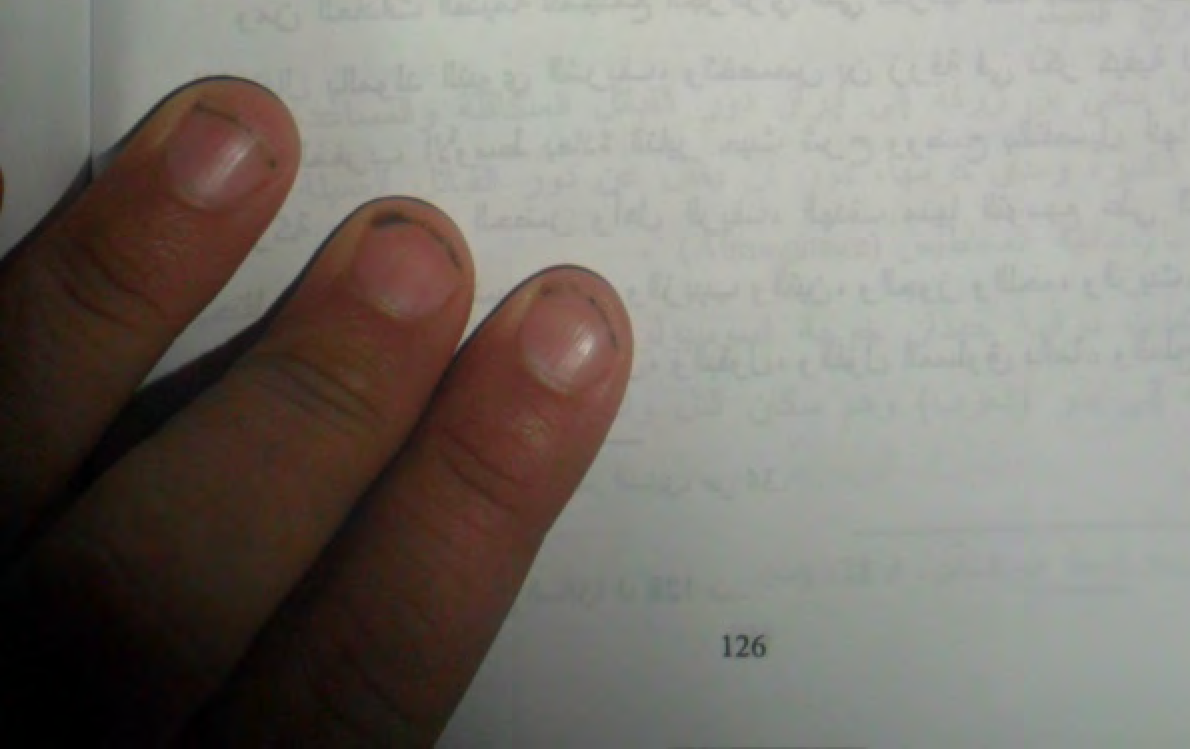
ومن العادات القديمة للمجتمع الجزائري التي ذكرتها هذه المصادر- كيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وتخصص بن زرفة في ذكر كيفية احتفال سكان المغرب الأوسط بعادة الناير حيث شرح ووضح بالتفصيل أنها عادة مشتركة بين أهل الحضر وأهل الريف، الهدف منها التوسيع على العيال، يحتفل بها أهل الحضر بالتمر والزبيب والتين، والجوز واللحم، والزيت. بينما أهل الريف يحتفلون بها بالسمن، والبقول، والفول المسلوق بالماء والملح[3].

1- بن عثمان خوجة : المرآة، المصدر السابق، ص 34.

2- نفسه: ص، 57.

3- ابن زرفة: الرحلة ، مخ السابق، ق 128 ب.

ولم تهمل هذه المصادر معالجة الوضع الصحي للواقع الاجتماعي الجزائري، خاصة في نهاية القرن الثامن عشر (18)، وبداية التاسع عشر (19)، الذي تميّز بالانتشار الواسع للمجاعات حيث أودت بحياة الآلاف من السكان بسبب ما أفرزته من أوبئة وطاعون.



المبحث الثالث

صورة الواقع الاقتصادي

صورة الواقع الاقتصادي

في الحقيقة لم تتخصص هذه المصادر في المواضيع الاقتصادية، بل طرقت هذه المواضيع بطريقة عابرة، عفوية في أغلب الأحيان.

ومع ذلك نستطيع قراءة الوضع الاقتصادي في هذه الفترة تبعا للأهمية الاقتصادية والتجارية لبعض المدن الجزائرية، مثل حديث التلمساني عن غنى قلعة بني راشد زرعا وضرعا، حيث تصدر الميرة لباقي النواحي.

كما صور لنا بن زرفة الأهمية الاقتصادية للمنطقة الغربية، مثل حديثه عن الثروة الغابية، حيث لعبت أشجار الصفصاف، دورا أساسيا في الصناعة الحربية كصناعة المدافع، حيث يقول: "وشاهدنا العجب العجاب فيما يدخل الألات، المدافع من خشب وكأنها تحرق أو تذاب، الحدادون منشغلون بتهيئة عصائب الحديد للعجلات، وتهيئة المسامير لها، وسائر الآلات، وتفصيل النقوش والمثاقب"[1].

يتحدث أيضا عن الجلود ودورها في صناعة الأحذية المرسلة إلى الجند المحاصر لوهران. ونستنتج نوعية المحاصيل السائدة عند حديثه عن الناير مثل التين، الجوز، الزبيب. وما نسجل أيضا من خلال هذه المصادر العملة المتداولة في هذه الفترة وهي الريال، السلطاني، الأوقية، هذه الأخيرة يقول

1- ابن زرفة: الرحلة، مخ السابق، ق 95.

عنها بن زرفة "أنّها الدرهم الشرعي في لغتنا المغربية "[1].

ويذكر بن هطال الدنانير، الدرهم، أما في دولة الأمير عبد القادر فبالإضافة إلى العملات السائدة كالريال صك عملة المحمدية والنصفية.

أما في تأليفه" **الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء**" الذي كتبه بن زرفة بطلب الباي محمد، قصد الرد على من اتهمه بالتجاوزات في موضوع الضرائب، وما يتعلق بها.

تطرق في الفصول الثلاثة الأولى إلى حقوق الأمراء، وما يتقاضوه، وجباية الضرائب، والهدايا التي يسمح لهم بقبولها، والعمليات التجارية المسموح لهم بها أما الفصل الرابع – الذي يعلق عليه ايمريت كأهم فصل يتضمن تقدير طبيعة موارد بيت المال، وفيما ينفق هذا المال، ودراسة حالة أعراب الريف وأراضيهم.

يتحدث عن غنائم الحرب كمورد من موارد بيت المال، ثم الأراضي التي أخذت عنوة تدفع الضريبة، أما التي أخذت صلحا فهي لا تخضع لخراج بيت المال [2].

نفهم من تعليق ايمريت على هذا التأليف أن بن زرفة اعتمد على الأحاديث النبوية، وخاصة فكرة أن الجزية لا تفرض الاّ على غير المسلم.

كما يفيدنا المعلّق أن هذا الكتاب استعمل في العهد الفرنسي من طرف الجنرال شارون (Charen) سنة 1849 لتطبيق نفس النظام الضريبي على السكان[3].

---

1 – بن زرفة، المصدر السابق: ق148.

2 -Mercier ; Op.cit ; p 323.

3 - IBID; p 337.

وإذا كان بن هطال قد أبرز مميّزات المنطقة الجنوبية، وانتقد منطقة الأغواط بالخصوص لعدم صلاحيتها للزراعة.

فإن أبا راس يبرز الأهمية التجارية لمرسى أرزيو، ويذهب بأفقه خارج الجزائر ليحدثنا عن الحياة التجارية في بلاد السودان.

أما قدور بن رويلة فيدرس ميزانية دولة الأمير عبد القادر، ويبيّن كيفية تقسيمها، خاصة رواتب الجند.

كما سجلت هذه المصادر وعلى رأسها- مسلم بن عبد القادر تدهور الحياة الاقتصادية، والتي تظهر آثارها وإفرازاتها في انتشار المجاعات والأوبئة.

كما قارن حمدان خوجة بين نظام الأراضي في الشريعة الإسلامية، وكيفية توزيعها، وما آلت إليه في عهد الاحتلال الفرنسي.

وبيّن أن هذه الأراضي كان يستفاد منها من خلال ضريبة العشر التي تدخل للخزينة لدفع مرتبات الجيش، والاعتناء بالفقراء، ولتربية الأيتام، ودفع أجور القضاة.

وما آلت إليه الأوقاف – التي كانت مورد اقتصادي أساسي – جراء تحويلها من الخدمة العامة إلى الإدارة الفرنسية، خاصة في عهد كلوزيل.

ويقارن أيضا ثروات الجزائر كجزء من إفريقيا بثروات فرنسا قائلا: "عندما نقارن ثروة فرنسا بثروة هذا الجزء من إفريقيا، ومواردها المعتمدة ونتائجها، وعظمة إيالة الجزائر، فإن المقارنة تحط من قيمة تلك الأمة في نظر الإفريقيين، وفي أذهان أصدقاء الإنسانية والحضارة الذين يعملون على التوفيق بين الشعوب وتوحيدها وعلى تدعيم علاقتها الاجتماعية والتجارية والسياسية"[1].

1- بن عثمان خوجة: المرآة ، المصدر السابق ، ص 275.

الفصل الثالث: دراسة تحليلية للشكل

المبحث الأول: طريقة عرض وتفسير هذه الكتابات للأحداث والأفكار.

المبحث الثاني: أسلوبها في تناول الأحداث.

المبحث الثالث: المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الكتابات.

المبحث الأول

طريقة عرض وتفسير هذه الكتابات للأحداث والأفكار

طريقة عرض وتفسير هذه الكتابات للأحداث والأفكار

أولا: من حيث طريقة عرضها للأحداث والأفكار فهي تشترك في كثيرمن النقاط، وتختلف في الجزئيات.

تشترك في كونها كتبت بطريقة تقليدية، أي أغلبها لم تكتب وفق خطة مفصلة بأبوابها وفصولها، بل جاءت المقدمة على نمط واحد، من حيث ذكر البسملة والحمدلة، ودافع التأليف وتسمية المؤلف، كما أنها لم تغفل الحديث عن الإطار الجغرافي.

أما الفصول فإن توفرت في بعضها، فهي لم تكن منهجية، أي غير مبنية على أفكار متسلسلة، ومترابطة بل جاءت حسب مواضيع متنوعة المجالات.

يبرر مثلا بن زرفة عدم تبويبه لتأليفه قائلا: بأنه رحلة والرحلة لا تحتمل التبويب ولا التفصيل، ولا يبرهن على ذلك بدليل".[1]

فإذن جاءت على شكل رحلة زمنية لها طابع التراجم الشخصية، رتب فيها بن زرفة الأحداث حسب الشهور القمرية، مقابل كل غزوة من غزوات الرسول (ص) أو الصحابة بغزوة من غزوات الباي أثناء الحصار والفتح. أما المقدمة التي وضعها في بداية التأليف فكأنها تأليف منفصل، أراد بها تفادي مواضيع رآها استطرادات في الرحلة التي هي أساس التأليف.

1 - ابن زرفة: الرحلة مخ ، السابق ق 2 ب

أما الجزئيات التي تختلف فيها هذه المصادر فنجد مثلا كل من بن سحنون وأبي راس- في تأليفه- يعتمدان على وحدة البيت الشعري الذي يشرح لغويا، فنحويا، ثم بلاغيا، وأخيرا إعطاء المعنى التاريخي العام، وكأن كل بيت عنوان لفقرة طويلة قد تحمل فكرة أو عدة أفكار، تتخلل هذه الأخيرة قصائد يوردها المؤلف من غير المنظومة التي هي أساس التأليف ومحوره، هذا ما يجعل هذه المصادر شروحا أكثر منها تأليف ممنهجة.

وسار المشرفي، والورثلاني على الطريقة الإنشائية، أي سرد الأحداث التاريخية دون التقيد بالفواصل والنقاط، مما يؤدي إلى صعوبة التمييز بين المواضيع المطروحة.

بينما اشترك ابن هطال، وقدور بن رويلة في اتباع طريقة التقييد، وضبط الأحداث، الأول حسب التسلسل في سير الرحلة حيث حدد اليوم والساعة، وضبط أسماء الأماكن والمواقع، وأعطى الغنائم، والجبايات بالأرقام.

أما الثاني فنجده يجدد قوانين الجند المختلفة ويضبط مصطلحات اللباس، والرتب، والسلاح، والعملة، ويبين أصلها وقيمتها، وطبيعتها ودورها.

في حين اتبع مسلم بن عبد القادر الطريقة الكرونولوجية أي طرح الأحداث التي جاءت في عهد كل باي بعدما رتبهم ترتيبا زمنيا حسب فترة حكمهم.

واتبع حمدان خوجة طريقة طرح المواضيع المختلفة التي عاصرها في شكل عنوان للفصل، يصف الحدث، ثم يبدي رأيه وموقفه منه، ويستخلص النتائج بعد المقارنة، ثم يعرض في أغلب الأحيان حلولا لهذه القضايا، مثل اقتراحه على السلطان العثماني تعيين الحاج أحمد باي كباشا على الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي[1].

1 – ابن عثمان: المرآة، المصدر السابق، ص 172

أما من حيث التركيز على الموضوع الأساسي فقلما التزمت به هذه المصادر، مثلا نجد الورثلاني والناصر وبن سحنون، وبن زرفة أقل التزاما بالموضوع الأساسي من التلمساني، وبن هطال وبن رويلة وحمدان خوجة.

ربما يفسر ذلك بالزاوية والمنطلق الذي كتب منه كل من هؤلاء فهناك من كتب كمؤرخ، وآخر ككاتب للحاكم، وآخر كرجل سياسي. كما نفسر ذلك بسعة ثقافية كل من الناصري وبن سحنون، ووفرة المادة التاريخية لديهما.

وكنتيجة لهذه الطرائق المتبعة وجدنا شيوع ظاهرة الاستطرادات، والتكرار عند هؤلاء، لكن بدرجة متفاوتة، تكثر عند الناصري - ربما لظاهرة الحفظ القوية التي يتميز بها-.

وتنعدم عند ابن رويلة وحمدان خوجة، وقد أدرجت هذه الاستطردات تحت عناوين مثل فائدة، تنبيه، نوادر، حكايات، تنكيت، غريبة.

تظهر استطرادات الناصري خاصة في القسم الثاني من"عجائب" مما يعطي للقسم الأول الطابع التاريخي أكثر من الثاني، لكن من استطراداته ما هي مفيدة مثل حديثه عن أول مؤسس للمدرسة في الإسلام، وهو أبو الحسن بن علي بن اسحاق الملقب بنظام الملك في أواخر القرن الرابع للهجرة، من خلال بنائه للمدرسة النظامية ببغداد، كما يحدثنا عن المدارس التي عاصرها.

وتكمـن استطرادات ابن زرفة في الحديث عن الصوفية، وعلاقتهم بالكرامات.

أما بن سحنون فهو يعترف بنفسه بأنه مفرط في أغلب استطراداته[1] كحديثه عن علاقاته الشخصية بالباي محمد الكبير، بينما يبررهـا في بعض

1- ابن سحنون ، المصدر السابق، ص 449.

الأحيان بما يقصده من مقارنة بين أمجاد الماضي كصلاح الدين الأيوبي وفتوحاته، وبأمجاد حاضره محمد باي، وجبابرة الماضي كهولاكو بجبابرة الحاضر الإسبان.[1]

ومن المواضيع التي كررها الناصري في تأليفه هي فتح وهران الأول وحديثه عن القبائل كمغرارة، صنهاجة والدول كالموحدين، والزيانيين، والمعلومات الجغرافية عن وهران، والأندلس ويكفي لتأكيد ذلك أن نشير إلى وجود 22 بيتاً من المنظومة- مشتركا- بين "الحلل" و"عجائب".

كما لا تخلو هذه المصادر من نقل الأفكار الغريبة والمعتقدات والخرافات السائدة آنذاك، سواء اعتقد فيها صاحبها أو لم يعتقد، كقول بن سحنون لرؤية مصطفى بوشلاغم لسيدي الهواري في نومه يقول له (أي لمصطفى بوشلاغم) "بأن الإسبان سيأخذون منك وهران" [2] وسرده لرؤى المسلمين المبشرة بالفتح.

كما يكثر الورثلاني من ذكر الكرامات والخرافات لكنه لا يسلم هو بها وبصحتها، إذ يسجلها تحت عنوان نوادر...ويضع عليها عبارة "الله أعلم".

ثانيا: من حيث طريقة تفسير الأحداث والأفكار اتفقت هذه المصادر في أغلب الأحيان واختلفت في البعض الآخر، ذلك حسب مستوى، ونوعية ثقافة المؤلف وموقفه من الأحداث.

ففكرة سقوط وهران بسبب دعاء محمد الهواري عليها، أوردتها أغلب هذه المصادر التي تناولت فتح وهران وبدون مناقشة، بل هناك من ذهب إلى ذكر

1 - ابن سحنون، المصدر السابق، ص 423.

2 - نفسه، ص 447.

نص الدعاء وفي هذا المعنى يقول أبوراس، "فلم يكن إلا قليلا (أي من تاريخ الدعاء) حتى شوش الله على بني زيان من البحر بالكفرة فأخذوا وهران، ومن البر بالأتراك فأخذوا تلمسان"[1]

وينفي بن سحنون أن يكون سبب قبول الباي محمد الهدنة لمدة خمسة عشر 15 يوما مع الإسبانيين -أثناء الحصار-هوحبه للمال، بل لاعتقاد الباي في رؤية الرجل الصالح محمد القندوزي المستغانمي، الذي أنبأ الباي بأنه سيفتح وهران بعد ستة 06 أشهر، علما أن الرؤية وقعت في ذي الحجة ودخول المسلمين وهران جاء في رجب سنة 1206 هـ.

كما ظل السبب الرئيسي لسقوط وهران سنة 1732، في نظر هؤلاء هو القدر رغم أنهم يذكرون الأسباب الموضوعية كما سنرى، وعبر أبو راس الناصري على ذلك في قوله:

حكم الإله كمـا تـرى قدره * ولو شاء ما ملكوها عشر نفس[2]

إذن نفهم من هذه المصادر أن السبب الرئيسي لفتح وهران مقدراً، كما كان أيضا سقوطها مقدراً، فلا نستغرب ذلك لكون هؤلاء عاشوا في بيئة سادت فيها الأفكار الجبرية والقدرية. واتصاف اغلبهم بالتصوف وبالتالي نقول انهم يحملون طابع البيئة التي عاشوا فيها. لكنهم بالمقابل أكثر تفاؤلا كونهم أقرب إلى الواقع ممن رأى هذا الفتح باطلا، ما لم يتم على يد، المهدي المنتظر.

ونفس التفسير الديني فسر به الزلزال الذي ضرب وهران ومعسكر سنة 1790 ونظر إليه جميعهم كباعث على التفاؤل بالفتح مثل مـا هو وارد عند

---

1 - الناصري: عجائب، مخ السابق، ص 6أ.

2 - نفسه، ق 13 أ

بن زرفة حيث يقول:

فكان ذلك اليوم على النصارى * فمطرا يراو للإسلام عيدا

وطـالعه عليهـم نحـسـا و * عـلـى الإسلام سعـيـدا[1]

واعتبره بن سحنون سببا من أسباب الفتح، إضافة إلى محو الصليبية، والأنفة على مجاورة الكافر، وقطع الضرر الحاصل للمسلمين جراء قتلاهم. لذلك تجمع هذه المصادر على ان القصد من الحرب هو الجهاد والتحرير وليس الغنيمة.

ونجد الناصري يناقش وضعية علم التاريخ في زمانه وطرحه لقضايا فكرية كالجدال بين السيوطي وبن عبد الكريم المغيلي، كما نجده يربط ويقارن الأحداث كربطه لنقض الإسبانيين عهدهم للمسلمين لما احتلوا وهران للمرة الأولى، بنقضهم (الإسبان) العهد لأهل ملقة.[2]

ووجدناه أيضا يفاضل بين المدن الأندلسية، و يعلل الأحداث، كإرجاعه لهزيمة المسلمين في معركة قصر العـقاب بالأندلس إلى اختلاف رؤسائه، وسقوط إشبيليا لعامل الخيانة: " وكل يروم الرئاسة لنفسه، والنصارى يمشون بينهم بالمكر، والكيد ...وإن إشبيليا أخذها الإسبان بمعونة بني الأحمر"[3]

كما أرجع غلبة النصارى على ثغور المغرب الأقصى إلى ضعف بني وطاس.

بينما ركز بن سحنون على الأفكار الرئيسية، وألم بأحداث عصره كخصائص الثورة الفـرنسية واستعمل ابن زرفة الاستنتاج كطـريقة لتفسير

1- ابن زرفة: الرحلة ، مخ السابق ق 13 أ

2- الناصري: عجائب، مخ السابق ق 74 أ

3- الناصري: الحلل، مخ السابق ص ص218، 227

الأحداث، لا سيما تلك الخاصة بأخبار الإسبان داخل أسوار المدينة، لأن الجزائريين كانوا يجهلون ما بداخل الأسوار، كاستنتاجه لضعف العدد، عقب الزلزال من خلال عدم رد فعله على الهجومات الجزائرية.

وتميز تفسير كل من المشرفي والورثلاني والتلمساني ومسلم بن عبد القادرو قدور بن رويلة وحمدان خوجة للأحداث بالصراحة، والجهر بالحق وإبراز رأيهم تجاه القضايا المطروحة.

فالمشرفي صرح بقاتل الباي شعبان الزناقي سنة 1098هـ وهو أبو نصابية من أولاد عبد الله، والحكم بالضلال، وتكفير هذه القبائل العميلة للإسبان.

أما صراحة الورثلاني فطبعت رحلته بطابع التشاؤم مثل شكواه من انعدام الأمن في الطرق، وظلم الحكام بحيث يروي قصة مصارحته لحاكم طرابلس علي باشا القرمانلي عند مقابلته له بقوله:

"وقلت له عند اجتماعي به فلا بد أن تجعل محلا يصل إليه جميع الناس يبثون إليك شكواهم... وأما الآن فلا يراك إلا أهل دولتك فربما أظهروا لك غير ما كان شرا أو خيرا".[1]

كما نجده ينتقد بكل صراحة المجتمع الجزائري في قوله: "أهل وطننا فيهم الغلظة والجفاء وسوء الأدب، وعدم دعائهم للحكام".

ولم يخف التلمساني عدائه للمهاجمين المسيحيين، كما لم يخف شعوره الوطني، وميله وتحمسه للمدافعين المسلمين، وجعل من قلمه دعوة للمقاومة والجهاد في سبيل الجزائر.

ولم يتردد مسلم بن عبد القادر أيضا في الجهر بالحق، عندما يبدي رأيه

1 - سعيد وني: من التراث، المرجع السابق، ص 420.

تجاه الباي حسن، منتقدا تصرفاته- رغم كونه كان من حاشيته لمدة احدى عشر سنة - وآخذه على عدم احترامه للعلماء وعلى قسوته مع الرعية[1]، وحمّل البايات الأواخر مسؤولية تدهور أوضاع الجزائر في نهاية القرن الثامن عشرو بداية التاسع عشر حيث يقول:

أدبهم ربـــهم لمـــا طغـــوا * عـــرفهم بقـــدرهم لمـــا بغوا

كما لا يخفي موقفه من الدرقاويين حيث يعتبرهم من الأعداء.

ونجد تأثير الشعور الوطني أكثر في تفسير الأحداث مع كل من قدور بن رويلة، وحمدان خوجة. حيث يعبر الأول عن مواقفه في قضية الجزائر المحتلة في رسالته التي أرسلها إلى مصطفى بن الكبابطي، من خلال اعتباره ووصفه للذين بقوا بالجزائر أثناء الاحتلال بالذميين، حيث جاء في مطلعها:

"هذا ما كتبه قدور بن رويلة إلى فقهاء المسلمين الذميين بالجـــزائر فاقرؤوه، وافهموه، وإن وجدتم ردا فردوه، وإلا فتوبوا وارجعوا لله تعالى، واخرجوا من تحت الذمة والسلام".[2]

ويجهر بموقفه من التيجانيين حيث يقول عن عين ماضي دار الظلم والفساد و البغي"[3].

أما حمدان خوجة فهو الآخر كان صريحا في إظهار مواقفه من الأحداث، وهو الآخر حركه الشعور الوطني ولكنه تفاعل مع الأحداث بفكر أوروبي أي سلك النزعة الرومانسية في تصوير الأحداث وتفسيرها، مثل التأثير على

---

1 - ابن عبد القادر: المصدر السابق، ص ص 47-48.

2 - أنظر لاحقا، الملحق رقم 13 ص 250.

3 - ابن رويلة: وشاح، المصدر السابق، ص 88.

الشعب من خلال سرد صور للتصرفات الوحشية التي قام بها الجيش الفرنسي، وإبراز مأساة الجزائر.

كما يصف سهل متيجة بأنه مصدر الأمراض والأوبية وأنه غير صالح للحياة، وهذا قصد إبعاد فكرة الاحتلال من ذهن المستعمر.

المبحث الثاني

أسلوبها في تناول الأحداث
(المصطلحات المستعملة واللغة المكتوب بها)

أسلـوبها في تناول الأحـداث
(المصطلحات المستعملة واللغة المكتوب بها)

إذا كان الأسلوب يعكس روح العصر وطبيعة البيئة، لا سيما الثقافية – التي عاشها المؤلف نوعية شخصيته– فهناك الكثير ما يقال عن الأسلوب الذي عبرت به مصادرنا عن الأحداث التاريخية والمصطلحات التي استعملها تشترك في استعمال الأسلوب البليغ سواء جاء في شكل نثر أو شعر أو أمثال وحكم والبعيد كل البعد عن الأسلوب العلمي المتعارف عليه اليوم، لكنها تتفاوت في كيفية استعماله، ذلك حسب المستوى الأدبي للمؤلف.

ونوضح ذلك فيما يلي:

أولا: من حيث استخدام المحسنات البديعية – لا سيما السجع –

وجدناه شائعا عند كل من بن زرفة، والورثلاني، وبن هطال.

حيث يقول هذا الأخير في أسلوب متكلف: "فالق الأصباح وجاعل الليل سكنا ومخرج الأرداح ومصير الأشباح لها وطنا ومفضل الإنسان بالنطق المبلغ"[1]

وكان الاهتمام بالشكل على حساب المضمون حيث جاء التعبير ضعيفاً وركيكاً مليء بالمترادفات والتكرار مثل قول ابن هطال على سكان الأغواط:" وطلبوه أن يرتحـل عنهم ويخلف من يأخذ منهم ويبقى رهـائنهم

---

1 - ابن هطال: المصدر السابق، ص 20.

تحت يده فوافقهم فيما رغب وهو أجابهم لما طلبوه لشؤم بلادهم وقبح أرضهم"[1]

وجاء في قول التلمساني: "ساقت السحاب أمثال الجبال وأمطرت السماء بمطر كالطوفان. والبحـر في الزيادة والأمواج تتراكم كالجبال".[2]

في حين تقل المحسنات البديعية عند كل من المشرفي الذي تميز أسلوبه بالإطناب خاصة لما يتحدث عن نسب القبيلة أو الشخص (بن، بن،...)، والتكرار مثل تكراره لجملة: " ومن جملة رعية الإسبان بوهران من الأعراب المتنصرة..."[3]. كما يكرر عبارة "الله أعلم" عدة مرات.

• وعند أبو راس الناصري الذي كتب بنثر بسيط قريب من العامية أحيانا وهذا راجع إلى ضعف شعره، الذي غالبا ما جاءت أبياته مكسرة الوزن، ومن المؤكد أن يكون ذلك دافع الباي في أن يشير عليه-على الناصري-بشرحها.

ويظهر الضعف اللغوي أكثر عند التلمساني، ومسلم بن عبد القادر مثل قـول هذا الأخيرعن عثمان باي: " ونقل دار الحـكمة إلى القصبة التي بالبلانصة (ثم يشرح البلانصة) وهي البلاصة باللغة الفرنسية ومعناها الساحة الكبيرة".[4]

يختلف بن سحنون من حيث وجدناه قليل الاستطراد، قليل الأخطاء لتمكنه الأدبي – وإن كتب هو الآخر بأسلوب السجع- يشرح البيت أدبيا، فلغويا، ثم

1 –ابن هطال: المصدر السابق، ص 66.

2 – التلمساني: الزهرة، المصدر السابق، ص 17.

3- BODIN, op,cit, P. 210-212.

4 – ابن عبد القادر: "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي"، (قسنطينة 1965)، ص 65.

تاريخيا لذلك يمكن أن نصفه بالأديب الشاعر، والمؤرخ المدقق، حيث تمكن من وصف الثورة الفرنسية وصفا دقيقا تاريخيا.[1]

ثانيا: من حيث الأسلوب العاطفي فقد كتب جميع هؤلاء انطلاقا من عقيدتهم الإسلامية للتعبير على شعور أممي (الأمة الإسلامية)، أو وطني كما وجدناه عند حمدان خوجة في المرآة. مشدودين إلى العهود الإسلامية الأولى، لا سيما بن زرفة، والناصري حيث ربط كل منهما أحداث عصره بأحداث العصر الإسلامي الأول. وخصص ابن زرفة دراسة حول الجهاد في الإسلام وأصدر المشرفي فتواه في تكفير بني عامر، ونفس الشيء بالنسبة للورثلاني الذي يصدر فتوى مفادها من يعطي الرشوة للقضاء والإفتاء صلاته وأحكامه باطلة".[2]

أما التلمساني الذي لم يخف حماسه الديني – ذهب إلى حد اختيار عبارات الدعاء على العدو، مثل قوله عن النصارى: "الملاعين، الكفرة، دمرهم الله، الطاغية". ونجده يترحم على من استشهد وجاء في هذا المجال قوله:

"وليعرفوا قدر الجزائر إذ تراب نواحيها معجون بدماء الكفار اللهم أدمها دار جهاد ومحل عزم واجتهاد إلى يوم التناد بحرمة أشرف العباد وأكرم العباد"[3]

ويختار بن سحنون الشعر ليبرز فضل الجهاد في قوله:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الأسباب والموت واحد.

نفس الحماس الديني بقي يكتب به الجزائريون بعد الاحتلال، كما وجدناه

1- ذكر الدكتور: أبو القاسم سعد الله أنه الوحيد الذي وصف الثورة الفرنسية في وقتها. أنظر: ابن سحنون: المصدر السابق ، الهامش ص 32.

2- الورثلاني: المصدر السابق، ص 111.

3- التلمساني: المصدر السابق ، ص 32.

عند قدور بن رويلة وحمدان خوجة، الأول يشرح قــوانين الجند إستنادا إلى الشريعة الإسلامية والثاني يخاطب فرنسا باسم الحضارة الإسلامية ومبادئها الإنسانية، لذلك كتب حمدان خوجة بأسلوب غير مباشر للوصول إلى الغرض، وصف بالرومانسية لأنه يخاطب الطبقة الحاكمة في فرنسا من خلال عبارات الحرية، وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

مثل قوله: "إن قادة فرنسا مدعاة للفخر فالجنرال لويردو رجل الشرف والعظمة والمثير للإعجاب والجدير بالانتساب إلى الأمة العظمى" (فرنسا). وأحيانا يستعمل الأسلوب الدرامي (المأسوي) المؤثر لما يصور جرائم فرنسا في الجزائر. وأحيانا أخرى الأسلوب النفسي للتأثيرعلى السلطات الفرنسية كإخبارها بعدم صلاحية المتيجة لا للزراعة ولا للسكن وهذا قصد إبعاد فكرة التعمير من ذهن المستعمر.

عموما تضمنت هذه المؤلفات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والدعاء على الكافر وهجائه والحسرة والفرح.

فهذا أبو راس الناصري يتحصر على سقوط وهران سنة 1732 في يد الإسبان قائلا:

يا له من ثغرأضحى أهله جزرا (الضحايا) • للنائبات وأمسا للعــدا جــنس (غنيمة) [1]

ويدعو على الكافر قائلا:

تقــاسم الــروم مــا نالــت مقاسميم • ثم المعاقل مع موضع الدرس (القراءة)

و يعبر عن فرحة المسلمين باسترجاع وهران الثاني قائلا:

فسلنــا ذلك وصبرنــا عمــا أخذ • النصارى لنــا مــن أرض، أندلس [2]

---

1 - الناصري: عجائب، مخ السابق، ق 75 أ.

2- الناصري: عجائب، مخ السابق، 116 ب.

كما تجمع هذه المؤلفات على التأريخ بالهجري (أولا) واستعمال عبارة استشهد للمسلم، وقتل للكافر، وعبارة النصارى بدلا من الإسبانيين، مما يدل ويؤكد طغيان العاطفة الدينية على التعبير، هذا ما لا نستغربه في عصر كان جوهر الصراع ديني، والعلاقات الدولية قائمة على الصراع المسيحي - الإسلامي، هذا الصراع الذي أحسن الناصري تصويره في "**الحلل**".

ثالثا: من حيث العبارات والألفاظ نجد مزيجا من الألفاظ التركية مثل مصطلح بكداش (الحجر القاسي) وأوزون (الطويل)، دفتر دار البونبجية (رماة البونبة) والطبجية(رماة المدافع)، السلطاني (العملة المتداولة) الشاوش، القشك، الطنبورجي، الشائق، الخوجة...إلخ.

وأخرى محلية مثل المحلة للتعبير عن الجيش، الفسطاط (الخيم) المكاحل، البشماط، الحصاير، الكراريط البونبة، البلغة، دسة الدهان، الزمالة، الشاشية، العكري، (خديم يحلل على الصلح).

وأخرى فارسية مثل البندقية، الديوان السروال، العسكر،...

وأخرى إسبانية مثل استعمال ابن سحنون لأسماء الأبراج باللغة الإسبانية مثل سان كروس (برج مرجاجو) [1]، روسا كاسا (البرج الأحمر)[2]،

1- يعرف برج مرجاجو عند الإسبان بـ(Saint Cruz) وعند الفرنسيين بـ(Saint Croix) أقامه الإسبان في نهاية القرن السادس عشر فوق قمة جبل هيدور بإعانة شيخ قبيلة حميان (مرجاجو) يصلح كمرصد لكشف آفاق البحر انظر المشرفي: -BODIN opcit P.120
مزيد من التفاصيل أنظر: بشير مقيبس: "مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران" (الجزائر 1983) ص 92.

2- أو برج الأحمال يعرف عند الإسبان بـ (Rozalca zar) وعند الفرنسيين بـ (Chateau neuf) بني من طرف أبو الحسن المريني سنة748هـ -1348م شرق المدينة مقابلا للبرج الجديد وبرج العيون لحماية المدينة والميناء، خلد على جدرانه فتح وهران الثاني، أنظر: بوعزيز- ماضي، المرجع السابق، ص 48.

سان قروقري (برج اليهودي)[1].....الخ.

كما نجد أيضا عبارات يونانية الأصل.

إن دل هذا التنوع في الألفاظ على شيء إنما يدل على الضعف الذي آلت إليه اللغة العربية في هذه الفترة وعلى عدم استقرار المنطقة – سياسيا.

---

1 – يعرف ببرج بن زهوة و عند الإسبان (Sangregorio)، وبن زهوة هو اليهودي الذي أعان الإسبان على إحتلال وهران الأول مقابل تسليمهم له هذا البرج هذا الأخر الذي كان يسمى ببرج المرسى أعاد الإسبان بناءه سنة 1589 على ربوة صغيرة جنوب برج المونة و شمال برج مرجاجو على سطح جبل مرجاجو وضعوا فيه 30 مدفعا لحماية مرسى وهران و طريق المرسى الكبير أنظر: بوعزيز ماضي المرجع السابق، ص 50.

المبحث الثالث

المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها
هذه الكتابات

المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الكتابات

يلاحظ أن معظم هذه المصادر اشتركت في إحضار القصائد واعتمادها كمصدر رئيسي في التأليف خاصة تلك التي جاءت في تاريخ وهران، مدح الباي، إبراز فضل الجهاد، نذكر على سبيل المثال:

قصيدة أبي العباس أحمد بن أبي محلي التي أوردها المشرفي في بني عامر[1]

ويشترك بن هطال وابن سحنون في ذكر قصيدة أحمد المقري القرومي في مدح الباي، ويذكر بن سحنون قصيدة أخرى للشيخ التواتي يحذر فيها سكان وهران من الإسبان، وقصيدة كعب بن زهير (في مدح الرسول (ص) وأخرى للحلفاوي[2] في مدحه للداي شعبان. أحيانا لا يصرح بالشاعر، بل يكفي بقوله "قال الشاعر".

ويورد بن زرفة أشعارا لابن السراج، وأبو العلاء المعري، والشريف الغرناطي، هو الآخر يفضل في بعض الأحيان عدم ذكر صاحب البيت ويكتفي بالعبارة "ولله در القائل" أو "قيل".

وينقل أبو راس عن الجاحظ والمتنبي وأبي فراس الحمداني في الجزء الثاني من عجائب الأسفار.

1- أنظر سابقا، الفصل الثاني، ص 99.

2- هي أرجوزة أنشدها الحلفاوي في فتح وهران الأول (حيث كان مرابطا بهذا الجهاد من بدايته إلى نهايته) ثم أمر تلميذه عبد الرحمن الجامعي بشرحها.

لشرحها . أنظر: الجامعي – مخ السابق، ص 19.

وكذلك يمدح قدور بن رويلة الأمير عبد القادر بأشعار لا يورد أصحابها في بعض الأحيان[1].

اعتمدت هذه الكتابات أيضا على الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والعلماء ونجد هذا النوع من المصادر خاصة عند الورثلاني وابن سحنون وابن زرفة فمن الذين أخذ عنهم هذا الأخير الخليفة عمر بن الخطاب ومن العلماء أنس بن مالك.

- وتكثر ظاهرة النقل من المصادر المكتوبة عند مؤرخي القرن الثامن عشر وتقل عند حمدان خوجة مثلا.

واشترك هؤلاء في الأخذ من نفس المصادر تقريبا، حيث أخذ المشرفي وأبو راس عن ابن خلدون، واقتبس الورثلاني من كتب الرحالة السابقين أمثال أبي سالم العياشي وابن ناصر الدرعي[2] والتجاني والعبدري وابن رشد وغيرهم، ومن المترجمين اعتمد على البكري، وابن حوقل، والسيوطي والمقريزي، والغبريني، وابن فرحون، وابن الشماع.

نلاحظ أنه أحيانا يشير إلى هذه المصادر كاملة وأحيانا أخرى يذكر عنوانها فقط.

أما بالنسبة للتلمساني: ففي الغارات الأوروبية الأولى التي تعرضت لها مدينة الجزائر لا يذكر مصادره، لكنه يبدو أنه أخذ حرفيا من كتاب غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول يكتفي باستعمال في بعض الأحيان عبارة "على ما ذكر".

---

1 – ابن رويلة: وشاح، المصدر السابق، ص 88.

2- الورثلاني، المصدر السابق، ص 04.

ونفس ما ذهب إليه ابن سحنون حيث أخذ من المصادر المكتوبة في الأحداث التي لم يعاصرها كابن خلكان، الصفدي لما يعرفنا بوهران، ثم يعلق قائلا: "نحن أدرى بوهران وأغنى فيها عن النقل، فإن أهل مكة أدرى بشعابها".[1]

يأخذ أيضا من مصادر إسبانية عند حديثه عن البروج حيث يقول، ونذكرها بلغتهم الركيكة ثم يعطي التسمية الإسبانية للبروج. وأخذ بن زرفة عن القرطبي والطبرى، وغيرهم، ولا يعلّق على مصادره هو الأخر بل يكتفي بوضع عبارة "الله أعلم".

ونظرا لتشعب مواضيع أبو راس الناصري فقد كان أكثر من استعمل النقول، من مصادر قديمة، وحديثة ومعاصره، ومن التي عاصرها نذكر بن أبي دينار، الإيفراني، وبن هطال[2]

وبن خلكان في تراجم المدن الأندلسية، لا نجده يقارنها أو ينتقدها إلا نادرا كنقله عن محمد بن أبي ذيل: "إن أهل المغرب ارتدوا عن الإسلام اثنى عشرة مرة، ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم إلى أن قطع طارق الأندلس، وقطع معه الكثير من رجالهم".[3]

وجدناه يصرح بعدم معرفته لموقع بعض المدن التي يوردها مما يوحي إلى أنه لم يزرها –كغيرها– مثل عدم معرفته لموقع سكسونيا.[4]

ويقتبس مسلم بن عبد القادر من مصادر لا يصرح بها أصلا، حسبما تدل عليه عبارة "انتهى باختصار".

---

1 – ابن سحنون، المصدر السابق، ص 185.

2 – الناصري، عجائب، مخ السابق، ق 13 ب.

3 – نفسه، ق 13 ب

4 – الناصري: الحلل، مخ السابق، ص 124.

ونلاحظ أيضا استعمال هذه الكتابات للمواقف الشخصية، والرواية الشفوية، والوثائق الإدارية المعاصرة: خاصة تلك التي عايشت الاحتلال الفرنسي، والتي كانت أكثر تركيزا في موضوعها، مثل بن رويلة، مسلم، وحمدان خوجة.

هذا لا يعني أن البقية لم تستعمل هذا النوع من المصادر، بل نجد المشرفي يستعمل عبارة "أخبرني من أثق به"، "قيل"، لكن تبقى مصادره مجهولة في أغلب ما كتبه، خاصة وأنه يورد عدة روايات يبطل بعضها ويبقي ويُثبتُ أخرى دون أن يعلل لترجيحه، لا سيما والأمر يتعلق بمعلومات دقيقة حول القبائل العميلة[1]

بينما يعتمد التلمساني في الغارات المتأخرة على الجزائر على أشخاص شاركوا فيها، أو سمعوا عنها.

ويضمر بن سحنون مصادره الشفوية في بعض الأحيان ويصرح بها في أحيان أخرى، كقوله: "أخبرني ممن أثق به عن عمنا السيد محمد بن سحنون رحمه الله" ويقول: "حدثنا الطلبة".[2]

اعتمد أيضا على الوثائق الرسمية، ونفس الشيء: "يقال عن ابن زرفة الذي اعتمد تجربته الخاصة مع الأحداث وعلى الرواية الشفوية كشيخه السيد محمد بن طالب المازوني، وعلى الوثائق الرسمية باعتباره كاتب في إدارة الباي.

أما بن هطال فيكتفي بتسجيل ما عايشه من أحداث الكتاب "الرحلة".

وتعد القوانين التي أصدرها الأميرعبد القادر في التنظيم العسكري المصدر الأول والأساسي لتأليف ابن رويلة.

---

1 -BODIN opcit, P P 207-208.

2 - ابن سحنون: المصدر السابق، ص ص 193-240.

أما حمدان خوجة فقد اعتمد اعتمادا كبيرا على المشاهدة المباشرة أو التجربة الشخصية والأخذ عن الثقاة مثل الحكام والموظفين والتجار الذين كان على اتصال بهم. والوثائق الإدارية سواء كانت العثمانية بحكم كونه عنصرا من عناصر إدارتها أو البيانات التي نشرتها السلطات الفرنسية.

ونلاحظ أنه لا يقدم معلومات إذا انعدمت لديه المصادر مثل قوله: "أنه يجهل الوضعية الفلاحية لمقاطعة الغرب، وعمن تدفع إليه الضرائب".[1]

---

1 - ابن عثمان: المرآة، المصدر السابق، ص 146.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية للمضمون

المبحث الأول: المناسبة التي ألف فيها هؤلاء

المبحث الثاني: مدى صدق الأحداث التاريخية الواردة

المبحث الثالث: المقارنة بينها وبين بعض الكتابات المعاصرة لها

المبحث الرابع: قيمتها التاريخية

المبحث الأول

المناسبة التي ألف فيها هؤلاء (الدوافع)

المناسبة التي ألف فيها هؤلاء
(الدوافع)

حسب تصريح أغلب مؤلفي هذه المصادر في مقدمة تأليفهم بظروف ودوافع الكتابة، نستطيع القول إن القاسم المشترك بينها، كونها كتبت للمناسبة والحدث، أي أنها ظرفية، مهما اختلف هذا الحدث في زمنه وطبيعته. كما سيأتي التفصيل في ذلك.

ما عدا الورثلاني الذي لم يكتب لمناسبة معينة، بل أتاحت له رحلاته إلى الحج فرصة لاكتشاف مسالك وطرق ومدن، وتقاليد وطبائع المغاربة والمشارقة على حد سواء، وسجلها عفويا في تأليفه المشار إليه (الرحلة). لذا يمكن أن نطلق عليه مؤرخ وجغرافي الوطن العربي في القرن الثامن عشر، ونصف الرحلة بالعملية - الدينية - الحجازية.

وقد غابت عن الورثلاني مثلا أحداث الغرب الجزائري في القرن الثامن عشر، وعلى رأسها، حدث فتح وهران الأول، 1118هـ/1708م الذي آلف فيه غيره مثل بن ميمون الذي كان مقربا من السلطة الحاكمة الداي بكداش[1]

يرجع هذا الإغفال إلى كون الورثلاني لم يختر مواضيعه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية ظل مفهوم التاريخ عنده -كمتصوف- لا يتعدى خدمة العقيدة، بدليل الفتاوى التي تضمنتها الرحلة.

ومن جهة ثالثة ظل المؤلف مشدودا إلى الشرق أكثر منه إلى الغـرب، أي

---

1 - أنظر: ابن ميمون: المصدر السابق

ظل مقيدا بالمحيط الجغرافي، وإن كان هذا المحيط عنده أوسع منه عند بعض معاصريه، مثل بن المفتي [1]، الذي غابت في تآليفه هو الآخر أحداث فتح وهران الأول، بل كتب عن حياة المفتين والعلماء لمدينة الجزائر، لأنه كتب انطلاقا من مركزه الاجتماعي -كابن مفتي- ولا نستغرب ذلك وهو القائل عن علم التاريخ: "عبادة ومنه جزيلة ومعرفة أخبار العلماء منقبة جليلة". [2]

كتب المشرفي متأثرا ومتأسفا على عودة الاحتلال الاسباني لوهران سنة 1732، بعدما شارك في تحريرها الأول سنة 1708، فكتب قصد تهيئة النفوس لاسترجاع وهران ثانية - الحدث الذي لم يحضره لوفاته-. ولتنبيه الرأي العام الجزائري لمكر وخطر قبائل بني عامر العميلة للإسبان.

أما بن زرفة، وأبو راس الناصري، وبن سحنون، وبن هطال، والتلمساني فكتبوا تلبية لطلب الباي محمد الكبير، وخدمة له، لكنهم اختلفوا في الموضوع والمناسبة التي كتبوا حولها.

- اشترك كل من بن زرفة وأبو راس، وبن سحنون في تسجيل أحداث فتح وهران الثاني سنة 1792، وعملوا على تخليد مآثر الباي الجهادية والعمرانية والثقافية.

نفهم من ذلك أنهم لم يقصدوا كتابة تاريخية بقدر ما قصدوا تقييد أحداث أملتها ظروف الفتح ونتائجه.

- ومن بين العوامل التي ساعدتهم على ذلك، الاستقرار الذي عقب الفتح

1- حمد نور الدين عبد القادر، تاريخ وفاته في السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن الثامن عشر. أنظر: عبد القادر- المرجع السابق، ص 286.

2- نفسه، ص 09.

الثاني، وتشجيع الباي محمد الكبير لهؤلاء على التأليف، بل وكان يشاركهم في اختيار مواضيع التأليف، دورا أساسيا في ظهور هذه الكتابات في الغرب الجزائري.

• ونستشف ذلك من قول أبي راس بعد فترة خمدت فيها عزيمته على التأليف: "...حتى سطعت لي أنوار الهداية فتحركت العزائم، وتجددت العناية بسبب ما أنعم الله على المسلمين عامة، وأهل المغرب الأوسط خاصة بفتح ثغر وهران وشمرت إزار التوان تشمير جاء بأن أنشدت قصيدة في ذلك..."[1] أما تأليفه "لفتح الإله ومنته" فكان خارج المناسبات أي بدافع التقليد، حيث يقول: "إنما عددت تأليفي وجملة تصانيفي اقتداءا بالإمام السيوطي، فإنه عد ما ألف في كتابه "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة "نحو 300"[2]

وهذا بن زرفة يشير إلى ظروف الاستقرار التي ألف فيها قائلا: "ولما عزمت على الانطلاق وعقدت لتقييد الرحلة حبل النطاق دخلت إلى مجلسه الرحيب (يقصد مجلس الباي) وتضللت بأفياء غصنه الرطيب فكان من صابغ فضله أن زودني من خزائن كتبه...فكان كالدليل المعين على السفر بزاده والطبيب الذي أتحف المريض بجميل يديه".[3]

ويقول بن سحنون حول دور الباي في التأليف: "أمرني باختصار الأغاني، فاختصرته في نحو الثمانين كراسة، فأثابني بمائة سلطاني، ثم أمرني أيضا بجمع طب القاموس فظممته وزدت من كلام الأطباء ما صار به تأليفا بديعا حسن الترتيب، فأثابني بخمسين سلطانيا...وفي مآثره الشديدة ألفت هذا الموضوع".[4]

---

1 - الناصري: عجائب، مخ السابق، ص 2.
2 - الناصري: فتح، المصدر السابق، ص 182.
3 - ابن زرفة: الرحلة، مخ السابق ، ق3ب
4 - ابن سحنون: المصدر السابق، ص 146.

ونجد ابن هطال الذي ظل كاتب بلاط الباي - إلى أن توفي في واقعة فرطاسة- كما سبق الذكر- في عهد مصطفى بن عبد الله العجمي لم يكتب في موضوع الفتح الأول ولا الثاني، رغم كونه مستشاراً للباي بل كتب كمبعوث له في المهمات الخارجية تقريرا بايعاز منه - حول أحداث رحلته إلى الجنوب الجزائري لإخضاع القبائل الممتنعة.

كما كتب بدافع إعجابه بأعمال هذا الباي، ومن زاوية تقديره للتاريخ باعتباره سجلا وأثرا لأعمال الحكام حيث ورد في الرحلة:

"وقد أردت أن أذكر منه (التاريخ) نبذة أخدم بها حضرة قامع المبغضين ومدوخ الماكرين السيد محمد باي...مقتصرا على ذكر خروجه إلى جهة القبلة عام 1199هـ".[1]

بينما طرق التلمساني موضوع الغارات الأوروبية على الجزائر نزولا عند طلب الباي، وتخليدا لشهداء هذه الحملات الصليبية، وللذكرى. هذا ما أشار إليه بقوله: "وذلك عن إذن الأمير بأمر الله سيدي محمد باي نجل المرحوم بكرم الله السيد عثمان".[2]

وقبل أن نخوض في نوع آخر من الدوافع والمناسبات التي كتب فيها الجزائريون، وهي تختلف جذريا عن التي تحدثنا عنها، ألا وهي مناسبة، الاحتلال الفرنسي. قبل هذا يجدر بنا أن نحلل العلاقة بين الفتح أي المناسبة وهذه المصادر، وهي علاقة جدلية لا يمكن الفصل بينهما، كما لا يمكن الفصل بين المؤلف (المؤرخ) والسلطة.

---

1 - ابن هطال: المصدر السابق، 36.

2 - التلمساني: الزهرة، المصدر السابق، 32

لكن يبدو أن هؤلاء المؤلفين لم يتقربوا من السلطة رغبة في الكسب والارتزاق بدليل أغلبهم مات فقيرا[1]. وعلى رأسهم أبي راس، وإنما يفسر ذلك بموقفهم التأييدي للسلطة العثمانية، ما دامت هذه المؤسسة السياسية تقوم على الشروط التالية: الجهاد، الرئاسة والعدل -على الأقل في هذه الفترة-، وفعلا نجد بعض المؤلفين كمسلم بن عبد القادر يطلق هذه المؤسسة في زمن الباي حسن لما أحس بانحرافها، ويؤلف كشاهد على الانقلاب الذي وقع بين عهد عثماني زال بسبب انحرافات بعض البايات الأواخر خاصة الباي حسن (آخر بايات الغرب)، والذي وقع الاحتلال الفرنسي لوهران في عهده، ووقوع ثورة درقاوة التي تسببت في الأزمة الاقتصادية، هذه الأخيرة التي أفرزت المجاعات والطاعون الذي حصد الكثير من الأرواح، وعهد فرنسي حل بالجزائر ككارثة عظمى رثاها قائلا:

قطر الجــزائر حــلا به البلا * فانحــل عقد النظم منه وخلا.

كذلك أبو راس الناصري يخرج عن نطاق (المؤسسة الحكومية) لما يُصابُ بشظايا ثورة درقاوة، حيث عزل من منصبه، فيكتب هو الأخر متأثر أو مصورا هذه الكوارث التي انتهى إليها العهد العثماني.

"درء الشقاوة في حروب درقاوة" ويكتب عن الطاعون "ما رواه الواعون في أخبار الطاعون".

كما ظل موقف هؤلاء معارض لرجال الطرق الصوفية سواء كتبوا في إطار السلطة أو خارجها. وتعبر هذه الجدلية أيضا على مدى وعيهم. لا سيما

---

[1] - محمد غانم: " التاريخ والمؤرخون في الجزائر خلال القرن الثامن عشر" جريدة السلام، عدد 239 (الخميس 15 أوت 1991)، ص03.

الناصري وبن هطال- بضرورة العناية بعلم التاريخ، وإعادة إحيائه من خلال هذه المناسبة. وبالتالي تقوم السلطة أيضا على دعامة رابعة - وهي الشرعية التاريخية، كما كان من أهداف سياسية محمد باي مع العلماء تدعيم مركزه في الحكم[1]، هذا ما يفسر كون فترة حكمه فترة ذهبية لبايليك الغرب الجزائري دون شرقه في هذه الفترة.

كما كتب الجزائريون للفتح والانتصار وصد الحملات الأوروبية - وهو التوجه الغالب على كتابات العهد العثماني- نجدهم أيضا كتبوا للنكبات والهزائم والمقاومة منذ مطلع القرن التاسع عشر، وذلك من خلال:

قدور بن رويلة الذي يعد شاهدا على الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعلى المقاومة الشعبية المسلحة للأمير عبد القادر، قيد قوانين الجيش في كتاب نزولا عند طلب الأمير، وكمستشارا له، قصد إبراز القوة العسكرية للأمير عبد القادر، الموجهة ضد الاحتلال الفرنسي، وليكون هذا الكتاب مرجعا يسير به الجيش.

بنفس الدافع- الاحتلال الفرنسي- كتب حمدان خوجة "المرآة" و"المذكرة" و"الرسائل"، حيث لم يكتب لسلطة معينة وإنما كتب بسبب زوال السلطة، وكتب بهدف الدفاع عن حقوق الجزائريين، بطرق سلمية - سياسية وبالتالي فهي كتب للشعب الجزائري بأكمله.

وكان دافعه إلى ذلك إبداء رأيه، وموقفه من الاحتلال والقضايا المطروحة، ولإقناع المحتل بالرحيل. ويكفي هنا أن نورد المناسبة والدوافع على لسان حمدان خوجة نفسه: "هل تتجدد مصائب القرن السادس عشر في القرن التاسع عشر؟.... إن كـل مـا وقع في الجـزائر منذ ثـلاث سنوات

1 - فركوس: المرجع السابق، ص 26.

(الاحتلال) يفرض علي واجبا مقدسا، يتمثل في التعريف بالوضع الحقيقي لهذا البلد قبل الغزو وبعده ...

ورغبة مني في القيام بالمهمة الخطيرة الملقاة على عاتق المؤرخ الحقيقي....وعزما مني على عدم إخفاء أي شيء..."[1]

- لم يكن حمدان خوجة غيورا على الجزائر فقط بل على العالم الإسلامي ككل، ونلاحظ هذا البعد من خلال نبذه، وانتقاده للتدهور والتخلف الذي كانت عليه الأمة الإسلامية، وطرحه لمجموعة من الأفكار الإسلامية، على الطريقة الغربية، في كتابه "الإحتراس".

1- ابن عثمان: المرآة، المصدر السابق، ص ص45-47

المبحث الثاني

مدى صدق الأحداث التاريخية الواردة
(النقد، التمحيص الموضوعية، التقييم)

مدى صدق الأحداث التاريخية الواردة (النقد، التمحيص الموضوعية، التقييم)

يصعب الحكم على هذه المصادر من حيث صدقها، أو خطأها في كل الأحداث التي أوردتها. لكن نحاول تثبيت وإثبات بعض القضايا التاريخية، التي رأيناها أساسية على أساس أنها حقائق تاريخية، من خلال مقارنة ما ورد في شأنها ببحوث معاصرة لها، ومن خلال استنتاجاتنا، وما أجمعت عليه جميع هذه التآليف أو أغلبها.

ومن جهة أخرى نحاول الإشارة إلى ما اختلفت فيه من أحداث، وأفكار وهذه الاختلافات التي نعتبرها جزئيات قد تُثري الحقيقة التاريخية العامة، وتعدلها لكن لا تغيرها لأن التاريخ – على حد تعبير ايفون تورين (EVON TURIN)" ليس هو الكشف على وجه الحقيقة الثابتة، بل هو الاطلاع على مختلف الآراء والمناظرات بينها".[1]

* * *

أولى القضايا التي سنحاول بحثها في هذه المصادر تدور حول سبب تأخر تحرير الجزائريين لوهران والمرسى الكبير إلى سنة 1792م؟

نفهم من خلال هذه المصادر أن هذا الفتح وقع نتيجة جهود ومحاولات تحريرية ترجع إلى ما قبل محاولات الفتح الأول الذي كان سنة 1708.

---

[1] – ايفون تورين: "حول جنسية التاريخ"، مجلة الأصالة، العدد 14 و 15. مطبعة البعث الجزائر، (ربيع الثاني ، جمادى الثانية ، رجب 1393 هـ/ ماي، جوان، جويلية، أوت 1973) ص 88.

وبالضبط إلى محاولات الباي شعبان[1]. حيث قدمت لنا جزءا من الإجابة حول هذه القضية. وقد اتفقت جميعها على كون وهران قلعة أو مدينة عسكرية (PESIDIOS) في العهد الإسباني. أي منذ القرن السادس عشرلما يوجد فيها من حصون، وملاجئ للجيش ومستودعات للأطعمة والذخائر، والحبوب[2] وإحاطتها بسور يبلغ طوله (2157م)، بينما اتصفت ووصفت وهران بالمدينة في العهد الإسلامي، حصنها الإسبان لتكون قاعدة لانطلاق غاراتهم على مدينة الجزائر، مستغانم وتلمسان. وفعلا كان الأمر كذلك- لكي لا يستولي عليها الجزائريون فيركبون البحر منها لإسبانيا[3].

وهذا ابن سحنون يبرر عدم استطاعة الجزائريين فتحها قبل سنة 1708 قائلا:

كأنما أبراجها هـضاب * من فوقها أسد الثرى غضاب

كأنما خندقها نـــطاق * ودونه السور فلا يطـــــاق

كأنما أسوارها ســوار * كم رد عنها من فتى أســوار[4]

ولكن سكتت هذه المصادر عن الصراع العثماني – السعدي ثم العلوي، والصراع العثماني ضد بايات تونس- كما هو مسجلا في دفتر التشريفات[5] - الذي عطل الفتح، وسمح للأسبان بالتحصين.

أجمعت على تاريخ الفتح الأول لــوهران والمــرسى الكبير، الذي كـــان

1- تولى الباي شعبان الزناقي، حكــم بايلك الغــرب الجــزائري سنة 1090 هـــ (1679 م)
استشهد أمــام بــرج العيون وهو يحاول فتح وهــران ، من طرف رجـــال من قبائل بني عامر
1098 هـــ- 1686 م.

2- مقيبس: المرجع السابق ، ص 88

3 - بلحميسي: تحرير، المرجع السابق، ص64.

4 - ابن سحنون: المصدر السابق، ص ص 184-185.

5- أنظر سابقا، المدخل ص 36.

سنة 1919هـ/1708م بعد (250) سنة من الاحتلال الاسباني لهذه المنطقة.

ونسب هذا الفتح إلى الداي محمد بكداش، بينما الباي مصطفى بوشلاغم[1] مأمورا بالفتح من طرف الداي.

لكن الشائع لدى عامة الناس أن الفاتح هو مصطفى بوشلاغم[2] حيث يثبت المشرفي حصار بوشلاغم لوهران قبل قدوم محلة الداي[3]. ويعلل عدم فتحه لها قبل سنة 1708م بعدم إعانة الداي حسين له بالجيش[4] وحتى جاءته الإعانة من الداي محمد بكداش.

بالعكس من ذلك وجدنا أن حسين خوجة قد أعد حملة ضد الإسبان بوهران سنة 1705م كتمهيد لحملة مصطفى بوشلاغم مكونة من 3000 رجل ليثأر بها لشعبان، لكن أدركته الوفاة فلم يبلغ مراده[5] أما عن دوافع الداي بكداش في الفتح، فاكتفت مصادرنا بذكر الجهاد والتحرير. لكن يرى مرسي (MERCIER) دافعا آخر، وهو رغبة الداي في إبعاد اليولداش (الجيش)عن العاصمة[6]. تتفق هذه المصادر أيضا مع مؤرخ الفتح الأول لوهران. وهو

1- تولى مصطفى بوشلاغم بايلك الغرب لمدة سبع وأربعين سنة (47)، أول من جمع بين مازونة وتلمسان، وجعل مازونة عاصمة بايلكه، ثم نقل العاصمة إلى معسكر لأن هذه الاخيرة مركز وسط بين تلمسان ومازونة، وقريبة من وهران، لعب دورا كبيرا في تحرير وهران الأول وفي عهده أعاد الإسبان إحتلال وهران والمرسى الكبير سنة 1732م حيث أبدى مقاومة إلى أن انسحب إلى مستغانم أين توفي سنة 1733م وحيث يوجد قبره.

2- ابن سحنون، المصدر السابق، ص ص 109-111.

3- يؤكد مولاي بلحميسي ذلك- أنظر: بلحميسي- تحرير، المرجع السابق ص 65.

4 -BCDIN, opcit, P219

5- قنان: المرجع السابق، ص 160.

6- بلحميسي: تحرير، نفس المرجع، ص 64، ص 65.

عبد الرحمن الجامعي على أن الفتح كان عنوة، وفي تفاصيل الحصار وضخامة المحاصرين من المسلمين، حيث يعطينا الجامعي عدد الجيش النظامي حوالي (8.500) بخلاف الشعبي[1]. وهناك من يذكر حوالي أربعون ألف (40.000)[2] وعدد قتلى وجرحى وأسرى الإسبان.

وقد توصل الجزائريون إلى إحصاء هذا العدد نتيجة عدم إحصاء الإسبان لموتاهم، وتركهم في ساحة المعركة، عكس المسلمين الذين لا يتركون موتاهم، وفق ما تنص عليه الشريعة الإسلامية.

يعطينا الجامعي عدد الذين استشهدوا دفاعا على برج العيون (200 رجل) أما مدة الحصار فهي عشرة أشهر (10)، من منتصف الربيع الأول عام 1119هـ (1707/06/14م) إلى (1708/04/16م)، وقد خلف أكثر من 3122 قتيلا، و1219 أسيرا، على رأسهم الحاكم الإسباني (Milchior De Avellane da)، وقائد حامية المرسى الكبير (DON .DE VIELLALBA)[3].

ثانيا: يستدعي الأمر أيضا التوقف عند قضية سقوط وهران ثانية سنة 1732 في قبضة الإسبان. هذا السقوط الذي كان عنوة -في نظر مصادرنا- عكس الأول (1509)- الذي كان بمداخلة يهودي- بدليل أن الإسبان وجدوا وهران عند الاحتلال الأول عامرة بالمال والرجال، وفي الاحتلال الثاني لها بالأثقال فقط، لفرار سكانها. هذا ما عبر عنه أبوراس الناصري في قوله:

من بعد عشر وعشر وثم أربعة * عـــاد إليـها قـرة أعيـن النـعس
فملكوهـا بـلا كبيرة مـلحمة * لكن في الأولى بخدعة منخيس (يهودي)[4]

1- الجامعي مخ السابق، ق 22 ب

2 – سعيدوني -نصن، المرجع السابق، ص 14

3 – بلحميسي: تحرير ، المرجع السابق، ص 72.

4 – الناصري: عجائب، مخ السابق، ق 73 ب.

نفهم من ذلك مدى صراحة هؤلاء وحديثهم، عن هزائمهم كحديثهم عن انتصاراتهم، مما يجعلهم أكثر موضوعية بالنسبة لغيرهم- لا سيما بالنسبة للمراجع الأجنبية-.

حيث لم تكتف هذه المصادر بذكر الانكسار الجزائري سنة 1732، بل وعللته، حيث اختلفت في ذلك. رده الناصري- معتمدا على ما حكاه له شيخه المشرفي- إلى تفوق الإسبان عددا وعدة بينما كان مصطفى بوشلاغم في أربعة آلاف 4000 جندي فقط. فلم يكد الجيش الإسباني أن يصل المدينة حتى هرب سكانها.[1]

في حين يفسر ابن سحنون ذلك – معتمدا على ما حكاه له عمه محمد بن سحنون- بالخلاف بين بوشلاغم وبن الباشا. هذا الأخير الذي افتدى الأسير الإسباني، فأرسل الباي للجند بأن يتفرقوا.[2]

وهناك من يذكر عملية التمويه التي قام بها الجيش الإسباني، قصد تشتيت القوات الجزائرية، حيث أوهم بإرسال جزءا من قواته إلى خليج أرزيو الذي يبعد بسبعة فراسخ (72 كلم)، شرق وهران للإيحاء بأنهم سينزلون قواتهم هناك.

أما عن القوة الهائلة التي أنزلتها إسبانيا في جوان 1732 بعيون الترك (غرب المرسى الكبير) فقدرت بحوالي 30 ألف رجل و525 سفينة، و720 مدفعا.

ما يزيد في تأكيد هذه القوة التي صرح بها بوشلاغم، وبعدم مقدرته على مواجهتها، هي رسالة الداي إبراهيم باشا إلى الكونت دي ريبا – كاتب الدولة

1- الناصري عجائب، مخ سابق، ق 73 ب.

2- ابن سحنون: المصدر السابق، ص 139.

للبحرية المؤرخة في رمضان 1146هـ (1734/02/06). يلومه فيها على إمداد فرنسا لإسبانيا بـ 4000 أو 5000 رجل مسلح[1].

هناك عوامل أخرى ساعدت الإسبان على استرجاع وهران، -أغفلتها مصادرنا المدروسة - وهي ظروف إسبانيا المواتية، حيث كانت حرب الخلافة قد وضعت أوزارها في أوروبا، ورد الإسبان هجومات مولاي إسماعيل على سبتة - بالإضافة إلى الخطاب الحماسي- الديني، الذي وجهه فيليب الخامس لرعاياه في 1732/06/06.[2]

إذن مهما كانت الأسباب فالنتيجة التاريخية كانت انسحاب الباي مصطفى إلى مستغانم، وبدئه في الهجومات على وهران في الفترة من 1732/11/04، إلى سنة 1734.. منذ هذا التاريخ أضحى الإسبان محاصرين، وفي موقع دفاع أكثر منه هجوم إلى تحرير وهران النهائي ويتكبدون الخسائر كلما حاولوا فك هذا الحصار كما تثبته تقاريرهم[3].

ثالثا: القضية الموالية في هذه التآليف هي اعتبارها لنتائج حملة أوريلي (معركة الحراش) والحملتين اللتين تلتهما انتصاراً للجزائريين لما انتهت إليه من إبرام معاهدة بين الجزائر وإسبانيا سنة 1786.

وتجمع أيضا على أن حصار وهران الثاني كان نتيجة نقض الإسبان لشروط هذه المعاهدة. وما يؤكد هذا النقض رسالة الداي محمد عثمان إلى الكونت فلوريدا بلانكا في 9 رجب سنة 1201هـ. (1787/04/24) حيث جاء في الرسالة أن إسبانيا قد نقضت المعاهدة لأن (دي سيبي) قام بتغيير البند/20 العشرون الخاص بوهران.[4]

1- قنان: المرجع السابق، ص139

2- أنظر: لاحقا، ص 197.

3- أنظر: لاحقا ص 191، 192.

4 - سعيدوني: المعاهدة، المرجع السابق، ص 77.

ويجمع أيضا على نسبة الفتح الثاني للباي محمد الكبير الذي دفع من ماله الكثير، لكنها تقر بمشاركة الجند الحكومي النظامي إلى جانب الطلبة والشعب، أثناء الحصار، بدليل قول ابن زرفة: "ولما قيض الله تعالى أسود بني آدم (الجند العثماني) كسروا الصخرة (قلعة مرجاجو) وقتلوا الحية (الجند الإسباني)"[1].

ومن المواضيع المرتبطة بالفتح قضية زلزال ليلة 29 محرم – 01 صفر-1204هـ (10/09 أكتوبر سنة 1790) الذي كان ضحيته من الإسبان أكثر من ثلاثة آلاف 3000 قتيل – حسب إجماع هذه المصادر- فهو عاملٌ من عوامل الفتح التي شجعت على استمرار الحصار، وليس سببا، بدليل أن استعدادات الباي للحصار ومحاولته سبقت هذا التاريخ.

وتكمن أيضا إيجابيات الزلزال بالنسبة للطرف الجزائري في كونه عاملا أقنع الداي بقبول حصار وهران كما هو موضحاً في الرسالة التي بعث بها الداي محمد عقب الحادثة إلى الباي يأذن له بالحصار، لكن شرط ألاّ يمده لا بالمال ولا بالسلاح كما هو متفق عليه مع الإسبان في شروط الصلح.[2]

كما تتفق هذه المؤلفات في تفاصيل الحصار، ومراحله، وضخامة الجيش الجزائري المحاصر لوهران: والذي كان – حسب بن سحنون خمسون ألف (50000). لكن يبدو على هذا الرّقم نوع من المبالغة، اللهم إذا كان يشمل عدد الطلبة الذين يحددهم بن زرفة بألفين 2000 طالب، والشعب المتطوع.

كما تقر باستشهاد وجرح الكثير من الجزائريين في هذا الحصار[3]. أمام النجدات التي وصلت إلى الإسبان، والتي قدرهـا بـن زرفة بسبعة آلاف

1- ابن زرفة، الرحلة، مخ السابق، ق 21 ب.

2- نفسه، ق 14 أ.

3- ابن سحنون: المصدر السابق، ص 213.

7000رجل، وتصف موقف الداي حسن[1] من الأحداث بالإيجابي، بدليل رسالته إلى الباي محمد المؤرخة في 28 ذي القعدة سنة 1705 والتي يقول فيها: "إذا كنت على يقين من أخذ البلاد أعنتك بما شئت".[2]

رابعا: لم تغض هذه المصادر الطرف. لا سيما بن زرفة وبن سحنون عن التجاوزات التي حدثت أثناء الحصار مثل الخلاف الذي وقع بين الطلبة في رباط إيفري، وحل الباي لهذه المشكلة، بتجنيد جيش نظامي.

والمعارضة الداخلية التي لقيها الباي أثناء وفاة الداي محمد، وتكشف مصادر الفتح على وجود علاقات صداقة وتعاون بين الباي محمد الكبير والسلطان المغربي، بدليل شراء الباي للسلاح من جبل طارق الذي كان يتم عن طريق المغرب الأقصى.

• أما الفتح الثاني لوهران فلم يكن عنوة، بل صلحا لأن الحصار تخللته الهدنة لمدة خمسة عشر 15 يوما (مارس –أفريل 1791)، وحدوث المفاوضات بين الطرفين الجزائري والإسباني خلال سنة 1791. حيث جرت عدة مراسلات[3] هذا ما عبر عنه أبو راس بقوله:

فطلبوا السلم من بعد مراودة • فأعطوا الأمان على الأمتعة والنفس[4]

ووقع الإجماع على تاريخ المعاهدة في أوائل محرم 1208هـ (1791/09/09) حيث توقف الحصار (في محرم) لإعطاء الإسبان فترة الجلاء –التي حددت مدتها بأربعة أو ستة أشهر– عن وهران والمرسى الكبير كما

1- تولى الداي حسن عقب وفاة الداي محمد في 09 ذي القعدة سنة 1205هـ (1791/07/12).

2- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 298.

3- نشر يحي بوعزيز هذه المراسلات. أنظر بوعزيز مراسلات، المصدر السابق

4 – الناصري: عجائب مخ السابق، ق 113 أ.

نصت على ذلك بنود الاتفاق، والتي أوردتها المصادر المعاصرة للفتح الثاني (ابن زرفة وبن سحنون) باختلاف طفيف كقول بن سحنون بدفع الإسبان لدار السلطان 12 ألف سلطاني كل سنة.

ألفا منها كل شهر وبينما يذكر بن زرفة أنهم يؤدون كل سنة أثنى عشر ريالا كبيرة جزية صلحية. ويذكر بن زرفة قيمة ما يأخذه الإسبان كل سنة من القمح الجزائري وهي 7 آلاف صاع بينما يذكر بن سحنون ألف حمل.

مما يزيده بن سحنون في شروط الصلح هو دفع سفن الإسبانيين لـ 55 ريال، أربعون منها لبيت المال، والباقي لقائد المرسى إذا أرست في وهران.

خامسا: كما تتفق هذه المصادر في تاريخ دخول الجزائريين وهران وظروفه، وهو 05/04 رجب 1206هـ (1792/02/27) بعدما خرب النصاري جزءا من مبانيها، وبعد بقائهم فيها أكثر من قرنين ونصف (287 سنة (1505-1792)، وأولى ردود الفعل الإيجابية على هذا الفتح كانت من طرف الدولة العثمانية، حيث منحت رتبة الوزير للداي حسن بعد وصول مفاتيح وهران إليها، كما جاء ذلك في رسالة قبطان البحر إلى الباشا حسن مؤرخة في غرة شوال 1206هـ[1].

- اتخذ كتاب فتح وهران الثاني كالناصري وبن زرفة- نفس الموقف من القبائل العميلة للإسبان، وعلى رأسها بنو عامر، وإن سبهم المشرفي في هذا الموقف والذي كان فيه أكثر تركيزا.

ومن القضايا السياسية التي يمكن الوقوف عندها هي الموقف الموحد الذي اتخذه كل من قدور بن رويلة، وحمدان خوجة، ومسلم بن عبد القادر تجاه

1- مجموعة وثائق تتعلق بالعهد العثماني، الملف الأول، مجموعة 3205، رقم 54.

الاحتلال الفرنسي للجزائر والمتمثل في تسجيل هذا الاحتلال كانقلاب سلبي في تاريخ الجزائر الحديث. وإن كان كل منهم أراد إبراز نوع معين من المقاومة. مسلم بن عبد القادر بانسحابه من الإدارة ومغادرته للباي حسن، قدور بن رويلة من خلال إبراز الجانب العسكري لمقاومة الأمير عبد القادر لهذا الاحتلال ولومه للمفتي بن الكباطي على بقائه في مدينة الجزائر بعد الاحتلال.

- بينما حمدان خوجة فقد خاطب فرنسا باسم حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها لذلك اعتبره المؤرخ الجزائري المعاصر ابو القاسم سعد الله، رائد النشاط السياسي والحركة الوطنية الجزائرية.

نفس الوصف تقدمه هذه المصادر لتدهور الأوضاع في نهاية العهد العثماني، هذه الأوضاع التي نعتبرها من العوامل التي أدت إلى الاحتلال تمثلت في تجاوزات بعض الحكام منهم البايات، ومنهم الباشاوات الأواخر، بالإضافة إلى حلول المجاعة سنة 1800 وغلاء أسعار القمح، زدْ على ذلك الكوارث الطبيعية سابقة الذكر.

وتمتع اليهود في ظل هذه الظروف بامتيازات زادت من نفوذهم. ولنستدل على ذلك نورد ما قاله حمدان خوجة: "ارتكب الأتراك خطأً فادحاً عندما تركوا السلطة المطلقة بين أيدي الباشوات، لأن ذلك جرد الديوان من كل قوة وسلطان وجعله كلا (هكذا) شيء في حين أنه أنشئ لمراقبة أعمال الباشوات ومساعدة الحكومة...."[1]

كـما يحدثنا عن الصراع بين الكراغلة والأتراك على الحكم كعامل أخر من عوامل الضعف، رغم حديثه عن الداي حسين باعتدال إلا أنه يحمله خطأ

1 – ابن عثمان: المرآة، المصدر السابق، ص 154.

كونه لم يستعمل جميع الوسائل الممكنة لمنع الحرب التي وقعت مع فرنسا[1] وهو نفس الموقف السلبي الذي اتخذه أحمد الجزائري من تصرفات الداي حسين[2].

نجد أيضا مصداقية هؤلاء في سرد الأحداث ترتبط بالمناطق التي ينتمون إليها، مثلا حمدان خوجة أكثر من غيره مصداقية في الأحداث المتعلقة بمدينة الجزائر، بن زرفة والناصري أكثر دقة وتمكنا من أحداث الغرب الجزائري، وينطبق الأمر على باقي المؤرخين الذين لم يكتبوا عن الجزائر كقطر من الناحية الجغرافية والشيء الجميل والإيجابي كونهم وبدون استثناء قد كتبوا للجزائر كوطن واحد بل هناك من ذهب بحدود هذا الوطن بعيدا... إلى الأندلس الإسلامية – كأبو راس الناصري- ونلمس هذه الوطنية من خلال كون العاصمة كانت مركزاً للحكم ومرجعاً للقرارات والمشاورات مع الشرق والغرب الجزائري. وكان لسقوطها في يد الفرنسيين تأثيراً كبيراً على باقي المناطق وباقي الحكام –حسب ما تذكره هذه المصادر-.

فيما يخص القضايا الاجتماعية والثقافية المطروحة في هذه الكتابات كانت أقل حظا من السياسة.

نقرأ منها اتفاق الورثلاني (ق 18) وحمدان خوجة (ق 19) في وصف العادات والتقاليد الجزائرية وتمسك الجزائريين بها كزيارة المقابر، والأضرحة. وعدم ولاء الفرد الجزائري للحاكم، وتميزه بالعناد والتعصب والعداء، كما ينتقد بن هطال القبائل الممتنعة وما يؤكد مواقفهم هذه وقوف أغلبهم إلى جانب السلطة سواء تمثلت في الإدارة التركية أو محمد باي

---

1 – بن عثمان، المرآة ، المصدر السابق، ص 174.

2 – أنظر سابقا، المدخل ص 34.

أو الأمير عبد القادر، بل وإنصافها في أغلب الأحيان حيث يعتبر كل من ابن هطال ومسلم وقدور بن رويلة (التيجانيين والدرقاويين) أعداء.

كما أشار الجميع إلى الضعف الديني الذي أصاب الجزائر كجزء من الأمة الإسلامية المريضة وقد تخصص في تشخيص هذا المرض حمدان خوجة في كتابه "**إتحاف**".أما الضعف الأدبي واللغوي الذي تكلم عنه أغلبهم –خاصة أبو راس وابن سحنون فيكفي أن تؤكده الطريقة الكلاسيكية التي كتب بها هؤلاء.

المبحث الثالث

المقارنة بينها وبين بعض الكتابات المعاصرة لها
(أجنبية- مغربية)

المقارنة بينها وبين بعض الكتابات المعاصرة لها (أجنبية-مغربية)

حتى تكون دراستنا أكثر تحليلا وتعمقا وقريبة من النقد، يجدر بنا مقارنة هذه المصادر بعينات من المصادر الأجنبية، وأخرى مغربية معاصرة لها أو قريبة من الفترة المدروسة.

من خلال هذه الخطوة يمكننا تحديد نقاط التشابه ونقاط الاختلاف بين الطرفين، والمقارنة ستكون من خلال اعتماد نفس الخطوات المنهجية المتبعة في المصادر الجزائرية، أي من حيث المواضيع المطروقة، المنهج المتبع في كتابة وعرض الأحداث، وطريقة تفسير الأحداث، ومدى الموضوعية في تناولها للأحداث.

أولا- الكتابات الأجنبية: حتى تكون دراستنا المقارنة مركزة. تم تركيزنا على موضوع فتح وهران في هذه الكتابات كنموذج.

تعد الكتابات الظرفية – الإسبانية للقرن الثامن عشر، أي التي كتبت بمناسبة عودة الاحتلال الإسباني لوهران سنة 1732، وبأمر من السلطة الملكية، وعلى رأس هذه الكتابات تقرير الحكام والقادة، كتقرير فاليجو [1]

1- (Don joseph Vallego) حاكم وهران في الفترة 1734-1738، إشتهر بأعماله الحربية خاصة في حرب الوراثة في أوروبا، وبأعماله التحصينية لمدينة وهران، كتب تقريره سنة 1734 أنظر:
Don josé (Vallejo) : contribution à l'histoire du vieil oran, mémoire sur l'état et la valeur des places d'oran et de Mers El Kebir Traduit et annote par jean cazenave, in RA, N° 66, (Alger, Année 1925), p 323.

(Vallejo)، وأرمبوبرو (Aramburu)[1]، والدراسات المركزة كدراسة باستيما لجوغلو (Alexandre pestemal djoglou) حول المرسى الكبير، لسيبس (R.Léspes) حول التاريخ الحضري والعمراني لمدينة وهران، وغيرها، تعد مادة تاريخية هامةً لأن هذه المواضيع لم تتناولها المصادر الجزائرية لنفس الفترة، كما نستطيع من خلال هذه الكتابات – معرفة وقراءة أفكار ومواقف الطرف الأجنبي من الأحداث.

ولذلك لا يمكن الاستغناء عن هذا الإنتاج في الدراسة (الطوبوغرافية سواء لمدينة وهران، أوالمرسى الكبير، لما تحتويه هذه الدراسات من خرائط تعود إلى القرن الثامن عشر، كالخريطة المرفقة لتقرير أرمبورو، والتي رسمت سنة 1741، والصور واللوحات المتضمنة لدراسة (pestemaldjoglou)[2] هذا من جهة ومن جهة أخرى ما تحتويه من وصف علمي دقيق للتطور العمراني لمدينة وهران عبر التاريخ، لا سيما ما يتعلق بالحصون، والقلاع، كتلك التي أقامها ورممها الإسبان في المرحلة الثانية من احتلالهم لوهران، وبالضبط في عهد فاليجو[3]، الذي قام بإنشاء أكاديمية للرياضيات– كالتي في برشلونة– لتخرج جنود في المدفعية العسكرية[4].

كما نفهم أن ازدياد النشاط المعماري في الفترة الإسبانية الثانية كان نتيجة لازدياد وتكرر هجومات الجزائريين على وهران. ويفيدنا كـل من تقريري

1- عين (Don joseph Basilo Aramburu) حاكما على وهران و المرسى الكبير 1738، كتب تقريره الذي انتهى منه في 1741/01/25 بوهران بأمر من الملك الإسباني فيليب الخامس. أنظر

Med El Korso, Mikel de Epalza ; « Oran et l'ouest Algérien au 18ème siècle d'après le rapport Aramburu », (Alger, 1978), pp 26-52

2- Alexandre pastemaldoglou, « Mers El Kebir, Historique et description de la forteresse » in RA ; (Alger 1940) ; pp 154-185.

3 -Vallego ; op.cit , pp 329-346.

4 -Ibid ; p 327.

فاليجو، وارمبوبورو بتفاصيل مهمة حول عدد سكان مدينة وهران، والذي قدره فاليجو في سنة 1738 بـ 8947 نسمة حيث نسجل من خلاله تفوق العنصر العسكري على العنصر المدني.

ومن المواضيع التي تركز عليها هذه التقارير طبيعة العلاقة بين الإسبان والقبائل الخاضعة لها، والتي لم تكن على مستوى واحد، باستثناء بنو راشد الذين عرفوا بتمردهم على المسيحي، وتفاصيل حول الضريبة التي يطلق عليها الجزائريون (الرومية)- لأنها تدفع للرومي أو المسيحي. والتي كانت تدفع في شهر أغسطس من كل سنة، مثلا قبل سنة 1708 كانت القبائل تدفع لقضاء وهران ما بين (20.000) و(22.000) فينفق من القمح، أما قبيلة حميان وهبرة و(Xafa) تزيد عن ذلك من (5000) إلى (6000) فينفق شعير سنويا[1]، وترهن هذه القبائل أبنائها إلى أن تتم عملية دفع الضريبة، وإذا لم تفعل يباعون في سوق العبيد باسبانيا.

كما تعطينا هذه التقارير دراسة قيمة عن طبيعة الأراضي المحيطة بوهران، والإشارة إلى دور الباي مصطفى بوشلاغم في تطوير الزراعة بها بالفترة (1708-1732). في حين تصبح هذه الأراضي صحاري بعد 1732، وتنخفض التنمية الفلاحية بها، لقطع أشجارها من طرف السكان، ولانسحاب بعض القبائل الخاضعة منها، والتي أصبحت عدوا للإسبان.

أما الأفكار التي يمكن قراءتها من خلال هذه الكتابات فهي كثيرة، منها كون عملية استرجاع الجزائريين لوهران سنة 1708 لم تكن سهلة، حسبما نفهمه، ونستنتجه من تصريح أرمبورو بعدم تمكنه من العثور على الوثائق الإدارية لكتابة تقريره، لكونها ضاعت أو نقلت إلى اسبانيا سنة 1708[2] .

---

1 - El Korso ; op.cit, p 47.

2 - Ibid, p 37.

فاليجو، وأرمبوبورو بتفاصيل مهمة حول عدد سكان مدينة وهران، والذي قدره فاليجو في سنة 1738 بـ 8947 نسمة حيث نسجل من خلاله تفوق العنصر العسكري على العنصر المدني.

ومن المواضيع التي تركز عليها هذه التقارير طبيعة العلاقة بين الإسبان والقبائل الخاضعة لها، والتي لم تكن على مستوى واحد، باستثناء بنو راشد الذين عرفوا بتمردهم على المسيحي، وتفاصيل حول الضريبة التي يطلق عليها الجزائريون (الرومية)- لأنها تدفع للرومي أو المسيحي. والتي كانت تدفع في شهر أغسطس من كل سنة، مثلا قبل سنة 1708 كانت القبائل تدفع لقضاء وهران ما بين (20.000) و(22.000) فينفق من القمح، أما قبيلة حميان وهبرة و(Xafa) تزيد عن ذلك من (5000) إلى (6000) فينفق شعير سنويا[1]، وترهن هذه القبائل أبنائها إلى أن تتم عملية دفع الضريبة، وإذا لم تفعل يباعون في سوق العبيد باسبانيا.

كما تعطينا هذه التقارير دراسة قيمة عن طبيعة الأراضي المحيطة بوهران، والإشارة إلى دور الباي مصطفى بوشلاغم في تطوير الزراعة بها بالفترة (1708-1732). في حين تصبح هذه الأراضي صحاري بعد 1732، وتنخفض التنمية الفلاحية بها، لقطع أشجارها من طرف السكان، ولانسحاب بعض القبائل الخاضعة منها، والتي أصبحت عدوا للإسبان.

أما الأفكار التي يمكن قراءتها من خلال هذه الكتابات فهي كثيرة، منها كون عملية استرجاع الجزائريين لوهران سنة 1708 لم تكن سهلة، حسبما نفهمه، ونستنتجه من تصريح أرمبورو بعدم تمكنه من العثور على الوثائق الإدارية لكتابة تقريره، لكونها ضاعت أو نقلت إلى اسبانيا سنة 1708[2].

1 - El Korso ; op.cit, p 47.
2 - Ibid, p 37.

كما برز -أرمبورو- عمالة قبائل بنو عامر للإسبان برغبتها-القبائل- في ذلك بحثا عن الأمان (Seguros)، في الوقت الذي يحكم المشرفي عليها بالخيانة فيكفرها.

ويكشف لنا عشرون تقريراً (20) مؤرخا في القرن الثامن عشر[1]، على رأسها التقريرين المشار إليهما-عن الموقف التشاؤمي للقادة الإسبان بوهران، القاضي بعدم قدرة إسبانيا على الاستمرار في احتلال وهران والمرسى الكبير. لأن اسبانيا التي رأت في احتلال وهران والمرسى الكبير حلاً لأزمة بلاط مدريد الماليه قد أصبحت عاجزة حتى عن الدفاع والحفاظ عليهما، هذا ما نفهمه من العبارة التي ختم بها فاليجو تقريره قائلا: "إن إسبانيا قد استبدلت كدسة من الذهب بجبال من تراب، لم تربح لا شرفها ولا تجارتها، ولا دعايتها الدينية الكاثوليكية".[2]

أما الحجج التي قدمها هؤلاء القادة لتعليل موقفهم هذا فهي عموما، تتوافق مع ما ذهبت إليه المصادر الجزائرية من حيث بقاء الإسبان محاصرين بوهران طيلة الفترة (1732-1791) ونقص التموين عليهم بسبب تغير علاقتهم مع القبائل الخاضعة، هذه الأخيرة التي كانت مصدر تموينهم في الفترة الإسبانية الأولى -قبل 1708- حيث كانت الحكومة الإسبانية لا ترسل سوى 57000 بياستر للترميم دون المؤونة.[3]

كما نقرأ من خلال هذه المصادر، فشل سياسة إسبانيا التنصيرية ، لاسيما تلك التي قام بها ألكودات (Alcaudet) بواسطة رهبان يحسنون العبرية والعربية. لكن نسبة التنصير لم تتجاوز الثلاثون (30) سنويا لأطفال لا تتعدى

1 - El Korso ; Op.cit, p 15.
2 - Vallego ; op.cit , p 329
3 - IBID, p. 324.

أعمارهم سبعة (07) سنوات. وممارسة إسبانيا لتجارة العبيد الجزائريين في إسبانيا بأثمان باهظة.[1]

لكن رغم هذه المواضيع والأفكار التي أفادتنا بها هذه الكتابات -سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة- والتي من شأنها إكمال جوانب ناقصة في المصادر الجزائرية. إلا أنها تبقى بعيدة كل البعد عن التعبير على الحقيقة التاريخية، وعلى واقع العلاقات الجزائرية -الإسبانية في هذه الفترة. ومرد ذلك ما تميزت به من عمومية مثل ما هو عليه تأليف دي قـرامون (Degrammont)[2] الذي ركز على الدايات والبايات أكثر من تركيزه على الموضوع أو الحدث، مما يضفي على تأليفه طابع السيرة الذاتية للدايات أكثر منه تاريخا للجزائر في الفترة الحديثة- من القرن السادس عشر (16) إلى بداية التاسع عشر (19)- أما أمهات قضايا الجزائر خلال القرن الثامن عشر كتحرير وهران الأول والثاني فاكتفى بالإشارة إليها في سياق الكلام ولم يقصد دراستها.

نفس المنهج سار عليه بليسي (Pellissier)[3]، فتاريخ الجزائر وخصائص أحداثه في القرن الثامن عشر لم يكن موضوعا لتأليفه، بقدر ما استعرض الأحداث الخاصة بتاريخ الجزائر في إطار سياسة إسبانيا في شمال إفريقيا، لذلك أغفل الكثير من الحقائق التاريخية- لا سيما على المستوى الداخلي والتي لـعبت دورا أساسيا في تحديد النتائج التي تجلت في التطـورات التي

---

1 - René (les pés) ; « Oran études de géographie et d'histoire urbaine », paris collections du centenaire de l'Algérie 1830-1930, (Alger 1938) pp 66,89

2 - H.D.Degrammont ; « Histoire d'Alger sous la domination Turque » (1515-1830) (Paris, Eperoux, 1887).

3 - E.Pellisier : Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1841, Mémoire historique et géographique sur l'Algérie, V/Paris.

عرفتها الجزائر في هذه الفترة. فقيمة تأليفه لا تزيد عن كونه يعطينا الظروف الخارجية التي استرجعت فيها وهران.

كما لاحظنا تعمد هذه الكتابات لاسيما الإسبانية منها-السكوت على أمهات القضايا، فلا نجد تبرير لذلك سوى تفاديها الحديث عن الفشل، بدليل غزارة كتابتهم حول الفترة ما قبل 1708 وسنة 1732، وسنة 1792، لكنها تحاول بشتى المصطلحات تبرير فشل سنة 1708. فتذرعت على عدم تطرقها للفترة الإسلامية (1708-1732) بعدم توفر المصادر- كما ذهب إلى ذلك (Fey)[1]، أو بعدم ثقتها في المصادر المحلية- كما صرح (بذلك) دي قرامون (Degrammont)[2] .

في حين وجدنا أن مصطفى بوشلاغم قد جدد عمران المدينة وبنى مخزنها وحمامين ما يزالان إلى اليوم، كما تشهد عليه النقيشة الموجودة على باب المخزن والتي تحمل تاريخ بنائه (سنة 1133هـ) (1719-1720)[3].

وحتى نكون منصفين في حكمنا على هذه المصادر نورد بعض النماذج منها والتي خلدت استرجاع الإسبان لوهران سنة 1732 بنوع من المبالغة، كالوثيقة التي نشرها كلاريانا(Don.Antonio Declariana) [4]، والتي كتبت من طرف إحدى منفذي قوانين الجيش الملكي (Don.Pedro de la Gueba)، تحمل عنوان " استرجاع وهران سنة 1732 ".

1- Fey; Histoire d'oran avant et Aprés la domination espagnole;(Oran 1858), p 141.
2-Degrammont ; op.cit, Introduction p XIV.
3-L.Demaght, « Monument commémoratif de la reprise d'oran par les Espagnols en 1732. » in B.S.G.A.O, T13, 1833, (oran 1878), p 179.
4- نشر (Don.Antonio Declariana) عام 1733 في مدريد ترجمة لكتاب "تاريخ مملكة مدينة الجزائر" الذي كان قد نشر في أمستردام سنة 1723 من طرف (Laugier de Tassy)، ولما لم ينشر كلاريانا الكتاب كله أضاف له وثيقة رسمية تروي عودة الإحتلال الإسباني لوهران. أنظر: A.Berbrugger , « Reprise d'oran par les espagnols" en 1732, R.A, T08, (Alger 1864), p 12.

حيث يسهب صاحبها في ذكر تفاصيل الحملة الإسبانية على المرسى الكبير ووهران من حيث العدد والعدة وتركيبة الجيش، ونص الخطاب الذي أصدره الملك فيليب الخامس في 1732/06/06 وما غنمه الإسبان من الجزائريين عند رحيل الجزائريين عن وهران: 138 مدفعا منها 87 من البرونز7 هاون، والباقي من الحديد بالإضافة إلى العتاد الحربي والمؤونة المقدرة بحمولة خمسة سفن شراعية[1]، بينما لا نجد ذكرا للمقاومة التي أبداها مصطفى باي.

كما تتضمن بعض الكتابات نقوشا تخلد عودة الاحتلال الإسباني - سواء كتبت باللغة اللاتينية أو الإسبانية- والذي كان في عهد فيليب الخامس، كما خلدت إبنه .فيليب الثالث، الذي كان عيد ميلاده موضوعها، خصصت له صفحات كتاباتهم[2]. بل وصور هذا الحفل الذي كان سنة 1772 على أنه تحدي لما يحدث خارج أسوار مدينة وهران، من حصار ومقاومة جزائرية، وإلا كيف نفهم ذكر صاحب المقال للمعركة التي تخللت الحفل، والتي انهزم فيها المسلمين، وشاهد الجميع رؤوسهم فوق مائدة الحفل.

سنتطرق إلى منهجها في كتابة وعرض الأحداث من خلال:

أ- <u>المصادر المعتمدة:</u>

إن الجانب الإيجابي في الكتابات الغربية وعلى رأسها المساهمة الفرنسية في تاريخ الجزائر الحديث، هو جمعها للمادة التاريخية، وأبرز من نشط في هذا الميدان هم المستشرقون مثـل بيربروجير (Berbrugger) الذي كـان أول رئيس للجمعية التاريخية الجزائرية، ورني باسي (R.Basset)- أبو الاستشراق

1-Berbrugger,Op cit , p 26.
2- J.Cazenave; « Page d"histoire Algérienne, une fête à oran en 1772», A.
T1, (Alger,(1923), p 163.

في الجزائر-ودوسلان (Deslane)، وهوداس (Houdas) وغيرهم.[1]

وتميزت هذه الكتابات باستخدام تقنيات البحث الحديث من تصنيف المادة حسب التخصص، والتهميش. لكن ما يعاب عليها كونها أعمالا لم تتعد النشر والترجمة إذا تعلق الأمر بالتراث الجزائري هذا من جهة، ومن جهة ثانية اعتمادها في عمومها لا سيما التي كتبت في القرنين الثامن والتاسع عشر[2]، على الأرشيفات والمصادر الغربية وإهمالها سواء عن قصد أو غير قصد للمصادر المحلية، مبررة ذلك بنقص هذه الأخيرة. واحتوائها على المبالغات والأساطير مثل ما ذهب إليه دي قرامون، ووليام مارسي (William.Marçais)[3].

أما إذا تعلق الأمر بالانطباعات الشخصية مثل تأليف فونتوردي باردي (Venture-Deparadis)[4] الذي كان في مدينة الجزائر أواخر القرن 18 - نجدها تختص بمنطقة دون الأخرى مثل تخصص هذا المؤلف في مدينة الجزائر. فهو تكلم عن الغرب الجزائري فقط من خلال تطرقه لعلاقة البايلك بالمركز (العاصمة).

إذن يمكن أن نقول مع (R.Montron) -المتخصص في التاريخ العثماني- أنه "لا يمكن كتابة تاريخ حقيقي للجزائر في القرون التي عاشتها تحت الحكم

1- René Basset ; « Mélanges, Rapport sur l"activité scientifique de la France en Algérie et dans l"Afrique du nord depuis 1830 » in J.A, vol 15, Paris (1920), pp 89, 96.

2 -أنظر تقييم الدكتور سعيدوني لهذه الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر الحديث: ناصر الدين سعيدوني: "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة"، الجزء الثاني (الجزائر، 1988) ص ص 36، 38، 39.

3 – سعيدوني، نفس المرجع، ص 36.

4 - Venture de paradis; (Alger au 18ème siècle, 2ème édition Tunis, sans date).

التركي إلا بالرجوع إلى الوثائق الأصلية التي ظلت ناقصة".[1]

ب- طريقة عرض وتفسير الأحداث:

تميزت هذه الكتابات بالتركيز على الجوانب السلبية لتاريخ الجزائر الحديث مثل ما ذهب إليه لسبيس (Lespes) لما تطرق إلى عدد العبيد الذي يفوق الثلاثمائة حيث وجدهم الكاردينال إكزيميناس (Ximenés) في البرج الجديد عند احتلال هذا الأخير لمدينة وهران سنة 1509. أما قضية الأسرى ومحاربة القرصنة والاسترقاق فطالما جعلها الغرب مبررا لتدخلاتهم في شمال إفريقيا، وعاملا لتطور الأحداث.

كما تنفي هذه المصادر عن الجزائريين أي عمل ترميمي لمدينة وهران سواء في الفترة (1708-1732) أو الفترة (1791-1830)، بل يذهب لسبيس في ظل غياب المصادر الجزائرية لديه إلى القول:

"إنه في الفترة (1708-1732) خربت كل العمارات ودمرت وبنيت بأحجار القصر منازل البايلك بناءا فوضويا يصعب الاعتقاد أن المدينة كانت شيئا آخر في الفترة الإسلامية سوى مدينة ذات تكتلات معمارية، ضيقة الشوارع وغير مبلطة".[2]

لكن يخبرنا بن سحنون بأن الباي مصطفى بوشلاغم لم يدمر الحصون، حيث أنحى باللائمة عليه لأن الإسبان استغلوها عند احتلالهم الثاني لوهران، كما نعلم بأن الباي بوشلاغم قد بنى حمامين- ما يزالان إلى اليوم- وجدد عمرانهما ومخزنهما.

1- ناصر الدين سعيدوني. "الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر" مجلة الثقافة، السنة الثامنة، العدد 45 الجزائر، (جمادى الثانية، رجب 1348 هـ يونيو-يوليو 1978) ص 39.

2 - Lespés ; op.cit, pp 72, 73, 76.

وفسرت هذه الكتابات الاحتلال الإسباني للجزائر كمساعدة للعرب على الأتراك والمرابطين متجاهلين بذلك دور القوى المحلية في تطور الأحداث، لأن الوجود العثماني في الجزائر لم ينظر إليه من طرف الجزائريين كقوة محتلة بقدر ما اعتبر قوة منقذة من الاحتلال الإسباني-المسيحي.

وبالمقابل لذلك نجد هذه الكتابات تركز على إبراز المواقف الإسبانية لاسيما الإيجابية منها، مثل قولها بدفاع الإسبان البطولي ضد الحصار الجزائري لوهران سنة 1705 [1]. وتسكت بالمقابل على أحداث فتح وهران وتفاصيل حصار سنة 1708، كسكوت (دي قرامون) عن عدد القتلى والجرحى والأسرى واكتفائه بالقول أنه بعد سقوط الأبراج التحق كل من الجيش والسكان بالمرسى الكبير.

في حين نحن نعلم بأن أزون حسن قد عاد إلى العاصمة بـ 2000 أسير منهم 200 قائد.

كما تقول بالتخلي عن وهران كما ذهب إليه بليسي وبود (Baude) بأن الأتراك استولوا على وهران كغنيمة سهلة. وروتاليي (Rotalier) وقاليبار (Galibert) يقولان بعدم تلقي الإسبان للنجدات فطلبوا الاستسلام. أما إسترهارزي (Esterharz) فقد أرجع الأمر إلى تخلي قبائل بنوعامر عن الإسبان بعدما هددوا من طرف الباي، وبرر كرات (Carette) هذا التخلي بكون الحامية الإسبانية كانت قليلة العدد، لكن فاي (Fey) ينتقد ويعارض هؤلاء باحثا عن الحقيقة التاريخية، ليقر في الأخير بأن خروج الإسبان من وهران سنة 1708. كان بفعل القوة والحصار المحكم، ووهران أخذت من طرف الجزائريين والأسلحة في الأيدي وبعد حصار دموي [2] – على حد تعبيره. وفعلا هذا ما أثبتته المصادر الجزائرية المعاصرة للحدث.

---

1 - Pestemaldjoglou; op.cit, p 166.
2 - Fey; op.cit, pp 109,110

ومن الطرق التي انتهجتها هذه الكتابات في تفسيرها للأحداث هي إدراجها في إطار السياسة الإسبانية في شمال إفريقيا، أي تفسيرها بعوامل خارجية.

فبليسيي لم يهتم بكيفية سقوط وهران من يد الإسبان بقدر ما اهتم بما تبقى لهم من مستعمرات في شمال إفريقيا: مليلية – حجر بادس وسبتة.[1]

كما فسر دي قرامون استقرار الوضع في الغرب الجزائري سنة 1708 بصراع أبناء إسماعيل على السلطة[2]، وأرجع دافع الداي لاسترجاع وهران في هذا التاريخ المشار إليه، إلى استغلاله لحرب الخلافة على الملك في أوروبا، ولمساعدة إنجلترا للجزائريين[3]، ومحاولة إبراز دور القوى الخارجية مثل قول بيليسي بإرسال المغرب الأقصى لـ 30.000 [4] جندي أثناء حصار بوشلاغم لوهران سنة 1734.

وفسر فتح وهران الثاني هو الآخر إما بظروف إسبانيا الاجتماعية الصعبة التي اضطرتها إلى عقد معاهدة 12 سبتمبر 1791، وهو ما ذهب إليه بيلسيي، أو بظواهر طبيعية كاعتبار الزلزال 1790/10/09 عاملا مباشراً للتسليم حيث يقول دي قرامون: "عندما رأى المجلس الملكي النفقات الباهظة التي ستكلفها إعادة التحصينات بعد الزلزال، طلب الملك شارل الرابع التنازل عن المدينة والمرسى الكبير للباي محمد مقابل محطة (Comptoir) تجارية قرب جامع الغزوات"[5].

بينما رأت هذه الكتابات في حصار محمد باي خرقا لمعاهدة جوان 1786 – هذه الأخيرة التي تجمع الكتابات الغربية على أنها كلفت إسبانيا 20 مليون–

1 - Pellisier, op.cit ; pp 109, 110
2 - Degrammont ; op.cit, p 274.
3 -Pestemaldjoglou ; op.cit , p 166
4 - Pellisier ; Ibid, p 109.
5 - Degrammont, Ibid, p 289

فمن جهة يصرح دي قرامون بإقرار إسبانيا في هذه المعاهدة التخلي عن وهران والمرسى الكبير، ومن جهة أخري يبرر عدم تنفيذ إسبانيا للتخلي برغبة بلاط مدريد في الحصول على بعض الشروط التجارية.[1]

وهذا ما اعتبرته المصادر الجزائرية خرقا للمعاهدة.

إذن من غير الممكن تفسير حصار محمد باي كخرق للمعاهدة بما أن دي قرامون يصرح ضمنيا بعدم تنفيذ إسبانيا لبنودها الخاصة بوهران والمرسى الكبير.

وهكذا وجدنا تركيز هذه الكتابات على نتائج الحصار التي لم تُفسر هي الأخرى وفق الحقيقة التاريخية، متجاهلة ظروفه وتفاصيله.

بل على العكس من ذلك نجد هذه الكتابات تسهب في الحديث عن استرجاع الإسبان لوهران والمرسى الكبير سنة 1732، مركزة على وصف الحملة وتفاصيلها، والانتصار الإسباني كما هو الشأن بالنسبة لكلاريانا، أما عن معطياتها لعدد الجيش الجزائري المقاوم لهذه الحملة، ففيه نوع من المبالغة، حيث يعطى كلاريانا رقم 22.000 عربي و2000 تركي [2]، ويشير دي قرامون أن بوشلاغم كان في 3000 كرغلي و10.000 [3] أهلي، ويحدد بليسيي رقم 10.000 أهلي.

في حين تفيدنا المصادر الجزائرية أن القوات الجزائرية كانت أقل من ذلك بكثير حيث حددها أبوراس الناصري بـ 4 آلاف جندي.[4]

1- Degrammont ; opcit, chapitre 23 p 344.

2- Basset ; op.cit, p 26.

3- Degrammont , Ibid, p 288.

4- يعطى الدكتور سعيدوني رقما مقاربا لذلك و هو (2500 جندي) متطوع حاول تحرير وهران في عام 1733-1734. أنظر سعيدوني، حصن. المرجع السابق، ص 15.

يمكننا الحكم عليها من حيث الموضوعية في تناول الأحداث من خلال الأسلوب الذي كتبت به، والمصطلحات التي تقاسمتها، ونوعية المواضيع المطروحة.

من حيث الأسلوب لا تختلف هذه المصادر عن المصادر الجزائرية للقرن الثامن عشر من حيث امتزاج أسلوبها بالعاطفة الدينية. لكن ما ميزها عن الكتابات الجزائرية هو كونها تخدم أفكاراً سياسية-استعمارية بعيدة كل البعد عن الأهداف العلمية.

هذا ما نلمسه من تصريح كلاريانا الذي يرى في انتصار الإسبان سنة 1732 نصراً من عند الله للمسيحية، في حين رأى في سحب المسلمين لموتاهم من ساحة المعركة أفكاراً مبنية على عقيدة دينية بربرية. وقوله بقلة عدد قتلى الحملة الإسبانية وسكوته عن عدد قتلى سنة 1732 لما حاولت الحامية الإسبانية فك الحصار، حيث قدرت الخسائر بين موتى وجرحى بـ 2118 من جملة 6800[1] رجل. كما اعتبر حفل 22 جانفي المقام في وهران تحدي المسيحية للجزائريين المسلمين[2].

وما ذهبنا إليه تؤكده بعض الدراسات المعاصرة التي قيّمت هذه المصادر وسجلت عليها إتخاذ الدين المسيحي كعامل لتطور الأحداث والمواقف التاريخية، في حين فسر الجهاد المقدس كبربرية وطبع همجي.[3]

أما كونها تخدم أفكاراً أو قضايا سياسية -استعمارية فتميزت بذلك خاصة كتابات القرن الثامن عشر والتاسع عشر، سواء منها الإسبانية أو الفرنسية

1- قنان: المرجع السابق، ص ص 168-169.

2- Cazenane; op.cit, p 153.

3- سعيدوني، دراسات، المرجع السابق، ص ص 12-23.

مثل تقرير أرمبورو الذي برر في رسالته للملك سبب تأخره في إرسال الخريطة والرسالة التي ألحقها بالتقرير إلى شهر فيفري سنة 1741 قائلا: " بأنه أراد جعل الأمر سريا عن القبائل وحاول إقناعهم بأن أهداف التحقيق علمية تخدم المؤرخين والجغرافيين والمتخصصين في المنطقة الغربية".[1]

نفهم من هذه المواقف التي اتخذها كل من لسبيس، ودي قرامون وبليسي تجاه الفترة الحديثة – سواء كانت مواقف تجاه الإسبانيين أو الأتراك- أنها مواقف لا تخدم العلم بقدر ما تخدم مشاريع فرنسا الإستعمارية في شمال إفريقيا.

فلسبيس يربط في وصفه لوهران والمرسى الكبير بين الفترتين ما قبل 1830 وما بعد ذلك كقوله بأن المرسى الكبير كان عشا للقرصنة لدى المسلمين، بينما نظر إليه كميناء حربي وجوي في زمن الاحتلال الفرنسي[2].

ولا يكتفي بدراسته الموجهة هذه بل يقترح مشاريعاً في كيفية التخلص من المياه المالحة في السبخات واستغلال مياه وهران[3]. كما وجدناه يحكم على الإسبان بانعدام نية التطوير لديهم لمدينة وهران التي ظلت عسكرية الطابع، لذلك يصفها بالمحطة وليس مستعمرة، لأنه لم تكن للإسبان نية التوسع في دواخل البلاد بعيدا عن البحر، فهو بذلك يتجاهل المقاومة الداخلية ضد الوجود الإسباني التي ظلت عائقا لتوسعاتهم.

كما نفهم من موقفه هذا أنه واحد من مشجعي وحاملي فكرة الاحتلال الاستيطاني. ونجده أيضا ينتصر لليهود في اتخاذه موقفاً إزاء قرار الحاكم الإسباني (Marquis Delosvelez) القاضي بطرد اليهود من وهران.

1- El Korso ; op.cit , p 11.
2- Les pés, op.cit, p 15.
3- Ibid, p 33.

أن اليهود في نظر لسبيس وسطاء يعرفون اللغة والتقاليد، ويضرب لـنا مثلا على ذلك باستعانة الحكام التلمسانيين باليهود كاليهودي سطورة (Cetora) الذي كان موظفا في ديوان ملك تلمسان بوهران[1].

كما لا يفوته الحديث عن وضع اليهود أثناء الاحتلال الذين لقوا الحماية من طرف فرنسا، فهاجروا من المغرب الأقصى إلى الجزائر، فيكون ليسبيس بذلك قد تجاهل الدور السلبي لليهود الذين كانوا سببا في احتلال وهران من طرف الإسبان سنة 1509 عن طريق غدر اليهودي أسطورة نفسه، كما أجمعت عليه المصادر الجزائرية المدروسة.

و يتسببون أيضا في الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 على حد قول حمدان خوجة.

ولنفس الغرض كتب بليسيي الذي يقارن الاحتلال الإسباني بالاحتلال الفرنسي قائلا: "إن إسبانيا ولمدة ثلاثة قرون ورغم التضحيات التي تكبدتها لم تستطع أن تقيم دولة في إفريقيا، لكونها كانت تعيش في جهل وخرافات عكس فرنسا"[2].

أما من حيث المصطلحات فهي تخفي وراءها أكثر من فكرة، فلقد أجمعت هذه الكتابات في تعبيرها على الجزائريين باستعمال عدة مصطلحات مثل مور (Maures)، عرب، مغاربة، أفارقة، أتراك، مسلمون ...إلخ. كما نظرت إلى عروج كقرصان، وابن خلدون كرحالة مشرقي، والبكري كإسباني[3]. بل وتذهب إلـى وصف الإنسان الجـزائري بالبربـرية والتوحش والسذاجـة

1-Lespès,Op. cit , p 85.
2- Pellisier, op.cit , p 120.
3-Pestimaldjoglou, op.cit , p 157.

والتعصب واعتقاده بالخرافات، وإطلاقها للأحكام العامة، كقول كازناف إن وهران كانت مدينة إسبانية لمدة ثلاثة قرون، في حين مدة بقاء الإسبان في وهران كان 263 سنة، لأننا لو أخذنا بقول كازناف نكون قد تجاهلنا فترة الحكم الجزائري لوهران (1708-1732).

إذن بناءاً على هذه المعطيات التي هي عليها الكتابات الأجنبية، يمكن القول أنّها لم تكتب للجزائر بقدر ما كتبت عن الجزائر خدمة للسياسة الأوروبية وفي مقدمتها السياسة الإسبانية والفرنسية في شمال إفريقيا لا لشيء إلا لكونها لم تأخذ الواقع الجزائري كمنطلق لتفسير الأحداث، بقدر ما فسرته وفق معطيات خارجية، وبالتالي نحكم على هذه الكتابات وخاصة التي كتبت في القرن (18) الثامن عشر والتاسع عشر (19) بأنها بعيدة كل البعد عن الموضوعية، والمنهج التاريخي السائد في أوروبا، فكان منهجها متحيزاً في كتاباتها عن الجزائر خاصة وشمال إفريقيا عامة. فهي تكمل المصادر الجزائرية في بعض المواضيع المطروقة كالمعطيات الجغرافية والعمرانية والدولية ومن حيث تعدد وتنوع هذه الكتابات كما هو مسجلٌ في مقال جون كازناف[1]. لكنها تتناقض مع المصادر الجزائرية من حيث المنهج المتبع في تفسير الأحداث والواقع المنطلق منه. بحيث أخذت الواقع الأوروبي كمنطلق لتفسير الأحداث.

هذا التناقض الذي لا يمكن أن نعتبره عنصرا سلبيا بقدر ما نعتبره عنصرا أساسيا للمؤرخ المعاصر اليوم، والباحث في تاريخ الجزائر الحديث القرن الثامن عشر (18) والتاسع عشر (19).

---

1 - J. Cazenave. Les sources de l'histoire d'oran, in B.S.G.A.O. Tome 54 , (oran 1933), pp 307, 379.

ثانيا: الكتابات المغربية:

محمد بن عبد السلام الضعيف [1] و"تاريخ الدولة السعيدة"

ولد بالرباط عام 1165هـ-1752م، وتوفي عام 1233هـ-1818 م[2]، ينتمي لأسرة مغربية ذات أصل أندلسي، أخذ العلم من مشايخ الرباط وفاس وتطوان.

يشترك مع المؤلفين الجزائريين في تعدد مجالات تأليفه، حيث كتب في الدين واللغة العربية والشعر والتاريخ - خاصة تاريخ المغرب الأقصى.

عرف بحبه للعلم، وكرهه للظلم، وميله إلى التعلق بالصالحين والمرابطين، وهي الأخرى رابطة اشترك فيها مثقفو المغرب الأقصى في هذه الفترة.

اشتهر في التاريخ بكتابه الذي لم يضع له عنوانا، فعرف بتاريخ الضعيف، وأسماه البعض بتاريخ الدولة السعيدة.

هو عبارة عن تقييد لأحداث الدولة العلوية منذ نشأتها عام 1040هـ-1631م إلى منتصف سنة 1233هـ - 1818م.

وكغيره من المؤرخين المغاربة كتب في إطار السلطة، ويدخل في زمرة التاريخ العام للدول، تضمن مزيجا من الأحداث (المواضيع) سياسية، اقتصادية وعلمية وطبيعية، أي صاحبه لم يعتمد على وحدة الموضوع، بل

1- محمد الضعيف الرباطي: تاريخ الضعيف أو تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق أحمد العماري، (الرباط، 1987).

2- سعيدوني: من التراث، المرجع السابق ، ص 453.

اعتمد على وحدة الزمن، لذلك قلنا في البداية تقييد أي سرد (كرونولوجي) للأحداث حسب تسلسل السلاطين العلويين في الزمن بدءاً بمولاي الرشيد حسب الأيام والشهور والسنوات.

كما نجده يعتمد على المصادر المكتوبة في الأحداث التي لم يحضرها، وهذه المصادر في الحقيقة قيّمة وغزيرة، ربما توفرت لدى الكاتب كونه يخدم بهذا التأليف البلاط الملكي، وتشجيع السلطة المغربية لمثل هذه الكتابات، التي من شأنها أن تزيد شرعيتها التاريخية واستقرار أوضاعها الأمنية.

نذكر مثلا زهرة الأكم لعبد الكريم الريغي[1]، نزهة الحادي لليفراني وغيرها، واعتمد الوثائق الرسمية، والرواية الشفوية، والرسائل الشخصية في الأحداث التي كانت قريبة منه والتي عايشها.

نلاحظ ولائه للسلطة الحاكمة وهي الأسرة العلوية من خلال إبراز الإيجابيات وتغاضيه عن السلبيات.

وكغيره من المؤرخين المغاربة يحـاول إبراز الجانب الاجتماعي والاقتصادي والعلمي في تطور الأحداث من خلال حديثه عن الحياة اليومية، كالزيارات والأفراح والولائم والزواج والطلاق والولادات والوفيات، المكوس وحالة المرضى ...

تميزت لغة التأليف بالمزج بين الفصحى والدارجة، ويعود هذا طبعا للضعف الثقافي الذي سبق أن تحدثنا عنه والذي تميز به المغرب العربي دون استثناء.

1- أنظر: آسيا بن عدادة: دراسة و تحقيق زهر الأكم لعبد الكريم بن موسي الريغي،مطبعة المعارف الجديدة (الرباط، 1992) ص ص13-22.

أبو القاسم الزياني و"الترجمان المعرب عن دول المشرق العربي":

هو من مواليد فاس سنة (1147هـ-1734م) وتوفي بها سنة (1249هـ-1833م) [1] تتلمذ علـى يد شيوخ جـامع القرويين، ومـدرستي الصهريج والعطارين. دخل في خدمة البلاط الملكي المغربي مباشرة بعد تخرجه 1169هـ-1785م إلى أن اعتزل القصر الملكي سنة 1794 في عهد مولاي سليمان بسبب خلافات داخلية.

برغم الوظائف التي أداها لسلاطين المغرب الأقصى، كاتباً، ومفاوضاً مع القبائل لصالح المخزن السلطاني، وسفيراً في المشرق ولدى السلطان العثماني، وقائداً لأقاليم مغربية كوجدة، تازة، مكناس، طنجة، العرائش، تافلالت، ورغم عزله من طرف مولاي سليمان إلا أنه تفرغ بعدها للكتابة والتأليف للأسرة الحاكمة خاصة، ولتاريخ المغرب عامة.

لم يتنكر أبو القاسم الزياني للبلاط الملكي رغم ما حدث، ولكنه كتب بحرية أكبر، وأبدى مواقفه الشخصية وانتقاداته من الأحداث أكثر من غيره، لأنه كتب خارج البلاط الملكي، ليس من زاوية وظيفته ولكن كمؤرخ لذلك لُقّب بذي الوزارتين: الوظيف المخزني، والكتابة التاريخية.[2]

يدخل تأليفه **"الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب[3]"** في إطار التاريخ العام للدول أيضا لأنه يبدأ منذ بداية البشرية وينتهي عند عصره.

1- سعيدوني : من التراث، المرجع السابق ، ص 476.

2- نفسه ، ص 481.

3- نشر هذا المؤلف من طرف هوداس سنة 1886، وترجم قسما منه إلى الفرنسية تحت عنوان المغرب من 1631-1812 م، أما الفصل الذي لم ينشر منه وهو الخاص بالسعديين فقد نشره روجي لوتورنو (R. Le Tournau) مصورا عن مخطوطة الرباط مع ترجمة فرنسية بمجلة الغرب الإسلامي والبحر المتوسط عدد 23 سنة 1977. أنظر سعيدوني: من التراث المرجع السابق ، ص 478.

ويخلد الدولة العلوية في كتاب عنونه **"البستان الظريف في دولة مولانا الشريف"** إخلاصا منه لها، على حد قوله: **"ألفت البستان الظريف في دولة مولاي الشريف إذ لم أجد في هذه الدولة العلوية تأليفاً ولا اعتنى بذكر حوادثها مشروفا ولا شريفا"**[1].

ويشبه إلى حد كبير الناصري في كتابه أي كتاب الزياني "الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحرا" الذي وضعه في أواخر حياته في سن السادسة والثمانين 86 سنة انتهى منه سنة 1233هـ-1818م. ويعد أهم ما كتب لما ضمنه من وثائق رسمية كانت تحت تصرفه، ولتعدد مواضيعه، كترجمته لنفسه، تاريخ الأندلس، المشرق، القسطنطينية- قرطبة- طليطلة، النيل وغيرها ... تعرف عليها أثناء رحلاته الكبرى.

نلخص في نهاية هذا المبحث مجموعة من النتائج المتمخضة عن هذه المقارنة البسيطة بين المصادر الجزائرية والأجنبية، بالإضافة إلى النموذج المغربي وهي:

- تتصل هذه الكتابات في طبيعتها بالمنهج الكلاسيكي، فهي تعتمد على الأساس الزمني أكثر من اعتمادها على أساس الموضوع وتحليله ونقده، في تصنيف المادة التاريخية المتوفرة عند أغلبها وبغزارة عند المصادر المغربية، ربما يعود هذا لظروف الاستقرار ودور السلطة في تشجيع مثل هذه الكتابات التي تساعدها في تثبيت شرعيتها، وتوفر لها الأمن والاستقرار، ولا شك أن أعظم الكتابات التاريخية هي التي ولدت في إطار الدولة.
- كما تهتم في معظمها بتاريخ الدول والسلطة الحاكمة أكثر من اهتمامها

1- سعيدوني: من التراث، ص 478.

بالمواضيع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وإن كانت لم تهملها في غالب الأحيان، لكن لم تتخصص فيها مثل ما هي الدراسات التاريخية اليوم، لأن التاريخ هو كل نشاط صادر عن الإنسان مهما كانت طبيعة هذا النشاط.

- فإذا كانت المصادر المغربية قد كتبت في ظروف أكثر استقرارا عن ظروف الجزائر، فهذا ما يفسر كون المصادر الجزائرية أغلبها كانت ظرفية، عفوية، فقد جاءت إما لإبراز الجهاد ضد الحملات الصليبية، أوالمقاومة ورفض الاحتلال الفرنسي، أو لتسجيل كوارث طبيعية كآفة الجراد والمجاعات التي حلت بالجزائر.

- تختلف في المستوى التاريخي حسب مستوى ثقافة المؤلف، ومدى سيطرته على الوثائق وهذا يتحدد بمدى قربه أو بعده عن السلطة الحاكمة.

- الطابع الديني كان عاملا مشتركا بين جميع هؤلاء مما يوحي بطابع العلاقات الدولية في القرنين 18 و19 والتي تعبر عن استمرار الحملة الصليبية والعداء بين المسلمين والمسحيين.

- رغم ضرورية المصادر الأجنبية التي تكمل بعض النقائص في المصادر الجزائرية إلا أنها لا تعوضها، فالمصادر الجزائرية وكذلك المغربية أكثر تركيزاً على العوامل الداخلية والمحلية في تطور الأحداث.

وأخيراً نسجل نقص الموضوعية لدى جميع الكتّاب، يعزى ذلك إلى الأسباب الدافعة لهؤلاء والتي لا تخرج في معظمها عن السياق الديني أو السياسي أو الاقتصادي الذي عرفته هذه الفترة فالهدف العلمي مفتقد في هذه المرحلة.

المبحث الرابع

قيمتها التاريخية

هل هي إعادة صياغة لمؤلفات سابقة؟ أم أنها تحمل رؤية جديدة؟ وإن كانت موجودة فما هي؟

رغم اعتماد المصادر الجزائرية على المنهج التقليدي وضعف معلوماتها حول الحدود وسكوتها على الكثير من الأحداث والذي فسره البعض بخوفها من السلطة[1] ومزجها بين العاطفة والأحداث في كثير من الأحيان، إلا أنها كانت صريحة إلى حد ما. وعموما يمكن تحديد قيمتها باعتبارها لبنة أساسية في بناء أحداث القرن 18 و19 في الجزائر ويظهر ذلك فيما يلي:

- إذا كانت ظاهرة الإقليمية التي طبعت هذه التآليف عاملا سلبيا في الكتابة التاريخية، إلا أنها أفضت إلى دراسة دقيقة للمنطقة الغربية مع أبو راس وبن سحنون والمشرفي، والوسط مع حمدان خوجة، والجنوبية مع بن هطال، قد لا يحسن وصفها من عاش خارجها باستثناء من تعددت رحلاته وهم قلائل مثل الورثلاني وأبو راس الناصري، هذا الأخير الذي يعد تأليفه "الحلل" خاصة تاريخا للمغرب العربي ولشبه جزيرة إيبيريا وليس فقط تاريخا للجزائر.

كما تعتبر هذه المصادر المشرفي، الورثلاني، التلمساني، أبو راس الناصري بن زرفة وبن سحنون وبن هطال، مصادراً للقرن الثامن عشر أكثر منها للقرنين السادس والسابع عشر.

1- سعد الله: تاريخ، المرجع السابق ص 334.

بينما يعد مسلم بن عبد القادر وقدور بن رويلة وحمدان خوجة من المخضرمين، فمصادرهم تناولت الفترتين التركية والفرنسية وهي بذلك شاهد على الاحتلال الفرنسي للجزائر في مطلع القرن 19. لأنها تقوم على مصادر إسلامية معروفة في الفترات التي تسبق القرنين 18 و19 بينما الجديد الذي جاءت به هو ما تعلق بالقرن 18 و19، وتعد لما تضمنته من قصائد كثيرة – خاصة بن سحنون- الناصري –بن زرفة بن رويلة مصدرا لدراسة تاريخ الحركة الأدبية في القرن 18 و19 والتي اتصفت بالركود والتقليد عموما مع وجود بعض الاستثناءات البسيطة كابن سحنون وحمدان خوجة.

كما تعكس لنا موقف الطرف المؤيد للسلطة الحاكمة والمتمثل في أصحاب هذه المصادر وجانب المعارضة الذي كشفت عنه –هذه المصادر– والمتمثل في بني زيان، قبائل بنو عامر، المناطق الممتعة كالأغواط وقصر الشلالة، ولا سيما المشرفي الذي كان موقفه شديداً باعتباره رجل دين ومفتي. والذي يصور لنا عامل الخيانة الموجود في كل مكان وزمان. لذلك عملت رسالته هذه على تهيئة المسلمين لفتح وهران الثاني من الناحية النفسية.

هناك من يرى في أهمية "الاكتفاءة" لابن زرفة كونها مرجعا يستفيد منه المؤرخون في وضع الحجج والبراهين لإسقاط دعوة المعارضة للسلطة العثمانية.[1]

وتصور لنا الوضع الاجتماعي لا سيما في الغرب الجزائري، من حيث نتائج الاندماج الأندلسي – المغربي. الذي يظهر في بروز مراكز حضرية كمعسكر، ومستغانم، وتلمسان، ومازونة، هذه الحواضر التي ينتمي إليها جلّ من ألّف من الجزائريين في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وتسمى باسمها.

---

1 – غانم: المرجع السابق، الأربعاء 1991/07/14، الجزء الأول، ص 02.

أو من حيث العلاقات بين السلطة والشعب، وبعض العادات مثل احتفال أهل المغرب الأوسط بالناير ووصف التكافل الاجتماعي، والكرم الذي تميزت به خاصة بعض القبائل مثل قبيلة تاحلايت.

وقد ركز على الجانب الاجتماعي كل من الورثلاني، ومسلم، وبن زرفة وحمدان خوجة.

هذا الأخير الذي أعطى تقريرا حول البنية الاجتماعية في الفترة التي سبقت الاحتلال والتفكك الذي أصابها بعد الاحتلال نتيجة السياسة الفرنسية.

ومن خلال "إتحاف" إنتقد حمدان خوجة المجتمع الإسلامي بصفة عامة والجزائر كجزء منه من حيث الضعف والتأخر الذي وصل إليه.

كما تشير هذه المصادر إلى الحالة النفسية للجزائريين تجاه الإسبان والفرنسيين المتميزة بالخوف، الكره، عدم الثقة، المقاومة والتعصب....

وتحمل أيضا طابع التراجم لكثير من العلماء، وذكرا لمؤلفاتهم في شتى العلوم.

الأهم منها ما اندثر ولم يصلنا. وعلى رأس هذه التآليف إنتاج أبو راس الناصري.

كما تعكس من الناحية السياسية عدم وجود مركز ثقل ببايليك الغرب الجزائري إلى سنة 1792 بسبب التهديد الإسباني من الشمال، والمغرب الأقصى من الغرب والبدو من الجنوب.

أما قيمتها الرئيسية –حسب رأينا- هي ما تضمنته من وثائق رسمية خام، جاءت في شكل رسائل تحمل أكثر من دلالة تاريخية سواء كانت بين الباي والداي، أوبين الباي والطلبة بالرباط. أوالمتضمنة لإجراءات التموين والتنظيم

العسكري زمن الباي محمد، أو لمقاومة الأمير عبد القادر العسكرية كما أوردها قدور بن رويلة. وخير دليل على ذلك رسالة الباي محمد التي يبرر فيها للطلبة إرساله لهم النقود بدلا من المال والمؤونة قائلا: "إن ما أمرتكم به أيسر من جهة الترك، إذ في كريم علمكم أنهم يحسدون أبناء العرب ويحقرونهم بما لهم وعليهم من المال فإذا رأوني كل يوم نبعث لكم البارود حسدوكم من ذلك... فارتكبت هذه الطريقة وإن كانت أثقل علي في الإنفاق من اجتماعكم على مطبخة واحدة".[1]

بينما يكشف لنا ابن سحنون عن رسالة ملك إسبانيا إلى الداي التي يقبل فيها الملك شروط ابرام المعاهدة، ورسالة محمد باي إلى الداي حسن يشير عليه فيها بقبول البلاد بدلا من المال، وغيرها من الرسائل التاريخية.[2]

كما تعد رسالة قدور بن رويلة ذات قيمة تاريخية كبيرة والتي تعبرعن موقف صاحبها ممن بقي بالعاصمة بعد الاحتلال.[3]

• وما تركه حمدان خوجة من رسائل، وعلى رأسها رسالته إلى اللجنة الإفريقية[4] وإلى الحاج أحمد باي من آخر بايات قسنطينة. وما تضمنته مذكراته من أحداث والتي تعد شاهداً صادقا على ميلاد أول مقاومة سياسية جزائرية ولو كانت بسيطة كما يرى البعض.

• كما تضمنت "المرآة" تصريحات حية لبعض القادة الفرنسيين حول أمهات القضايا في الجزائر عشية الاحتلال.

---

1 – ابن زرفة: مخ السابق، ق 134 ب.

2 – أنظر لاحقا الملحق 3، ص 241.

3 – أنظر لاحقا الملحق رقم 13، ص 250.

4 – أنظر لاحقا الملحق رقم ، 14 ص 261.

ويفيدنا تأليف بن زرفة الذي يوصف بالتقرير الحربي بكيفية استعمال الباي للجوسسة في الحرب قبل السلاح، وعن استراتيجية اختيار مناطق الهجوم، حيث نفهم من ذلك مدى استفادتهم من خطوات الفتح الأول، وإشراك الباي للعلماء في الفتح ويكشف لنا أيضا عن مخازن الباي مثل مخزن سيق للبارود، والأثقال والزيت....إلخ.

وأخيرا نقول رغم كون هذه المصادر أنها جاءت على شكل سيرة ذاتية لكل من محمد باي أو الأمير عبد القادر، أو على شكل كتابات ظرفية لواقع الإحتلال سواء كان إسبانيا أو فرنسيا، إلا أننا نستنتج من قراءتها حقيقة تاريخية لا يختلف فيها إثنان وهي كون الثغور الجزائرية وعلى رأسها وهران لم تفقد من الذاكرة الشعبية رغم تكرار الحملات، ورغم طول الاحتلال الإسباني لوهران، بدليل تفاعل الشعب مع الأحداث سواء كانت أحداث التحرير والجهاد التي ذكرها التلمساني أو التي ذكرها بن زرفة وبن هطال وأبو راس الناصري وبن سحنون.

وسواء كانت مشاركة مباشرة وتلقائية من خلال الجهاد أو من خلال قصائده التحريضية والحماسية.

كما تفيدنا هذه المصادر بأن هذا التفاعل لم يكن موجوداً لدى الشعب الجزائري فقط بل تعداه إلى شعوب المغرب العربي، مما يؤكد وحدة الشعور الديني، بدليل قول أبي راس الناصري واصفاً انتشار خبر تحرير وهران الثاني في الشرق الجزائري قائلا:

وجدنا في سوسة والمستير قد سمعوا * مـــدينة اللخـــم جـــرب مع تونس[1]

ويزيد هذا الشعور الشعبي الوطني تصاعداً لوقوع الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، كما عبر عنه مسلم بن عبد القادر[2].

1- الناصري: عجائب، مخ السابق، ق 109 أ.

2- أنظر سابقا، ص112 .

الخاتمة

قادتنا هذه الرحلة العلمية إلى استخلاص عدة نتائج. فالنتيجة العامة هي أنه مثل هذا الموضوع يستحق تضافر مجهودات متنوعة، ويتطلب توفر إمكانيات بحث أكبر لأن الأمر يتعلق بتراث أمة بأكملها.

وما هذه الدراسة إلا بداية، ومساهمة بسيطة لإثراء هذا الحقل.

أما النتائج العلمية التي خلصنا إليها فتمثلت في:

- صعوبة تناول مثل هذه المواضيع، لأن الطريقة المتبعة تحليلية أكثر منها تركيبية.

- كما سجلنا خلال هذه الدراسة وجود تراث محلي كبير جداً في مكتباتنا وزوايانا بحاجة إلى باحثين ومؤرخين لاستغلاله، سواء تعلق الأمر بالمخطوطات التي تنتظر التحقيق والنشر، والمشار إلى بعضها في هذا البحث، وأيضاً إعادة تحقيق بعض المخطوطات التي لم تتوفر فيها قواعد التحقيق، علما أن عملية التحقيق هي عملية علمية دقيقة وصعبة، وهي رغم ذلك لا تدرَّس في قسم التاريخ رغم أن الباحث في التاريخ هو المعني الأول بهذه العملية، أما بعض ما حقق هو أقرب إلى النشر منه إلى التحقيق، مثل "ثغر الجماني"، وحتى ما حقق لم يستوف قدره من الاستغلال والاستفادة.

أيضا توصلنا إلى إدراج هذه الكتابات من الناحية المنهجية ضمن التراث، وليس ككتابات متخصصة في التاريخ، لارتباطها بالدين والأدب، مع أنّها من حيث المحتوى والمضمون تحمل أكثر من دلالة تاريخية.فهي تأريخ وتـاريخ لانتصارات الجزائر وانكساراتها. وسيرة ذاتية لحكامها وعلمائها. كما تعكس الحرمان الثقافي في الجزائر خلال هذه الفترة، هذا الحرمان الذي يمتد في الزمن الماضي إلى ما قبل القرن الثامن عشر، وجغرافيا إلى دول المشرق والمغرب العربي. وهو نتيجة طبيعية للفوضى السياسية، والتأخر الحضاري والاجتماعي.

فهؤلاء المؤلفين وإن وجدناهم قد اقتبسوا عن ابن خلدون نصوصا، ووظفوها معلوماتيا، فقد أغفلوا بالمقابل فلسفته للتاريخ.

كما نلاحظ التباعد الحضاري بين واقع الدراسات التاريخية في أوروبا في هذه الفترة والتي أخذت منحى تصاعديا نتيجة الكشوفات الجغرافية، والنهضة الأوروبية وحركة الأفكار، وواقع الكتابات المغربية التي ظلت ظرفية.

فرغم المنهج الكلاسيكي الصعب الذي كتبت به هذه المصادر إلا أن لها دوراً مهماً فهي تسد النقص الموجود في حلقات تاريخنا الحديث، وتعبر عن روح العصر، مثلا إذا قرأ القارئ المعاصر إحدى هذه الكتابات (أحداث فتح وهران) فيشعر وكأنه يشاهد مقطعا مسرحيا، بل يعيشها ويتفاعل معها. والسبب في ذلك أن المصدر الجزائري لم يصور استرجاع وهران من الناحية السياسية بقدر ما صوره من الناحية النفسية-الحضارية، فهو استرجاع وتحرير يعبر عن تخلص الإدارة الجزائرية من ربقة المستعمرين.

فهو لم يقتنع برسالة فرنسا الحضارية في الجزائر بل صور الاحتلال الفرنسي ككارثة حضارية.

كما كانت القصائد الشعرية أداة من أدوات المقاومة ومصدر تنفيس وسلوان ساعد الجزائريين في الحفاظ على رباطة جأشهم لمقاومة الاحتلال الاسباني والفرنسي لفترات طويلة.

وآخر فكرة نسجلها في نهاية هذا البحث هي دعوة المتخصصين في علم الاجتماع والتاريخ إلى توجيه الطلبة مستقبلا إلى ميدان التاريخ الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، لأن البحث فيه قليل، وميدانه واسع ومتشعب، وقصد تكوين مدرسة جزائرية موصولة بجذور التاريخ ومتصلة في الوقت نفسه بروح العصر، حيث تسهم في تشكيل جيل متشبع بالقيم التاريخية والاجتماعية المعبرة عن موروثنا الحضاري.

قائمة المصادر والمراجع (البيبليوغرافية)

أ- المصادر والمراجع باللغة العربية:

المصـــادر

المخطوطات:

- التلمساني (محمد بن محمد): "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، مخطوطة، رقم 1626، المكتبة الوطنية الجزائر.
- الجامعي (عبد الرحمن): "شرح أرجوزة الحلفاوي"، مخطوطة رقم 2521، المكتبة الوطنية الجزائر (ق 60).
- محمد الطاهر (بن حواء): "نظم الجواهر في سلك أهل البصائر"، مخطوطة المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1893 (45 ص).
- ابن رويلة (قدور): "رسالة إلى مصطفى الكبابطي مفتي الجزائر"، رقم 2083، المكتبة الوطنية الجزائر.
- ابن زرفة (محمد المصطفى): "الرحلة القمرية في السيرة النبوية"، ج1 مخطوطة رقم 2597، المكتبة الوطنية، الجزائر (168 ق).
- مجموعة وثائق تتعلق بالعهد العثماني، فرمانات، ومراسلات مختلفة، الملف الأول المجموعة رقم 3205، وثيقة رقم 53، المكتبة الوطنية الجزائر.
- الناصري (أبو راس): "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية"، مخطوطة رقم 3182، المكتبة الوطنية الجزائر. (ص 263).
- الناصر أبو راس: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مخطوطة رقم 2597، المكتبة الوطنية الجزائر، (ق 144).

- بوعزيز (يحيى): "المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780 -1798"، (الجزائر، 1993).

- الجزائري (أحمد): "كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان"، نشره وقدم له صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد (بيروت 1962).

- الحفناوي (أبو القاسم): "تعريف الخلف بـــرجال السلف"، ج1، ج2 (الجزائر 1907).

- خوجة (حسين): "ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان" تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، بدون طبعة (تونس 1395هـــ /1975م).

-خوجة(حمدان بن عثمان): "المرآة"، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الطبعة الثانية (الجزائر 1982).

-خوجة (حمدان بن عثمان): "إتحاف المنصفين والأدباء في الحتراس من الوباء"، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم.

-ابن رويلة (قدور): "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب"، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر سبتمبر 1968).

-الزبيري (محمد العربي): "مذكرات أحمد باي، حمدان خوجة وبوضربة"، الطبعة الثانية (الجزائر 1981).

-الزهار (أحمد شريف): "مذكرات (1168-1246هـ)(1754-1830م)"، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة الثانية (الجزائر، 1980).

- الزياني (أبو القاسم): "الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب"، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، (المغرب الأقصى 1387هـ-1967م).

- ابن سحنون (أحمد بن محمد): "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي (مطبعة قسنطينة، الجزائر 1973).

- ابن سودة (عبد السلام): "دليل مؤرخ المغرب الأقصى"، ج2 الطبعة الثانية (دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب 1960).

- الشقراني (أحمد بن عبد الرحمن): "القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط"، تحقيق وتقديم ناصر الـدين سعيدوني، الطبعة الأولى (دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1991).

- عدادة (آسيا): "دراسة وتحقيق زهر الأكم لعبد الكريم بن موسى الريغي"، مطبعة المعارف الجديدة، (الرباط 1992).

- ابن العنتري(محمد الصالح): "تاريخ قسنطينة"، تعليق يحيى بوعزيز، (ديوان المطبوعات الجامعية 1991).

- ابن العنتري(محمد الصالح): "سنين القحط والمسبقة ببلدة قسنطينة"، (مجاعات قسنطينة) تحقيق وتقديم رابح بونار، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394هـ/1974م).

- المزاري(ابن عودة): "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر"، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز ج2 المطبعة الأولى (دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1990).

- المشرفي(عبد القـادر): "بهجة الناظر في أخبـار الـداخلين تحت ولاية

الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر"، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة (بيروت، بدون تاريخ).

- **الناصري (أبوراس)**: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، (حياة أبي راس الذاتية والعملية حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990).

- **ابن هطال (أحمد)**: "رحلة محمد باي (باي الغرب الجزائري) إلى الجنوب الصحراوي الجزائري"، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الطبعة الأولى، (القاهرة، 1969).

- **الورثلاني (الحسين)**: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الرحلة الورثلانية"، تحقيق محمد بن شنب، (مطبعة بيرفونتانا الشرقية، (الجزائر 1326هـ 1908م).

- بلحميسي (مولاي): "الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني"، الطبعة الثانية (الجزائر 1981).

- بوعزيز(يحيى): "وهران مدينة تاريخية"، (وحدة رغاية 1985).

- بوعزيز(يحيى): "علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا (1500-1830)"، (الجزائر، بدون تاريخ).

- التميمي(عبد الجليل): "بحوث وثائق في التاريخ المغربي" (الجزائر، تونس، ليبيا، 1816-1871) الطبعة الثانية منقحة ومزيدة (.....1985).

-الجيلالي(عبد الرحمن): "تاريخ الجزائر العام"، ج4، الطبعة الرابعة (بيروت 1400هـ 1980م).

-الحلاق (حسان): "مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق"، دار النهضة العربية (بيروت 1406هـ/ 1986م).

- حماش (خليفة إبراهيم): "العلاقات بين إيالة والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830"، رسالة ماجستير تاريخ وأثار (القاهرة 1408هـ/ 1988م).

- الزبيري (محمد العربي):"مذكرات حمدان خوجة وبوضربة وأحمد باي".

- سعد الله (أبو القاسم): "تاريـخ الجـزائر الثقافي"، من القرن العاشر إلى الرابع عشر هـ (16-20م) ح2، بدون طبعة، (الجزائر 1401هـ/1981م).

- سعد الله (أبو القاسم): "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، ج2 طبعة أولى، دار الغرب الإسلامي (بيروت لبنان 1990).

- سعد الله (أبو القاسم): "تاريخ الجزائر الحديث"، بداية الاحتلال، الطبعة الثالثة (الجزائر 1982).

- سعد الله (أبو القاسم): "قضايا شائكة" دار الغرب الإسلامي (بيروت لبنان)، بدون تاريخ.

- سعد الله (أبو القاسم): "المفتي الجزائري بن العنابي رائد التجديد الإسلامي 1775-1850" (الجزائر، بدون تاريخ).

- سعد الله (أبو القاسم): "الحركة الوطنية الجزء II (1900-1930) الطبعة الثالثة" (الجزائر، 1983).

- سعيدوني (ناصر الدين): "من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، (بيروت لبنان، 1999).

- سعيدوني (ناصر الدين): "دراسات وأبحاث في تارخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء الثاني"، (الجزائر، 1988).

- سعيدوني (ناصر الدين): "النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)"، الطبعة الثانية، (الجزائر، 1985).

- شويتام أرزقي: "نهاية الحكم العثماني في الجزائر، وعوامل انهياره 1800-1830"، رسالة ماجستير، (مصر، 1988).

- الشيال (إبراهيم): "التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن 19".

- عبد القادر (نور الدين): "صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي"، كلية الآداب الجزائرية (مطبعة البعث، قسنطينة، 1965).

- **عميراوي (حميدة)**: "دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)"، رسالة ماجستير، (قسنطينة، 1983) (مطبوعة) ط1 بقسنطينة بتاريخ 1407هـ-1987م.

- **قنان (جمـال)**: "نصوص ووثـائق في تاريخ الجـزائر الحـديث (1500-1830)"، (السداسي الأول، الجزائر، 1987).

- **قنان (جمـال)**: "معـاهدات الجـزائر مع فرنسا (1619-1830)"، (الجزائر، 1987).

- **لوسات فلنزي**: "المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1790-1830)"، نقله إلى العربية حمادى الساحلي (تونس، نوفمبر 1994).

- **المدني (أحمد توفيق)**: "حرب الثلاثمائة سنة بين الجـزائر وإسبانيا (1492-1792)"، وثائق ودراسات (الجزائر، بدون تاريخ).

- **المدني (أحمد توفيق)**: "محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791) حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده" (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986).

- **مقيبس (بشير)**: "مـدينة وهـران دراسة في جغرافية العمـران"، (الجزائر، 1983).

- التميمي (عبد الجليل): "حمدان بن عثمان خوجة"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 25-26 جوان 1982.

- الميلي (محمد): "نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، عدد 16، (1973).

- تورين (إيفون): "حول جنسية التاريخ"، مجـلة الأصالة، عدد 14، 15 (ربيع II جمادى I، جمادى II رجب 1393هـ/مابين جوان- جويلية- أوت 1973 مطبعة البعث الجزائر).

- تورين (إيفون): "المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (1830-1880)"، مجلة الأصالة، عدد 06 جانفي (1972).

- حماش (خليفة): "الجزائر والحرب اليونانية-العثمانية 1821-1827" المجلة التاريخية-المغربية، عدد 56-66-أوت (1992).

- زوزو (عبد الحميد): "حمدان خوجة، ومنهجه في كتابة التاريخ" مجلة الأصالة، العدد 04 السنة الأولى (الجزائر شعبان 1391هـ/أكتوبر 1971) (ص 86-98).

- سعد الله (أبو القاسم): "مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي، أبو راس الناصري"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب العدد 12، ديسمبر (1971).

- سعد الله (أبو القاسم): "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة عدد 14-15 سنة (1973).

- سعد الله (أبو القاسم): "مـدارس الثقافة العـربية فـي المغـرب العـربي (1830-1954)"، دراسة مركزة على الجزائر، مجلة البحوث والدراسات العربية، عدد 02 سنة (1971).

- سعد الله (أبو القاسم): "عن النشاط العسكري والتجاري للجزائريين في القرن الثامن عشر (12هـ)"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 33-34 جوان (1984).

- ابن أبي شنب (سعد الدين): "النهضة العربية في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"، مجلة كلية الآداب العدد الأول (1964) (ص ص 33-63).

- آجيرون (شارل روبير): "كلمة مقتضبة لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية"، مجلة الأصالة، عدد 15/14 (1973).

- باتزاك (دانيال): "التجار العثمانيون والحركة الملاحية في نهاية القرن 18"، المجلة التاريخية-المغربية عدد 47-48 ديسمبر 1987.

- بلحميسي (مولاي): "صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية-الإسبانية معاهدة 1786 بين الجزائر وإسبانيا، سبب إبرامها، مضمونها نتائجها"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 11، الجزائر (جوان، 1974) (ص 5-22).

- بلحميسي (مولاي): "المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العهد العثماني"، مجلة الأصالة، العدد 14-15 (ربيع 2 جمادى الأولى، جمادى الثانية رجب 1393هـ/ماي، جوان، جويلية، أوت 1973، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر) (ص ص 71-80).

- بوعزيز (يحيى): "ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية"، مجلة الثقافة السنة التاسعة، العدد 52، مطبعة البعث، (الجزائر، شعبان، رمضان 1399هـ يوليو، أغسطس 1979) (ص ص 29-57).

- البوعبدلي (المهدي): "موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، العدد 14، 15 (1973).

- بونار (رابح): "التعريف بتراثنا المخطوط"، مجلة الأصالة، عدد 06، جانفي (1972).

- التلمساني (محمد بن محمد): " الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين

أغار تعليها جنود الكفرة"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، رقم 03 جويلية 1967 (ص ص 2-32).

- سعيدوني (ناصر الدين): "حصن المرسى الكبير"، مقال غير مطبوع وغير منشور.

- سعيدوني (ناصر الدين): "الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، مجلة الثقافة، السنة الثامنة العدد 45 (الجزائر جمادى الثانية، رجب 1348هـ يونيو 1978) ص ص (25-45).

- سعيدوني (ناصر الدين): "المعاهدة الجزائرية-الإسبانية 1791"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، معهد التاريخ (جامعة الجزائر 1414هـ/1993) (ص ص 71-93).

- سي يوسف (محمد): "دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصري"، مجلة الدراسات التريخية، العدد 2 السنة (1406هـ 1986) (ص ص 134-155).

- الغالي (العربي): "ثورة ابن شريف الدرقاوي ضد الأتراك في القرن التاسع عشر"، مجلة الأصالة، عدد 23-24 (1986).

- غانم (محمد): "التاريخ والمؤرخون في الجزائر خلال القرن الثامن عشر"، جريدة السلام، الجزء الأول، عدد 238 (الأربعاء 1991/07/14) ص 2 ج 2 عدد 239 (الخميس 15 أوت 1991).

- فركوس (صالح): "الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة الثقافة، العدد 71، سنة 12 (الجزائر سبتمبر/ أكتوبر 1982) (ص ص 15-29).

- قوقام(يوسف): "الشيخ الحسين الورثلاني من خلال كتاب الرحلة"، مجلة الثقافة، عدد 35 (الجزائر 1976 ص ص 27-34).

المصادر والمـــراجع الأجـــنبية

المصـــادر

-DEVOUX (A.) ; Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'Administration de l'ancienne régence d'Alger (Imprimerie du Gouvernement Alger 1853).

-EL KORSO (Med); De EPALZA (M.) ; Oran et l'ouest Algérien au 18éme siécle d'après le rapport ARAMBURU (Alger 1978).

-GRAMMONT (H.D.DE) ; Histoire d'Alger sous la domination Turque (1830-1915)(Paris 1887).

-PARADIS(Venture) ; Alger au 18éme siécle 2éme édition (Tunis sans date).

-PELLISSIER (E.) ; Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1841, Mémoire Historique et Géographique sur l'Algérie (VI Paris).

المراجع باللغة الفرنسية

-ABDESSELAM (Ahmed) Les historiens tunisiens de XVII, XVIII et XIX éme siécle (Paris 1973).

-FEY (HL) ; Histoire d'Oran, avant et après la domination Espagnole. (Oran 1858)

-LESPES (R.) ; Oran Etude de géographie et d'histoire urbaine, Paris collection du centenaire de l'Algérie 1830/1930)(Alger, 1983).

-ROUSSEAU (A.); Chroniques de la régence d'Alger, Trad. D'un manuscrit arabe intituié EL-ZAHRAT EL-NAYERAT (Alger, 1841, 214 P).

-ANONYME ; Un historien arabe d'Alger au XVIIIéme siécle in R.H.C.F. 1éme année, Tome XV, (Paris 1er semestre 1923)(P P 318-324). (PP271-286)(PP 460-473)

-BASSET (R.) ; Mélange, Rapport sur l'activité scientifique de la France en Algérie dans l'Afrique du Nord depuis 1830 J.A Vol .15 (Paris 1929)(PP95-96).

-BENCHENEB (Med) ; Revue des ouvrages Arabes édités ou publiés par les musulmans en 1322-1323 Hedjiré et (1904-1905 R.A) (PP261-96).

-BERBRUGGERG (A.) ; Reprise d'Oran par les espagnoles en 1732, R.A tome 8 (Alger 1864) (PP12-28).

-BERBRUGGERG (A.) ; Rapport sur la société historique Algérienne, R.A 1856-1857.

-BIGUET (F.) ; Notice sur le Cheikh Med Abou Rase Ennasri de Mascara R.A série 9, tome 14 (Paris Sept/Oct/Nov 1899)(PP304-351)(PP388/20).

-BODIN (M.) ; L'Agrément du lecteur, notice historique sur les arabes soumises aux espagnoles pendant leur occupation d'Oran, par Si-Abdelkader LMECHEREFI R.A ; Vol.65 (Alger 1924)(PP 193-220).

-CASENAVE (J.) ; Les Sources de l'histoire d'Oran, in B.S.G.A.O., Tome 54, Oran 1933)(PP307-379).

-CASENAVE (J.) ; Pages d'histoire Algérienne, une féte à Oran au 1772 , in A.L ; tome 1, Constantine (Alger 1923)(PP 151-164).

-CASENAVE (J.) ; Le Tremblement de terre en 1799 et ses conséquences politiques, in A.L.(Alger 1923)(PP243-262).

-CHENTOUF (Tayeb) ; Deux tentatives économiques du Bey Med EL-KEBIR la fin du 18 éme siècle en Algérie in C.T., Tome XXIX Tunis 1981.

-DEMEGHT (L.) : Monuments commémoratifs de la reprise d'Oran par les espagnoles en 1732, in B.S.A.O , tome 13 Oran 1893 (PP176-180).

-DELPECH (AD.) ; résumé historique sur le soulèvement des Darkouas de

la rovince d'Oran d'après chronique d'El-mousselem Ben-Med Bech- aftar u Bey Hassan de 1800 à 1813, in R.A. 1847(PP 38-48).

-DESPREZ (Charles) ; Les ouvroirs musulmans, Alger publiés par les courriers de l'alger 1836, Article n°4.

-EMERIT (M) : les mémoires d'Ahmed dernier Bey de constantine, in RA N° 93-94 (1949)(pp65-125).

-GABRIEL (Esquer) : Histoire et historiens de l'Alger, in Collection du centenaire de l'Algérie (1931)(PP 381-424).

-GORUOS ; BOURAS Historien inédit de l'Afrique septentrionale, in RA Tome 5, (Alger 1861)(PP 114-124)(PP 210-222)(PP376-385).

-GORUOS ; Expédition de Mohamed El-KEBIR de Mascara dans les contrées du sud (Trad) in, RA. Tome III, PP 51-185. et 286 et Tome IV P347.

-HOUDAS (O.) ; Notice sur un document arabe inédit, R.M.O. publié à l'occation du XIVéme siècle congrès international des orientalistes réunis Alger Avril 1905, imprimerie nationale (Paris)(PP41-23).

-LAHOUEL (Badra) ; Politiques Coloniales, identité nationale et supranationale en Algérie 1830-1937, in R.H.M. n° 49-50 (Juin 1988).

-MERCIER (E.) ; La propriété indigène en Maghreb selon l'ouvrage dit : La règle des princes et des princes et Khalifes, fixant l'étendue de leurs pouvoirs légaux de ed Mustapha Ben-Abdellah, in R.N.M.D.C. Vol. 14éme, Série 32éme, ol. De la collection (Alger 1898)(Paris 1899)(PP 312-340).

-PESTEMALDJOGLOU ; Mersa El-Kebir historique et description de la forteresse, in RA.,(Alger 1940)(PP 154-185).

-VALLEJO(D.) ; Contribution de l'histoire du vieil Oran, mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de Marsa El-Kebir, traduit et anoté par Jean CASENAVE, in RA. n°26 (Alger 1925)(PP 323-368).

الملاحق

الملحق رقم 01 : خريطة الغرب الجزائري في القرن الثامن عشر.



الملحق 02 : منظر لمدينة وهران من خلال نقيشة إسبانية لعام 1732 .



1- حصن سان فليب .

2- حصن سان أند ري .

3- برج مادريغال .

4- القصر الأحمر .

5- باب كناستيل .

6- حي الموريسكيين .

7- حصن الجبل .

8- حصن سانت كروز

9- كنيسة القديسة ماريا .

10- دير لاميرثيدا .

11- دير القديس دومينقو .

12- دير القديس فرانسيسكو .

13- حديقة وهران .

14- الطاحونة .

15- السدود .

16- مستودع القوارب .

17- دير القديسة كارمين

18- حصن القديس قريقوريو .

19- باب المرسى الكبير

20- حصن المرسى الكبير .

21- برج المراقبة .

22- جبل سانتون .

23- باب مايوركا .

24- القصبة .

25- باب تلمسان .

26- الواد .

27- طريق حصن سانت كروز .

أنظر :

Lespès; OP.CIT, planche I . P 32, bis .

ملحق رقم 03 : رسالة الباي محمد إلى الداي حسن يشير فيها عليه بأخذ البلاد من الإسبانيين بدلا من المال .

يا سيدي ومولاي إقبل البلاد للمسلمين وإن أردت مالا دفعت لك من عندي ماتحب ، لأن في مضرة بقاء هذا البلد بيد الكفار مالايقوم به نفع ما يؤخذ منهم من مال .

ابن سحنون : المصدر السابق ، ص 309 .

الملحق رقم 04 : رسالة الداي محمد إلى الباي محمد الكبير يأذن له فيها بالحصار.

انّا فرحنا بما بشّرتنا به من هدّ كورة الكفرة عليهم، وارجاف الزلزلة بهم، اشدّ الفرح، وقد اتّسع الصدر بذلك وانشرح، وشمّر ساعد الجدّ لان تبشّرنا ببشارة اخرى، الله يرزقك عليهم ظهورًا ونصرًا، وما شاورتنا عليه من ارادتك الصدمة على الكفرة، اللئام الفجرة، فامر ذلك اليك، ونظرك اوسع فيما لديك، واحتفظ بنفسك ان تدخل مهيع اللقا، وتخاطر بنفسك عند النزال والالتقا، فانّا نناشدك الله في نفسك، ونريد بقاءك لنستمدّ من انوار قبسك، واحتفظ بالمسلمين ان تلقيهم في مهيع الردا، وتدبر في يومك ما يصبح غداه

Houdas ; OP.CIT , p50 .

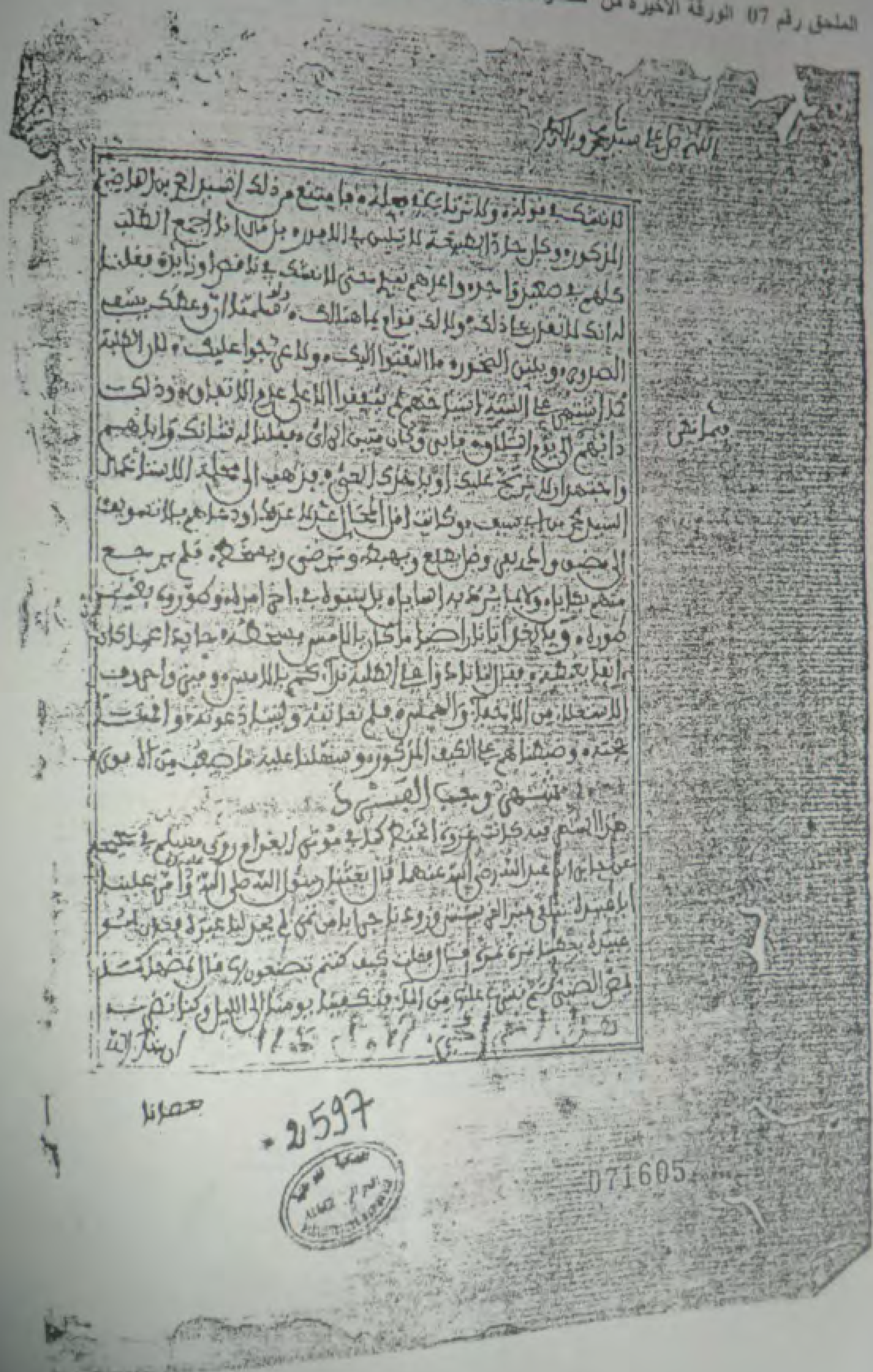
الملحق رقم 05 : رسالة الداي حسن إلى الباي محمد الكبير يعلمه فيها بشروط الصلح مع الإسبانيين في 16 محرم سنة 1206 هـ .

ان النصارى شتّت الله شملهم وبدّد قولهم وفعلهم قد اجابوك لما طلبت ووافقوك على ما رغبت وهاهم سلّموا لك في مدينتيّ وهران والمرسى على ان تنفس عنهم في وهران اربعة اشهر وستّة اشهر في المرسى لاجل حمل اثقالهم واهلهم واموالهم التي استجدّوها بعد دخول وهران تحت ايديهم وامّا الات الحرب التي وجدوها بوهران حين سلبوها من ايدي الترك في غابر الزمان فلا ياخذون منها شيئًا ولا يرتفقون منها ظِلًّا ولافيئًا وقد اجبناهم لذلك ووافقناهم على ما هنالك كما اجبناهم [illegible] اسارى ممّا بايدينا من [illegible] النصارى وترى بعض اساريهم عندك فلا بدّ ان تسرّحهم في جاهنا وعملًا بخواطرنا وتراهم طلبوا منّا ان نخصّهم بالتجارة في مرساهم المذكورة [illegible] تاجر غيرهم الا باذنهم وان نتركهم ينفتون من ارضنا سبعة آلاف صاع من الحبّ كلّ سنة بسعرنا فاجبناهم لذلك على ان يردّوا لنا كلّ سنة اثنى عشر الف ريال كبيرة جزية صلحية ولذلك وافقناهم في مطالبهم المذكورة وتراهم ايضا يطلبون منك ان تنفّس عنهم في الحصار و تؤخّر جيوشك المرابطين عندهم في الليل والنهار فلا بدّ ان ترفق بهم في ذلك وتساعدهم على ما هنالك حتّى ينقضي اجلهم وينقطع املهم والسلام عليك

Houdas ; Ibid , pp 79 , 80 .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الذي طلع في سماء المجد أهلة الجلالة، وجلى بنور هداه
الضلالة فأشرق فيه الهلالة، وعم بشعاع ومبصا الأنوار والأنداء
مهدي لسبيل رشده الحاضر والباد، وحلى عاطل جيد الأفق بطوالع الأ
سعادة، ومشارق الأنوار فأجلى عموم الكمالة، وأدارت بشائره
تفاريج في شواسع الهلالة، وفواصل الحكمة بالسعد بركاته، ونال حكم
من الإستبشار بها الجابد والجاه، ونادى جا بطلائع من [illegible] التسليم
والملاة، وحاز في ميادين فهم جهابذ من أقلام البلاغة بأنواع المز
الة، ونمت في رياض أزاهير السنة على من تصدى لرمي العدالة
ونمت بأسرار طيبة السنة المنابر في المواسم والأعياد، وعنت تسعيد
المشكور المأثم في سعادات البهجة، أحمده الحمد الذي يوافي أوان
بعيد الجدالة، وأشكره شكرا يأتي بجزاء من منه الجزيلة
الغزالة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعلم من
صميم الاعتقاد، وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده
ورسوله سني الفضائل وصفوة العباد المخاطب في القرآن بقوله تعالى
تفكر ابها الجبار صيبك يعني الجهالة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
بدوام الإدامة لا بزمنه، وفهم بعنايته الكبرى ربك أولي النهى
والفناء مدة [illegible] والعادة وتمثيل من أراد [illegible]
بسلم النجاح والفلاح، وبعد فإن أولى ما اقتبس من الجواهر


اللهم صل على سيدنا محمد وآله [illegible]

المذكور وكل [illegible] لا [illegible] في الامور بل مال انا اجمع الطلب
كلهم في صغير وكبير واعرضهم [illegible]
[illegible]
الصدر [illegible]
[illegible]

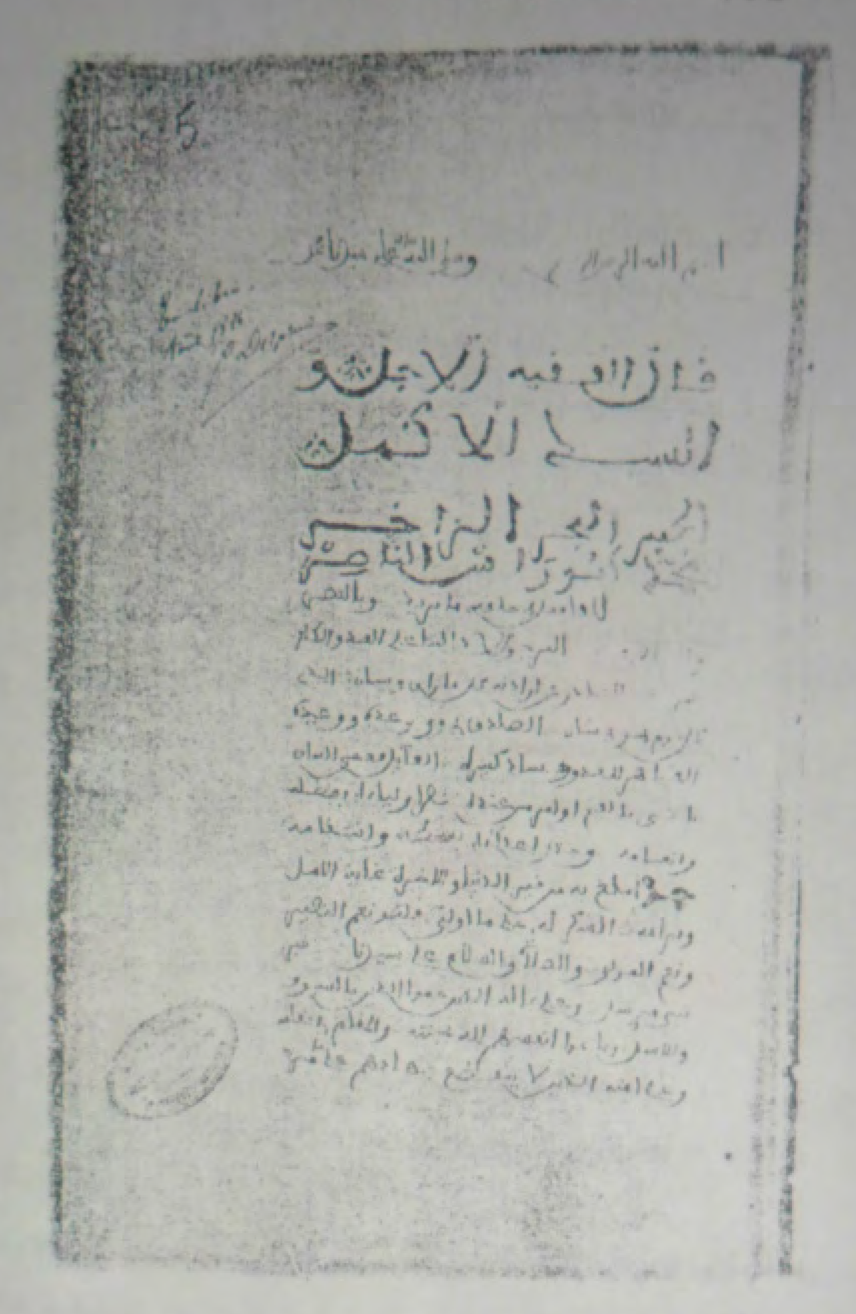
تتمة ووجب [illegible]

هذا [illegible] كذا في موطأ [illegible] روى مسلم في صحيحه
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمّر علينا
ابا عبيدة نتلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان ابو
عبيدة يعطينا تمرة تمرة قال فقلت كيف كنتم تصنعون بها قال نمصها كما
يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب

2597

D71605

الملحق رقم 08 : الصفحة الأولى من الحلل السندسية .



[illegible] تجلى به همي وزال كرب .

[illegible] بهز المصطفى المختار من آل هاشم . رسول البرايا خير أولاد آدم .

[illegible] يشفع الرزق الفادح بشرى الملاحم . أتانا بسيف للضلالة حاسم .

[illegible] تزول به يعسوب لمعقود الريب .

نبي جليل المكرمات منيرها . جميل المزايا والخصال شهيرها

كريم المعالي والفعال سديدها . أتانا بآيات جل عن عديدها

[illegible] وعليا وضاء النور منها على الشهب .

[illegible] الأولى [illegible] لها موقف [illegible] سعادة

[illegible] البدر [illegible] أما ورد يوم الحرب [illegible] .

[illegible] مر العرب .

أما [illegible] وخليد [illegible] ، أما [illegible] .

أما [illegible] مشركا ، أما [illegible] والجحيم [illegible]

[illegible] والذنب .

[illegible] فانشقت مواهب عظيم .

[illegible] وسبحت الحصباء في وسط كفه .

[illegible] أجاب له الأشجار تسعى على الترب .

[illegible] الرسول [illegible] . ومن [illegible] مؤكدا .

[illegible] بالرسالة يشهد . ومن كعبه للغوث [illegible] .

[illegible] جميع [illegible] عذب .

[illegible] عليه [illegible] وأرسل بالآيات للخلق معلما .

[illegible] ختم الرسل [illegible] وأسرى به الرحمن ليلا إلى السما .

[illegible] فأمت بلا [illegible] .

[illegible] من شرح نعيسة [illegible] ونجي نفس وهران كاتب للنصر

بالدم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ العالم الفقيه الحبر النزيه النبيه محمد أبو راس ابن أحمد بن عبد القادر رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي راض لنا البيان والأدب حتى انقاد لألسنتنا، وشاد منار اجتنائنا، وذلل لنا من البلاغة جامحها، وأوضح لنا من مشكلاته ما استصعب مسلكه، وطاب لنا الكلام عند ما تجنب منه ما ديناه، وسما بنا نصب الغرض إذا رميناه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اصطفاه الله على سائر الخلق واجتباه، وعلى آله وأصحابه صفوة الله من خليقته أهل عنايته ورجاله. أما بعد فإن مجال البحث في علم التاريخ من تقدم شأن الأدباء، لا يأخذ منه إلا بصيرته وفراسته من أهل كل صنعة، وجهابذة كل ملة من علماء السلف، وسراة الخلق في كل عصر عصابة هم أهل الإصابة في العلم، وأجادوا وصنفوا وأجادوا، وبلغوا من الفخار قاصيتها، وملكوا من المحاسن ناصيتها، جزاهم الله رضوانه، وأحلهم من رياض الفردوس جنانه. وكان أعلم الناس في الإسلام بعد نبينا عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق وابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومن التابعين ابن سيرين والزهري وأمثالهم، وممن بعدهم الأصمعي وأبو عبيدة والرقاشي والشيباني وأمثالهم، واشتغل بتدوينه كثير من العلماء الجامعين للأول والآخر كالحافظ أبي نعيم صاحب حلية الأولياء، وهو أحمد بن عبد الله بن إسحاق المهري

لنا الباي سيدي محمد بن عثمان ادام الله سعادته واشاد سيادته وختم لنا وله
بالاحسان والحسنى ووهبنا واياه في الفردوس الى المرتبة الاسنى واذاق كل
راغب وكاتب امثال شيوخه الذي كلام عليها كان مع الجواب [illegible]
العلامة ابن الجوزي في كاتب علماء بغداد اهل عصره حيث يقول

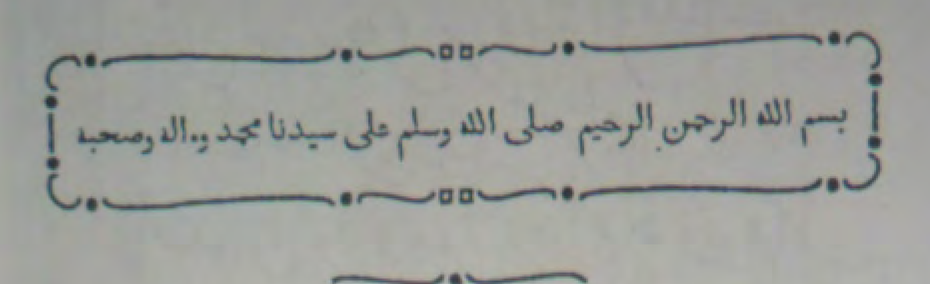
عذيري من فتية بالعراق . قلوبهم بالجفا قلب
يرون العجيب كلام الغريب . وقول القريب فلا يعجب
ميازيبهم ان تندت بخير . الى غير جيرانهم تقلب

وقلت في المعنى

يغضون اهل العلوم من [illegible] . وما كان منهم الا عنه قد رغب
وما ذاك الا كونه من بينهم . فان غاب يوما فيكثر [illegible]

فقال ناظم الذخيرة وشارحها بهذا الشرح المبارك محمد ابو راس بن احمد بن عبد
القادر الناصر غفر الله له ولوالديه ولمن [illegible] الجلة وتبيينا [illegible]
وتشييد [illegible] ورزقه [illegible] وجعل [illegible] بين الدواوين ثوابه وذخره
وكتبها [illegible] مشغول [illegible] من العوائق
[illegible] من العوايد مع توزع البال وتشتيت الاحوال وتكاثر الاشغال وتقاطع
الاخوان وقلة [illegible] والحلال [illegible] والمناكر [illegible]
لاكن الله قد جلت حكمته قد وفقنا للاتمام وحقق لنا الفوز بنيل المرام فالشكر
لله ولي الانعام والصلاة على محمد وآله والسلام [illegible]
ثم في اواخر [illegible] سنة ست ومائتين والف انتهى
بحمد الله تعالى وحسن عونه يوم الخميس غرة جمادى الثانية
من سنة الف و[illegible]
اللهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
صلى الله عليه وسلم

الملحق 12 الصفحة الأولى من بهجة الناظر .


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

* قال الشيخ الفقيه الامام * القدوة العلامة الحبر الهمام *
من امره بالله حجبى * أبو المكارم سيدى عبد القادر بن عبد الله ابن
أبي جلال المشرفي * الغريسي رحمه الله ونفعنا به في الدارين *
* امين امين *

الحمد لله وحده حق حمده * والصلاة والسلام التامان على من لانبى بعده * وبعد بهذا التقييد سميته بهجة الناظر * في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبنى عامر * وها انا اشرع في المراد * ومن الله تعلى اسأل الاستمداد * إنه على ما يشاء قدير * وبالاجابة جدير * لا رب غيره * ولا خير الا خيره * اعلم أن دولة الاسبانيين لاشك انهم [illegible] من الروم لا من الفرنج بدليل ان كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتبه لهرقل عظيم الروم وبعثه له مع [illegible] الكلبى يدعوه الى الاسلام هو الان عند ملك طليطلة ونداراة لابن الصايغ النحوى اما وجدة عليه فلاورن سلطان مصر وسموا بالاسبانيين نسبة لاسبانيا بادلع الهمزة المكسورة وهي مدينتهم القديمة * وقاعدة ملكهم القديمة * وقد تلاشت وبقى الاسم لها وأما الان فقاعدة ملكهم مدينة مدريل باللام ويقال انها مدريد بالدال ايضا [illegible] وطليطلة [illegible] بارض

الحمد لله

هذا ما كتبه قدور بن رويلة الى فقهاء
المسلمين الفرنسيين بالجزائر فاقروه
وافهموه وارجعوا لدين ادم جدكم ولا
فتوبوا وارجعوا لدينه فضلى
واخرجوا من تحت الظلمة
والسلام

واما ما في حواشيها فكتبه السيد علي
ابن الحفاف كان مفتي المالكيين ثم بالجزائر
ونوه به فيها تعجبا وتوليته هذا الوظيف
بعدما سب اهل الجزائر وافتى فيهم
بالكفر والكفر وتامل فيه فانه
غريب تستدل به على
نقصان عقله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حضرة الفقيه السيد مصطفى بن الكمال يعني الجزائري زمان
استيلاء الكفار عليها ردها الله للإسلام السلام عليكم ورحمة
الله وبعد فإنا تحاببنا في الله اجتمعنا عليه وافترقنا
عليه وبعد فقد بلغك عني ما اساءك توهما منك وبلغني عنك
كذلك أما الذي بلغك عني مصوبا في هذا السؤال والجواب الذي
سماه الونشريسي اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه
النصارى ولم يهاجر وما بلاد شنقيط باهله يعم هربا بجمع وهو
من انك انكرت فيه حالك ووضعك ان نطابقا فقل جزاك الله خيرا واصح
بجوابك وان لم ينطبقا فقد تبرأت عليك وهتكت حرمتك فمستوجب
العقوبة من الله تعالى وانه لن يرضى بكتمه بشيء وبينك وأما الذي
بلغني عنك هو انك عثرت على كتاب بخط الكاتب عبد المعطي بن محمد
وقلت فيه هولا شنيعا ووجدت لي به متنفسا حتى توجه صحك
مصطفى بن المرابط لا كتاب انتصر بدم وما خرج عنه من طوله ما علم
انا لم اكاتب الكاتب مستقلا وانما كاتبته عن اذن ساداتنا اولي

٩

الاسلام وسيدنا الحاج عبد القادر وخلفائه ادام الله
دولتهم واهان على ايديهم اعداءهم وكنت قبل اربع سنين اكتب
العكم الاربع منهن السلطان بالتهنية وتبت وها نكتب الى
عكيم الجنرالات او الكمانظات وهذا الذي يبرك بان كان قبل مضي
الاربع سنين فقد تبت منه وان كان بعدها فليس نخطي فان فما تلي
في الخدمة ثلاثة وكلهم يكتبوا للسلطان وخليفته فلان قد جاء بالغيب
وعلى تسليم ان كتبت هاتين اللفظتين فقابلها بواحد من هذه
العشرة الاولى فابلها من يعظم اعياد النصارى ويبارك
لهم فيه الثانية فابلها من يحضر منكم جنايزهم ويتبع
بغبارهم حتى انه يذهب راجلا ولغير جنايزهم راكبا الثالثة
فابلها من يشيع منكم الجنرال اذا خرج لقتال المسلمين ويدعو
[illegible] فابلها من يتلقى منكم الجنرال اذا رجع من قتال المسلمين
[illegible] تلك الهيئة المخصوصة التي يستعملها
[illegible] الخامسة [illegible] البليغة التي هنأ بها
[illegible] السادسة فابلها
[illegible]
[illegible] والنيل واسبغ
[illegible] وقتاله المسلمين واعتنى بشانهم ورسمت

والعشرة هو الذي اعتنى بشانهم
وكتبه [illegible] الرخا

[illegible]

في الرخامة في دار الجامع الكبير الذي تدعون إليه بركتكم وبيعتكم
على بابه السابعة فابلطا بتصلية البلغة الصغ الرجل ولد الزنا
بباب الجامع الكبير يوم زارهم الثامنة فابلطا باجتماع في
دار وكيل الزنا يوم يولى القاضي والمفتي وأنتم متكيسون إلى أن يحمر
العنبر والمجمرة التي على صورة الزنا التاسعة فابلطا تبتلا
هد تكرا خاكم وموا بفتكم له حين يقول وهو مختار بالله ألا لا إله
إلا هو ما يعصي رايا في أنصة وأنتم في عن كاعته العاشرة
فابلطا بي يكتب من عدولكم ويشهد البصوة والنصارى ء وبعد
فإليكم ياه فابلت كتابي الذي عندي بو احصرتم من حرم ما ليس في سوق
العقوبة هنا ولعلكم ظننتم أن خرجتم من الجزائر أن الله لا نعمه وشرعه
محمد لا تحتاج ولولا قوله صلى الله عليه وسلم تسليما أن الله ليسأل عن عمل
ساعة وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن مرآة أخيه ما كتبت لكم
حرفا وبه هذا السؤال والجواب فما يصح لكم بخلافكم الواقعة لكم في
الدين بل في دعائه بأسمائه الحسنى والسلام يشدكم وهو هذا به
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم
أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر
وكتبه الفقيه أبو عبد الله بن قطية أدام الله سموه ورفعته

بانصه الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله جوابكم يا
سيدي رضي الله عنكم ومتع المسلمين بحياتكم في نازلة وهي رجل
من اهل مرسية معروف بالفضل والدين تخلف عن الهجرة مع اهل بلده ليبحث
عن اخ له بقي فيما فتح العدو من دار الحرب فيبحث عنه الى ان مل
بحثه وايس منه واراد ان يهاجر بعد ذلك ثم بدا له انه لسان
وعون للمسلمين الذميين حيث سكنا، ومن جاورهم ايضا من
مسلمي غرناطة الاندلس يتكلم عنهم مع حكام النصارى فيما يعن في
لهم معهم من نوائب الدهر ويخاصم عنهم ويخلص كثيرا من الظلامات
عظيمة بحيث انه يعجز عن تعاطي ذلك عنهم اكثرهم بل اقل ما يجد من
مثله في ذلك ان هاجر وبحيث انهم يلحقهم في بقيه في الكليم
بعدو من يرخص له في الاقامة معهم تحت الملة الكافرة لما في
اقامته هناك من المصلحة لهؤلاء المسلمين الذميين مع انه قادر على
الهجرة متى شاء ولا يرخص له اذا لا رخصة لهم ايضا في اقامتهم هناك
لانهم تجري عليهم احكام الكفر لا سيما وقد سمح لهم في الهجرة مع
انهم قادرون عليها مع اجماع على تعذيرهم لو رخص له في ذلك
فهل يرخص له ايضا في الصلاة في ثيابه حسب استطاعته اذ لا
يخلوا في الغالب عن نجاسة لكثرة مخالطته للنصارى وتفرقه بينهم

مثل الشيخ السيد مصطفى
ابن الحباب وامثاله

مثل مصطفى بن المرابط
ومصطفى المصطول

خصوصا مصطفى بن
المرابط ومصطفى بن
المصطول ومصطفى
بن الحباب يحيى ومصطفى
المغني ومصطفى الحزاز
كلاكم من يقتدى بكم

والمخالطة وتشتد بينهم
الزمان والزمان في
بحسب

وبعد يا رهم في خدمة المسلمين الذميين حسبهما ذكر بقول للحاكم
بعد في ذلك كله ماجور مشكور إن شاء الله تعالى والسلام

ما اجبته بما نصه

الحمد لله وهذا الجواب والله الموفق ان الاهنا الواحد القهار
قد جعل الجزية والصغار في اعناق ملاعين الكفار سلاسلا
واغلالا لا يطيقون بها في الانكار وفي امهات الديار لا امصار الكفار
نعم لا اسلام وشرع النبي المختار من عاون المسلمين انفكاك تلك
السلاسل وهذه الاغلال في عنقه بغير ما اذن الله ورسوله فقد عرض نفسه
الى سخط العزيز الجبار وحقيق ان يكبكبه الله معهم في النار كيف
الله اغلقها انا ورسله افتح عنهم ما الواجب على كل من يومن
بالله واليوم الاخر السعي في حفظ راس مال الايمان البغض والفرار عن
مساكنة اعداء حبيب الرحمن والاعتلاء للامامة العاضل المذكور
[illegible] بعد عن قوم غرض التجهة بين الطاغية واهل ذمته من العصاة
لا يخلو من واجب الهجرة ولا يتوهم معارضة ما سطر في السؤال
من كلام [illegible] الكردية لحكمها الواجب الامتثال وجاهل معكوس من
العلم ليس معه من مدارك الشرع شيئا لان مساكنة الكفار من غير
اهل الذمة والصغار لا تجوز ولا تباح ساعة من نهار لما انتجه من

من سعة مطلع [illegible] الجبار
[illegible]

ومن تسهيلك يا بغية للاكمة
المنبر [illegible] ان تذهب بجلال قدرك بدار الطرابلسي
لا تسمع شهادة ولا يسمعها منكم [illegible]
حتى تخلع [illegible] ذلك لحق [illegible] يسمعها منكم
على [illegible] على [illegible] على معرفتنا
[illegible]

الازدراء بمآثر الإسلام وخاصة العساكر الإفرنجية والفرنسوية طول الأعصار

ومنها أن من الشرع أن تكون كلمة الإسلام وشهادة الحق قائمة

على ظهورها عالية على غيرها منزهة عن الازدراء بها ومن ظهور شعائر

الكفر عليها لأن مساكنتهم تحت الذل والصغار تقتضي ولابد أن تكون

ظاهرة الكلمة الشريفة العالية المنيفة سافلة لا عالية بل

مزدرا بها لا منزهة وحسبك بهذه المخالفة للقواعد

الشرعية والأصول ومن يتحملها ويصبر عليها مع تمكنه من غير

ضرورة ولا إكراه، ومنها أن أعمال الصلاة التي تتلوها الشهادة

الذي هو الفضل والتعظيم والإعلاء والظهور لا يكون ولا يتصور في

إلا بأعمال الصغار والعلو والنزاهة من الازدراء والاحتقار بسبب

مساكنة الكفار وملابسة الفجار تعريضها للإضاعة والازدراء واللهو

واللعب قال الله تعالى وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم

قوم لا يعقلون وحسبك بهذه المخالفة أيضا ومنها إيتاء الزكاة

ولا يخفى على ذي بصيرة ونظر مستبين أن إخراج الزكاة للإمام من أركان

الإسلام وشعائر الأنام وحيث لا إمام فلا إخراج لعدم شرطها ولا زكاة

لفقد مستحقها فهذا ركن من أركان الإسلام انهدم بهذه الموالات

الكفرانية وأما الحج فإنه لم يستطع على المسلمين كإعطائهم أمانهم

الجبس وبيت المال من يستعين بها علينا وجرح ورضاهم بذلك

حيث بقيتم تحت ذمته ولا يخفى ايضا ما بيه من المنافقة للتعبدات

الشرعية كلها ومنها صيام رمضان ولا يخفى انه مرفوع على

الاعيان وزكاة الابدان وهو منشر وط برؤية الهلال ابتداء

وانقضاء وفي اكثر الاحوال انما تثبت الرؤية بالشهادة

والشهادة لا تؤدى الا عند الائمة وخلفائهم وحيث لا امام

ولا خليفة فلا شهادة اذ ما الذي اذ ذاك مشكوك الاول

والاخر في العمل الشرعي ومنها حج البيت والحج وان كان ساقطا عنهم

لعدم الاستطاعة لانه موكولة اليهم والجهاد لاعلاء كلمة الحق

ومحو الكفر من مواضع الاعمال الاسلامية وهو فرض على الكفاية

وعند مسيس الحاجة ولا سيما بمواضع هذه الاقامة المسؤول

عنها وما يجاورها ثم هم اما محورهم بانفسهم على الاطفال والعيال

على تركه من غير ضرورة كالتارك فضلا مختارا واما مقتحمون نقيضه

بمعاونة اوليائهم على المسلمين اما بالنفوس واما بالاموال فيصيرون

حينئذ حزبيين مع المشركين وحسبك بهذا منافضة وضلالة وقد

انضم بهذا التقرير نقض صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وجهادهم واخلالهم

باعلاء كلمة الله وشهادة الحق واهمالهم لاجلالها وتعظيمها

[illegible]

ومن يقل وينقد ولكن معه لا نهي عنه غلبة الوقت
يخشى على نفسه ودينه وصلاحه ونصيحته لرعيته خوف
أن يفتح بهم من الى نفسه واهله واولاده بايديهم عند
فوتهم وظهورهم وتمكنهم ومن ورد عددهم اعتمادا على
وما هم يقصدونه من نعتهم ونحن لا نقبل شهادتهم بالاجابة
اليهم فضلا عن قبولها اما الاجابة الينا وكيف نعتمد على زعم
بالوفاء مع ما وقع من هذا المتوقع ومع ما نشاهده من الوقائع ممن
نكث واستقرار الاخبار في معمور الاقطار ومنها الخوف على
النفس والاهل والولد والمال ايقان شرارهم وسعايتهم وهذا ايضا
تشهد به العادة ويقع بها الوقوع ومنها الخوف من الفتنة
في الدين وهب ان كبار العقلاء منهم يأمنونها من يؤمن الصغار منهم
والسفهاء وضعفة النساء اذا انتدب اليهم دهاقين الاعراب
وشياطينهم ومنها الخوف من الفتنة على الابضاع والفروج
ومتى ما من زوجة اسبية او مربية وضيئة ان يعثر عليها ومنهم
اعاديها من كلاب الاعلاج وخنازير النصارى فيعبثوا بنفسها ويفتنوها في
دينها ويستولي عليها بنكاح ويحال بينها وبين وليها بالارتداد
والفتنة في الدين كما عرض لابنة المعتمد بن عباد ومن لها من الاولاد

اعادنا

6

اعاذنا الله من البلاء ومن شماتة الاعداء ومنها الخروج من
شريعة نبيئهم ولسانهم ولباسهم وعوائدهم المرعية الى
العجميين معا بطول السنين كما عرض لاهل الملة وغيرهم وبفقد
اللسان العربي جملة واذا فقد اللسان العربي جملة فقدت متعبداته
وناهيك من فوات المتعبدات اللفظية مع كثرتها وكثرة فضائلها
ومنها الخروج من التسلط على المال باحداث الوظائف الثقيلة والمغارم
المجحفة المؤدية الى استغراق المال واماطة الخراج الكسروية
في ذمة واحدة في صورة ضرورية وفايدة اوهاديم واما استناد
الى البعض من الغدر والتاويل للاستطاع واجتثاثهم فيه ولا انفاق فيهم
[illegible] من الضعفاء وضوء [illegible] والفساد فلا يعقد
[illegible] بتحريك دواعي الجهد ونقض العهد
[illegible] على [illegible] والاهل والولد وهذا يشهد الوضوع [illegible]
[illegible] موضع النازلة المسئول عنها ومع غيره
[illegible] بعض [illegible] الواقعة والموبقة [illegible]
[illegible] اكثر المترتبة من الاقامة من جهات [illegible]
[illegible] مؤدية الى معنى واحد [illegible] حكم هذا الفصل الى [illegible]
[illegible] التحريم مقال امام دار الهجرة مالك رضي الله عنه

[illegible]

[illegible]

ايها الشيخ تفضلوا بان كل مسلم ينبغي ان يخرج من البلاد التي تغير
فيها الشرع ويحل فيها بغير ما انزل الله فضلا عن الخروج والفرار من
بلاد الكفر وبقاع الفجور ومعاداة الاسلام وتركن لاهل التثليث ان
... توجههم وترضى بالمقام بين اظهر الانجاس اهل رجاس وهي
تعظيمه وتجيبهم فلا فسحة للعاقل المذكور في اقامته بالوضع المذكور
للعوض المذكور ولا رخصة له ولا لاصحابه فيها تجنيب ثيابهم
وابدانهم من النجاسات والاخباث اذ العفو عنه مشروط
بعسر التوقي والتحرز ولا عسر مع اختيارهم للاقامة والعمل
على عدم استقامته والله تعالى اعلم وبه التوفيق وكتب
مسلما على من يقف عليه من اهل لا اله الا الله محمد رسول الله
العبد مستغفر بعفو الراغب في بركة من يقف عليه ويلقى اليه
عبيد ربه ... عيسى بن محمد ... على الونشريسي ... وفقه
الله تعالى الشيخ محمد الله تعالى وحسن عونه امين

رسالة حمدان خوجة الى اللجنة ((الافريقية))

نص الرسالة

باريس في 26 أكتوبر 1833

أيها السادة :

كصديق للانسانية وجزائري فان لدى معرفة عميقة بالمشكل الجزائري ، وبما حول موضوعه ، وبسبب الحرب وبالوضع الحقيقي للبلاد قبل وبعد الاحتلال الفرنسي .

وبعد أن تنقلت في أوربا ، وقدرت فضيلة الدول المتحضرة الحرة ، وفائدة الصحافة ، وبعد أن أعجبت بمبادئ الكرم والانسانية التي تشكل ملامح الانسان الفرنسي ، فانني لا أخشى أن أنبه فرنسا الى مصالحها الحيوية ، ففي المدخل التاريخي (المرآة) ، الذي يوضح اليوم أمام الرأي العام ، شرحت الوضع الحقيقي في الجزائر ، وإني سأعبر نفسي أسعد انسان اذا كانت الأمة (الفرنسية) العظيمة ، التي أخاطبها بثقة كبيرة ، ستنظر بحب وعطف الى مواطني المنكوبين .

اذا كان مايجري في الجزائر منذ ثلاث سنوات سيستمر ، فان الشرف الفرنسي سيكون في خطر ، وربما لذلك بعثت حكومة جلالة ملك الفرنسيين (لويس فيليب) لجنة تتكون من رجال شرفاء ليختبروا عن قرب الحالة معاينة . ان الانسان لينتظر من هذه اللجنة انتصار العدل والانسانية .

اذن ، فانني أجرؤ على ارسال نسخة من عملي (المرآة) و(المذكرة) الى هذه اللجنة لاادعا للتأثير على تقاريرها وأعمالها ولكن لأنني مقتنع تماما بأن ملاحظاتي حول الأخطاء التي أرتكبت في الجزائر قد تساعد اللجنة على رأب الصدع ، وخصوصا على تعرف الحقيقة .

انه من المؤلم أن نقول ، بل أكثر ايلاما أن نفكر بأن الادارة الفرنسية قد وقعت ثقلها كحمل من الرصاص ، على هذه البلاد (الجزائر) فماذا كانت النتيجة ؟ ان حاجزا لا يمكن اجتيازه قد أقيم في الجزائر بين الشعبين الذين لا يمكن أن يتكلما بنفس اللغة ولا يعتنقا نفس الدين ، ولا يلبسا نفس الثياب ولا يمارسا نفس طريقة الحياة ، ولا يمكن لهم استرجاع الروح التي لم تزدها سنوات الدماء الا صلابة وتوهجا .

كل شيئ يحدثني بأن اعضاء هذه اللجنة ، ونظرا لما اتخذوه من الوسائل لازالة الحمل عن مواطنينا المنكوبين ، متشبعون بعواطف الانصاف والانسانية ، والعدل الذي الصحيح ، كل شيئ يحدثني ايضا بأن لهم قلوبا فرنسية ، وأن شرفهم الوطني هو في مكان الصدارة لأفعالهم . ان هؤلاء الأشخاص المعروفين بمشاعرهم (الانسانية) قد لفت بعطفي ، وليس لأصحاب الصالونات الذين لا يشعرون بشيئ والذين ليسوا تقريبا دائما قادرين على استيعاب أي شيئ .

.../... (1)

(2)..

الي حين أفكر بأن اليونانيين مدينون باستقلالهم الى الفرنسيين وأن البلجيكيين مدينون بحريتهم اليهم . وأن كل الشعوب الفخورة والمنكوبة قد وجدت دائما منهم أعظم عاطفة كريمة ، فاني أهنئ نفسي على الخطوة الشريفة التي خطوتها. لا ، (أيها السادة) ، ان الجزائريين لا يستحقون أن يرمى بهم خارج المجموعة (العالمية انهم جزء من العائلة الانسانية :. وان الدم الذي يجري في عروقهم، أيها السادة له نفس الحرارة التي في دمكم .

فهل ستشفقون على حالتهم؟ ليس هناك أي حل سوى تغيير الوضع لاستعادة النظام ميلاد ثقة جديدة في الجزائر ، ان مساعدتكم المتنورة قد أصبحت ضرورية، وأن الجزائ واضعون كل ثقتهم فيكم .

لذلك أرجو أن تحققوا آمالهم التي هي أيضا آمالي[1] (عبارات ختامية) .

المرجع: أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثاني (1900 _ 1930) ، الطبعة الثالثة، الجزائر 1933، ص 447، 448.

1 ـ نقلها جون ايفير ((سي حمدان بن عثمان خوجة)) ، في ر.أ.م ! (1913) من ((أرشيف حكومة الجزائر)) ص61 .

فهـرس الأعـلام

ـ أ ـ

- ابراهيم باشا، مبعوث الباب العالي، 19.
- أحمد الجزائري، كاتب، 17 ، 18.
- أحمد، داي، 30.
- احمد المقري، شاعر، 44.
- ابن الأحرش، قائد ثورة، 16 ، 21.
- أرنو، باحث، 35.
- أرمبورو، حاكم اسباني، 127.
- استرهارزي، جنرال، 29.
- اسماعيل، حاكم المغرب الأقصى، 19 ، 20.
- ابن أقوجيل، شاعر جزائري، 30.
- ألبير ديفوكس، باحث، 8.
- ألفونسو روسو، 41.
- أنطونيو بارسيلو، قائد اسباني، 18.
- أوريلي، قائد حملة اسبانية، 14.
- ايمريت، كاتب، 27 ، 29.

ـ ب ـ

- بوشلاغم، باي، 25.
- بكداش، داي، 95.

- بوتان، جاسوس، 17.
- بودان، باحث، 35 ، 38.
- بورمون، قائد حملة، 17 ، 18 ، 83.
- بوكابوس، باي، 53.
- بومزراق، باي، 83.
- بيجو، جنرال فرنسي، 24 ، 25 ، 27.

ـ ت ـ

- التلمساني، كاتب، 41.

ـ ح ـ

- الحاج أحمد، داي، 30.
- حسين باشا، داي، 15 ، 17 ، 18 ، 21 ، 32 ، 71.
- حسين باي، 59 ، 98.
- حسين بن علي، باي تونس، 20.
- حسين خوجة، مؤلف تونسي، 20.
- حسونة، رجل سياسي، 65.
- الحفناوي، كاتب، 39.
- ابن حمادوش، رحالة، 64.
- حمدان خوجة، رجل سياسي، 65.

ـ خ ـ

- خير الدين، قائد، 41.

ـ د ـ

- دلفان، باحث، 30.

- دي كورسي، قنصل فرنسي بالجزائر، 13.
- دي بارادي، كاتب، 18.
- دوماس، باحث، 26.
- دوفال، قنصل فرنسي، 17.
- ديسبي، كونت، 13.

— ر —

- الراشدي، شاعر، 28.
- الراشدي، مؤرخ، 42.
- عبد الرحمان الأخضري، شاعر، 40.
- ابن رويلة، كاتب، 61 ، 81.

— ز —

- ابن زرفة، مؤرخ، 45 ، 47 ، 71.

— س —

- السجلماسي، شاعر، 69.
- سعد الدين، كاتب، 41.
- سولت، مارشال، 84.
- السيوطي، عالم، 75 ، 79.

— ش —

- شارل العاشر، مالك فرنسا، 17.
- الشريف الدرقاوي، قائد ثورة، 49.
- شعبان، داي، 19 ، 20 ، 30.

- ابن أبي شنب، كاتب، 40.

ـ ص ـ

- صالح باي الشرق، 21 ، 22 ، 26.

ـ ط ـ

- الطاهر بن حواء، قائد، 59.

ـ ع ـ

- عبد القادر، الأمير، 22 ، 23 ، 36.
- ابن عبد القادر، مؤرخ، 45 ، 58.
- عبد الكريم، مؤرخ، 38 ، 49.
- عبد الملك، بن مولاي اسماعيل، 20.
- عثمان، باي، 22 ، 42.
- عروج، قائد، 41.
- علي البكاي، جد الورثلاني، 39.
- علي شاوش، داي، 19.

ـ ف ـ

- فاليجو، حاكم اسباني، 127.
- فور بيغي، باحث، 35.
- الفيلالي، أحمد، 70.

ـ ك ـ

- كارلوس الثالث، ملك إسبانيا، 13.
- كارلوس الرابع، 14.

- ابن الكبابطي، مفتي، 24، 62.
- كلوزيل، حاكم، 43، 83، 93.

— م —

- ابن مالك، قاضي الجزائر، 37.
- ابن مالك، مفتي، 43.
- مازاريدو، أميرال، 13.
- محمد بن سحنون، والد بن سحنون، 42 ، 73، 97.
- محمد بن عبد الله، ملك المغرب، 14.
- محمد الكبير، باي الغرب، 15 ، 22 ، 26 ، 45 ، 46.
- محمد علي، والي مصر، 17 ، 18.
- محمود الثاني، سلطان عثماني، 17.
- محي الدين، والد الأمير عبد القادر، 22 ، 23.
- المدني، كاتب، 24.
- مراد، باي، 20، 21.
- المرتضى، الزبيدي، مفتي، 51.
- المزاري، آغا، 56.
- المشرفي، ابو حامد، مؤرخ، 36.
- المشرفي، الطاهر، 36 ، 37.
- المشرفي، عبد القادر، 35 ، 51.
- مصطفى، باي، 19.
مصطفى بن المختاري، جد الأمير عبد القادر، 37.
- المغيلي، عالم، 75.

- ابن المفتي، كاتب، 30.
- ميكاييل دو لاريا، قنصل إسباني، 16.

— ن —

- الناصري، مؤرخ 19 ، 30 ، 35 ، 37 ، 48 ، 50.

— هـ —

- ابن هطال، كاتب، 48 ، 97.
- هوداس، باحث، 35 ، 46 ، 47.
- هولاكو، قائد، 103.

— و —

- الورثلاني، رحالة، 29 ، 39.

فهرس القبائل والجماعات

ـ أ ـ

- الأتراك، 18.

ـ ب ـ

- بنو حميد، 69.
- بنو عامر، 37، 69.
- بنو ميزاب، 31.
- بنو يعقوب، 69.

ـ ت ـ

- التجانيين، 126.

ـ ح ـ

- حميان، 69.

ـ د ـ

- درقاوة، فرقة، 21.

ـ ش ـ

- شافع، 21.

ـ ك ـ

- كروشتل، 69.

ـ هـ ـ

- هبرة، 128.

ـ ي ـ

- اليهود، 31، 32.

ـ أ ـ

- أرزيو، مرسى، 92.
- أوربا، قارة، 16.
- أزمير، 32 .
- إسبانيا، دولة، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 57 ، 69.
- الإسكندرونة، ميناء، 32.
- إشبيليا، مدينة، 105.
- الأغواط، مدينة، 49 ، 78.
- آفلو، 78.
- اكس لاشبيل، مدينة، 32.
- الأندلس، مدينة، 36.
- ايفري، منطقة بوهران ، 44 ، 73.

ـ ب ـ

- بجاية ، 39.
- البرج الأحمر، 38 ، 69.
- برج المينا، 15، 69.
- برج المرسى، 38 ، 96.
- برشالونة، مدينة، 16.
- برقة، مدينة، 89.
- بريطانيا، دولة، 16 ، 17.
- بلاد السودان، 13.

- تافيلالت، جنوب المغرب الأقصى ، 39.
- تاجموت، 78.
- تطوان، مرسى، 56.
- تلمسان، حاضرة، 23 ، 26 ، 28 ، 70.
- تونس، دولة، 17 ، 19 ، 23.

— ج —

- جبل طارق، 49.
- جبل عمور، 49.
- جديوية، غابة، 19.
- الجـزائر، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ، 18 ، 19 ، 21 ،20 ، 23 ، 25، 27.

— ح —

- حجر بادس، 14.
- الحراش، 14 ، 15.

— د —

- دلس، 39.

— س —

- السودان، 92.
- سوس، إقليم، 20.
- سيدي فرج، 18.

— ط —

- طاقين، معركة، 61.
- طرابلس، مدينة، 16.

ـ ع ـ

- عنابة، مدينة، 26.
- عين تيموشنت، 59.
- عين ماضي، 49.

ـ ف ـ

- فرطاسة، معركة، 81.
- فرنسا، دولة، 16 ، 17 ، 18 ، 27 ، 32 ، 33.
- فيينا، مؤتمر، 32.

ـ ق ـ

- القالة، مدينة، 32.
- القاهرة، مدينة، 39.
- القرقور، منطقة، 39.
- قرطاجنة، مدينة، 14.
- قرطبة، مدينة، 89.
- القسطنطينة، مدينة، 21 ، 26 ، 28 ، 65.
- قسنطينة، مدينة، 25 ، 28.
- القصبة، مدينة، 83.
- القليعة، 28.
- القيطنة، معهد، 37.

ـ ك ـ

- الكرط، من ضواحي معسكر، 36.

ـ ل ـ

- ليفورنيا، مدينة، 32.

ـ م ـ

- مازونة، مدرسة وحاضرة، 23 ، 26.
- المتيجة، 50.
- المدية، 89.
- المرسى الكبير، ميناء، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 21 ، 32.
- مستغانم، 70.
- معسكر، حاضرة، 23 ، 35 ، 36 ، 43 ، 78.
- المغرب الأقصى، دولة، 19 ، 20.
- ملوية، واد، 20.
- مليانة، مدينة، 28.
- ميونخ، مدينة، 41.

ـ ن ـ

- النمسا، دولة، 17.

ـ و ـ

- وجدة، 20.
- وهران، المدينة، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 26 ، 30 ، 36 ، 69.
- وهران الميناء، 32.

ـ هـ ـ

- الهامل، زاوية، 37.

فهرس المؤلفات

ـ أ ـ

- إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس من الوباء، 66.
- الأزهار الشقيقة، 44.
- أقوال التأسيس فيما وقع وسيقع مع الفرنسيس، 54.
- الإكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء، 46.

ـ ب ـ

- بهجة الناظر، 37.

ـ ح ـ

- الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، 56.

ـ ت ـ

- تعريف الخلف برجال السلف، 39.

ـ ث ـ

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، 43 – 44.

ـ د ـ

- الدرة الشريفة على أصول الطريقة، 37.

ـ ذ ـ

- ذخيرة الأواخر والأول، 59.

ـ ر ـ

- رحلة محمد الكبير، باي الغرب الجزائري إلى الجنوب، 49.

- الزهرة النائرة في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، 41.
- زهرة الشماريخ في علم التاريخ، 53.

ـ س ـ

- السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى، 50- 59.

ـ ش ـ

- شرح العقيقة، 44.

ـ ع ـ

- عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط، 37.
- عقود المحاسن، 43.
- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار.

ـ ف ـ

- فتح وهران وجامع الجوامع الحسان، 46.

ـ ق ـ

- القول المشرق في تحريم المنطق، 75.

ـ م ـ

- المنظومة القدسية، 40.
- ما وراء الواعون في أخبار الطاعون، 99.

ـ ن ـ

- نزهة الأنظار، 29-40.

ـ و ـ

- وشاح الكتائب، 62.

فهرس الموضوعات

الموضــــوع	الصفحة

الإهداء أ
كلمة شكر ب
قائمة المختصرات 07
تصدير 09
المقدمة 15
المدخل 25
-المبحث الأول: الوضع السياسي العام 27
-المبحث الثاني: الوضع الثقافي 41
-المبحث الثالث: الحياة الإقتصادية 53
الفصل الأول: دراسة وصفية للإنتاج التاريخي في نهاية القرن12هـ وبداية 13هـ (نهاية 18-بداية 19م) 59
1-عبد القادر المشرفي 61
2-الحسين الورثلاني 65
3-محمد بن محمد التلمساني 67
4-ابن سحنون الراشدي 68
5-ابن زرفة 71
6-أحمد ابن هطال 75
7-ابو راس الناصري 76
8-مسلم بن عبد القادر 85
9-قدور بن رويلة 87
10-حمدان بن عثمان خوجة 89

الفصل الثاني: عرض للمضمون	95
المبحث الأول: صورة الواقع السياسي	97
المبحث الثاني: صورة الواقع الثقافي والاجتماعي	117
المبحث الثالث: صورة الواقع الاقتصادي	127
الفصل الثالث: دراسة تحليلية للشكل	133
المبحث الأول: طريقة عرض وتفسير هذه الكتابات للأحداث والأفكار	135
المبحث الثاني: أسلوبها في تناول الأحداث	147
المبحث الثالث: المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الكتابات	155
الفصل الرابع: دراسة تحليلية للمضمون	163
المبحث الأول: المناسبة التي ألف فيها هؤلاء (الدوافع)	165
المبحث الثاني: مدى صدق الأحداث التاريخية الواردة	175
المبحث الثالث: المقارنة بينها وبين بعض الكتابات المعاصرة لها (أجنبية-مغربية)	189
المبحث الرابع: قيمتها التاريخية	213
الخاتمة	221
قائمة المصادر والمراجع (البيبليوغرافية)	223
الملاحق	237
الفهارس	263
فهرس الأعلام	265
فهرس القبائل والجماعات	271
فهرس الأماكن والبلدان	272
فهرس المؤلفات	276
فهرس الموضوعات	279



الجزائر 2007
الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19 م